

جَفَيْتِ الدُّمُوعَ

يُوسُفُ السَّيَّاحِي



www.mlazna.com

^RAYAHEEN^



www.mlazna.com-RAYAHEEN



www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

دار مصر للطباعة
مطبع كائنات

للمؤلف

(قصص قصص ١٩٤٧)	أطراف
(رواية ١٩٤٧)	نائب عزرائيل
(قصص قصص ١٩٤٨)	اثنا عشرة امرأة
(..... ١٩٤٨)	عبايا الصدور
(..... ١٩٤٨)	يا أمة ضحككت
(..... ١٩٤٩)	اثنا عشر رجلا
(رواية ١٩٤٩)	أرض الغاي
(قصص قصص ١٩٤٩)	في موكب القوي
(..... ١٩٤٩)	من العالم المجهول
(..... ١٩٥٠)	هذه النفوس
(رواية ١٩٥٠)	إلى راحلة
(قصص قصص ١٩٥٠)	مبكي العشاق
(..... ١٩٥٠)	بين أبو القريش وجنية تلميش
(..... ١٩٥١)	أفنيات
(مسرحية ١٩٥١)	أم رنية
(قصص قصص ١٩٥١)	هذا هو الحب
(..... ١٩٥١)	صور طبق الأمل
(رواية ١٩٥٢)	بين الأطلال
(..... ١٩٥٢)	القمامات
(قصص قصص ١٩٥٢)	سائر القبايل
(..... ١٩٥٢)	الشيخ زعرب
(..... ١٩٥٢)	نقطة من الإيمان
(مسرحية ١٩٥٢)	وراء الستار
(قصص قصص ١٩٥٣)	ست نساء وستة رجال
(..... ١٩٥٣)	هذه الحياة

الأبحاث

إلى القلوب النابضة التي تطلق منها الحب في سوريا ومصر فحرف
السود وحطم الحوائل وجعل من البلدين وطناً واحداً .
راجياً أن يقتلع تبارها الدافق كل ما يبت في طريق الوحدة من حنظل
الشك وشوك القلق وأن ينمي غرس النخبة والتضامن ويوطد جلوده ويبد
ظله .

يوسف السباعي

(رواية ١٩٥٣)	البحث عن جسد
(مسرحية ١٩٥٣)	جمعية كل الزوجات
(رواية ١٩٥٣)	فدنتك بالبل
(قصص قصيرة ١٩٥٣)	ليلة حمر
(..... ١٩٥٣)	هسة عابرة
(رواية في جزأين ١٩٥٤)	رد قلبي
(قصص قصيرة ١٩٥٥)	لهاي ودموع
(رواية ١٩٥٦)	طريق العودة
(مقالات ١٩٥٧)	أيام قمر
(..... ١٩٥٨)	من حياي
(..... ١٩٥٩)	لطمات وثبات
(رواية في جزأين ١٩٦٠)	نادية
(..... ١٩٦١)	جئت الدموع
(مقالات ١٩٦١)	أيام مشرق
(..... ١٩٦١)	أيام وذكريات
(..... ١٩٦٢)	أيام من صبري
(رواية في جزأين ١٩٦٤)	ليل له آخر
(مسرحية ١٩٦٦)	أنوي من الزمن
(رواية في جزأين ١٩٦٩)	نحن لا لزورع الشوك
(رواية ١٩٧٠)	لست وحيدك
(مقالات ١٩٧٠)	من وراء العيم
(..... ١٩٧١)	أيام عيد الناصر
(رواية ١٩٧١)	ابتسامه على شفته
(رحلات ١٩٧١)	مناظر بين المهيضين
(قصة ١٩٧٣)	العصر لحقة

مقدمة

نحن نعيش أياما حافلة .. يسجل فيها التاريخ أحداثا كبرى ألا يستطيع الكاتب أن يتف بمعدل عنها ، وهي تشكل جزءاً من حياته وحياة بلاده .. وحياة عالمه . والأحداث الكبرى التي تتوالد على جيلنا قد حملت كتابه مسؤولية كبرى ، لا أنظهم مستطيعين الخلاص من تحمل أعبائها ، ومن تأدية واجبهم نحوها ، فالذين عاصروا هذه الأحداث مطالبون أمام التاريخ بأن يقولوا فيها كلمتهم ، وأن يعبروا عن أحاسيسهم تجاهها ، فهم يمثلون المرأة التي تنعكس منها صور الأحداث على الأجيال القادمة ... ومن خلالها .. من خلال إنتاجهم .. الباقي على الزمن .. في سطور قصة .. أو كلمات قصيدة سيورثون الأجيال القادمة حقيقة الأحداث الكبرى التي عاشها هذا الجيل .

وأذكر أني أكدت في مقدمة كتابي « رد قلبي » مسؤولية الكاتب تجاه الأحداث الخطيرة التي حدثت في تاريخنا المعاصر .. وأن حاولت بقصة « رد قلبي » أن أؤدي بعض هذه المسؤولية تجاه الثورة التي غيرت وجه التاريخ في مصر .

ولقد توالت الأحداث منذ ذلك التاريخ وأمسكت بقلايينا وانطلقت تعدو بنا ونحن نكاد لا نلتفت أنفاسنا .

ول قصة « نادية » .. حاولت أن أعكس أحداث تأميم القناة من خلال امرأة القصة .. التي عاصرت أبطالها تلك الأحداث .

ومن خلال هذه القصة « جنت الدموع » ، تنعكس أحداث كبرى أخرى .. هي أحداث الوحدة الكبرى بين مصر وسوريا . التي جعلت من أحلام التاريخ حقيقة واقعة .. والتي جمع الشعبين فيها ، أفعال من شعور كان أغلب من كل عتبة ، وأقوى من كل حائل .

ومفهوم بداعة .. أن القصة لا تورخ .. ولا تسجل وقائع ، وإنما هي تمكس
أحداثاً كباراً من خلال حياة أبطال القصة ، وأنها تعرض قطاعاً من حياة ناس ..
يشعرون ويحبون .. ويعيشون في تلك الفترة .. كما يعيش البشر .
ويعد ..

فإنها جزء من مسئولية كاتب بين عشرات كتّاب هذا الجيل .. أرجو أن
أكون قد نجحت في حل عبء .. وفي تأدية واجبي نحوه ؟

يوسف السباعي

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

اقتصاد وملاوة

١٨ نوفمبر ١٩٥٧

مطار المزة .. يهدر كأنه البحر المتلاطم ..

ودمشق كلها قد خرجت لاستقبال الأشقاء المصريين من أعضاء مجلس
الأمّة المصري .

والأرض لا تكاد تبين .. فالحشود المتراسة قد سدّت الطرق المؤدية إلى
المطار .. وجماهير المستقبلين قد تكوّست فوق أسطح المباني المحيطة به ..
حتى لم تدع هناك موطئاً تقدم .

والرعوس مرفوعة .. والعيون متطلعة إلى السماء .. والنظرات ملؤها اللهفة
والفرحة .. والأمل .

والسطر ينهر .. والريح الباردة تشتد .

والجماهير المتراسة لا تبعاً بمطر ، ولا بريح ، ولا ببرد .. فالمشاعر التي
تجيش في النفوس أقوى من كل ما حولها من عصف ربح أو لسعة برد .

والقلوب تستقبل كل مظاهر الطبيعة بترحيب الوائق المؤمن .. وقطرات
المطر أفعل في إنباع الأمل في القلوب .. منها في قرع الوجوه ، أو إغراق
التياب .

الحشود البشرية المتراسة لم ينظمها منظم .. أو يصفّها صافّ .. وإنما
دفعتها إلى التندلق .. لحفة في القلب على وحدة تشد الأزر ، وتصلب العود ،
وتدفع الشر وتصد العتوان .

وعلى طول الطريق من المطار إلى المزة .. اصطف الطلاب والطالبات

يحملون باقات الزهور في أيديهم .. وبسمات الأمل على شفاههم .
والفراد المقاومة الشعبية ومنظمات الفتوة يلوحون ببنادقهم .. وعلى مدى
البصر قد انتشرت اللافتات تحمل شعارات الوحدة :
« عاشت وحدة مصر وسوريا » .
« الشعب السوري جزء من الأمة العربية » .
ودمشق تبسو في حماسها المثلث .. وفرحتها المجيبة .. كأنها ترفع
ذراعيها إلى السماء لتضم مبعوثي مصر الشقيقة .. قبل أن تطلأ أقدامهم
الأرض .
وتحرك الوفد الرسمي .. يتقدمه رئيس مجلس النواب السوري .
وتوقفت الطائفة .. واتجه السلم المتحرك إلى بابها .
وبدا على الباب رئيس الوفد المصري بوجهه الأسمر ورفع ذراعه ملوحاً
بالتحية لاستقبله .
وضح المطار بالهتاف .. وأعذ الوفد المصري بروعة الاستقبال وفرط
الحماس .. واندفعوا يلوحون بأيديهم في فرحة غامرة .
وقبل أن تصل أقدامهم إلى الأرض .. كانت الأعناق قد تلفقتهم ،
وتحركاتهم ، في هتاف رج الأرض وطاول السماء .
وسار الأستاذ « سامي كرم » .. عضو مجلس الأمة السوري .. وأحد
أعضاء وفد المستقبليين .. لتدفعه الحشود المتدفقة ، وبغضه إحساس عجيب
بالراحة والعطمانية .. ونظر إليه الأستاذ « سليم جبري » وهو يجده قد استسلم
أمام تيار الجماهير وقال ضاحكاً :
— أبعجك هذا ؟
— جداً .
— التيار قوي ..
— أقوى من أن يقاومه أحد !

— ولا صاحبك فؤاد ؟
وأطلق « سامي » ضحكة ساخرة وأجاب :
— فؤاد من يا صاحبي !؟ إنه هو وأنصاره لا يتحملون نفخة من تيار
الوحدة !
— أنتظنه سيحضر الجلسة غداً ؟
— يحضر أو لا يحضر .. الوحدة آتية .. آتية .. من ذا الذي يستطيع أن
يقاوم هذه الرغبة الجامحة .
ووصل الركب إلى باب المطار ..
وبدأت العربات تتحرك بين جوع الشعب الذي سد منافذ الطريق ، وأصبح
على السائقين أن يشقوا طريقهم ببطء وحذر .
وقبل أن يتخذ « سامي » مكانه وسط زملائه في العربة تلفت حوله في قلق
وتساءل :
— أين فائزة ؟ .. لقد حضرت معنا في العربة .
وأجابه سليم :
— لا أظن العثور عليها الآن بالأمر السهل .. ادخل .. فالعربات ورائنا تريد
أن تسير .
وعاد « سامي » ينظر حوله :
— ولكن كيف ستعود ؟
— يا أغي ، ستعود كيفية خلق الله . إن لها رأساً وقدمين !
واتخذ « سامي » مكانه في العربة وما زال يبحث بعينه .. وعاد صاحبه
يقول :
— لا بد أن تكون الجماهير قد جرفتها .
— إن معها حقبة أوراني ..
— وما حاجتك إلى الحقبة الآن !؟

— ربما احتجت إلى بعض أوراق بها .

وتحركت العربية وسط مروج العربات .

وتراحت الجماهير تحاول مصافحة الوفد المصري ، وتعالّت هتافاتها تبلغ النخبة إلى حبيبهم « جمال عبدالناصر » .. رمز الوحدة .. والنصر .. والمستقبل الزاهر .. والغد المشرق .

وتسائل « سليم » وهو يبرز رأسه في عجب :

— ما تصورت قط أن مشاعر الشعب يمكن أن تصل إلى هذه الدرجة من الحماس للوحدة والرغبة فيها .

« ولم لا ؟! » .. وهي أملنا في المستقبل .. ومستندنا في كل معركة .. لن يستطيع واحد منا أن يقف وحده في وجه هذه التيارات الغلظمة حولنا .. ولن ...

وقاطعه سليم ضاحكاً :

— أعرف هذا .. ولكن هذه الآلاف الصاخبة التي تتأجج حماسة للوحدة ؟

— تعرفه أيضاً ..

— الفضل لك ..

— ليس لي فضل سوى الإيمان .

— لقد استطعت أن تفرسه في نفوس الكثيرين من الشباب الذين يؤمنون بك .

وأطرق سامي ..

وقال سليم :

— هل أعجبت تواضعك ؟!

— لا تواضع في هذه المسائل .. وددت لو استطعت أن أجعل الناس جميعاً .. يؤمنون بما تؤمن به .

— مثل ؟

— أشياء كثيرة .

— أوها ؟

— قوميتنا العربية . لقد كنت دائماً أؤمن بها في قرارة نفسي .. ولكن كنت أحس دائماً بحاجة إلى الإيمان بأنفسنا أولاً .. الإيمان بالملايين العاديين الذين يمكن أن يبنوا مستقبل وطننا العربي على دعائهم ، حتى يمت هذا الزعيم « عبد الناصر » ، ليجعلنا نؤمن بأنفسنا .. وبمقدراتنا .

وكانت العربات قد وصلت إلى الطريق للتصع .. وعنف الزحام من حولها .. فزادت سرعتها .

ونظر سامي إلى ساعته وسأل سليم :

— إلى أين ؟

— إلى رئاسة الجمهورية ، ثم مجلس النواب .

— مجلس النواب ؟! ولكن الجلسة غداً !

— ستكون الزيارة للنصب التذكاري .

— وبعد ؟

— أظن سرائي الحكومة ، ثم وزارة الخارجية .

وبدأت العربات تتجه إلى المهاجرين ، والجموع محتشدة على طول الطريق ، تنفخ فرحة مستبشرة :

« لا حياة للعرب إلا بوحدهم » .

« عاش ممثلو الشعب العربي المصري » .

« سبيل مصر وسوريا سبيلنا » .

وتوقفت العربات أمام قصر الرئاسة ، وهبط الأشقام السمر يشقون طريقهم إلى الباب .

واتجهوا إلى الحجرة التسعة على اليمن ، حيث وقوا في سجل التشرifiات ، ثم صعدوا إلى الرئيس « شكرى القوتلى » ، فصادفهم في حرارة ، وأكد لهم أنهم

في بلدهم ، وأن المجلس النيابي السوري هو مجلسهم . وأن نوابه إخوانهم ، لا خلاف في مشاعر ، ولا خلاف في أهداف .

وعزم الرئيس « القوتلي » حديثه قائلاً :

— إنني أرحب بكم .. بصفتكم نواب مجلس أمة شقيقة مصر ، وبصفتكم رسل الأخ العزيز « جمال عبد الناصر » ، وأنا واثق أن الوحدة العربية التي تسعى إليها مستحقة بإذن الله .

وأحس ساسي أن الوحدة لم تعد مسمى ، بل باتت حقيقة ، وانتقل بصره من الرئيس « القوتلي » إلى « أنور السادات » .. وقد بدا عليه التأثر وغلبه الانفعال .

ورد أنور قائلاً :

— أرفع إليكم تحيات شعب مصر وتحيات أضيكم الرئيس « جمال عبد الناصر » .. بوصفكم رجلاً من رجالات العروبة الذين وهبوا حياتهم من أجل تحقيق فكرة القومية العربية .. وأقرر هنا أمامكم باسم شعب مصر .. وباسم زعيم مصر .. أننا جميعاً نقف من وراءكم .. وغارب تحت رايحكم لكي نحقق آمال الأمة العربية .. إلى أضيق بين يدي فخدماتكم كل مشاعر شعب مصر .. ورئيس مصر .. في هذا السبيل .. وستنصر بإذن الله .

وتناول النواب طعام اللقاء على مائدة الرئيس « القوتلي » ، ثم انهجهوا بعد الظهور إلى زيارة النصب التذكاري للعدوان الفرنسي على مجلس النواب السوري .

ووقف ساسي يتحدث مع أحد النواب المصريين ، وقال النائب المصري :

— استفاء اليوم يعتبر استفاء للوحدة .

— الوحدة بأسمى .. قائمة بغير استفاء ، ويتناوب بينكم وحدة الدم الذي شال على أرض بور سعيد ، والذي يمكن أن يسيل في هذا العدوان الذي يهدد اليوم أراضينا .

— سمعت اليوم من الرئيس « القوتلي » أن موجهه قد بدأت تنحسر .. بفضل صمود الشعب السوري .. وصلاته .

— وبفضل وقدتكم إلى جوارنا .. لقد نفذتم الوحدة بطريقة إنجائية .. عندما أرسل الرئيس « جمال عبد الناصر » وحدات الجيش المصري لتصف بجوار وحدات الجيش السوري أمام تهديدات المستعمر .

— هذا واجبنا . إن أرضكم أرضنا ، وما يهددكم يهددنا .

— إن ما يهدد كل شبر من أي بلد عربي .. يهدد الوطن العربي كله . وانتهت الزمارة .

وعاد ساسي إلى مقر الحزب .

ولم يكده يستقر على مكبته .. حتى طرق الباب .. ودخلت « فائزة » .

ونظر إليها « ساسي » نظرة شاردة .

وابتسمت « فائزة » .. فقد تعودت نظراته الشاردة .. تعودت ألا يحقق فيها .. بل أن يأخذها على أنها شيء موجود .

رغم أنها أحست ذات يوم بأنه يراها بتفاصيلها .

وأكثر من ذلك .. يحبب بها .. كجنس لطيف !

كان ذلك منذ زمن طويل .

أو يبدو لها كأنه طويل .

منذ عام ونصف .

وربما عامين .. إنها لا تذكر الموعد بالتحديد .

ولكنها تذكر .. تفاصيل اللقاء الأول .. في أحد اجتماعات الحزب .

لقد بدأت هي نظرات الإعجاب .

لا تستطيع أن تنكر ذلك .

كانت تجلس وصباحها مسطبان عليه .. لم ترفعها عنه طول الجلسة .

كان شكله لطيفاً .. وما زال .

ولكن شكله لم يعد عندها ذا موضوع .. بل بات هو نفسه .. كله .. بشخصيته المثيرة .. وذاته الصالح .. وذكائه غير المدعى .. وخلقه القويم .. ونفسه الخيرة .. و .. و .. وأشياء كثيرة جداً .. لا تستطيع حصرها .
لقد بات هو بمجموع هذه المميزات الخيرة .. يعنى لدينا كل شيء .
ولكن شكله وهكذا .. كان عنصر الجذب فيه .
ملاحظته النبيلة .. ومتكياه العريضان .. وانبساطه اللطيفة .. التى لا تغرب عن شفتيه .
وسلطت عليه نظراتها .
وهندما تسلط نظراتك على إنسان .. لا بد أن يحس بك .. ولو كنت بين مئات الناس .
ولقد أحس هو بها .. فرمقها بنظرة سريعة .. ثم بنظرة أطول .. ولم يكرر النظرة .. ربما لأنها لم تعجبه .
وربما لأنه أحس بخرج موقفه كشخص مرموق .. لا ينبغي له أن يبيع لنفسه .. الحملقة بإعجاب فى عيون الغير !
والأخير هو الأرجح .
فهى تعرف كيف تميز بين النظرة المعجبة .. وغير المعجبة .
وفى نهاية الجلسة .. اندفعت لتدس نفسها بين جبهة الشباب الذى أحاط به يسأله .
ورأته .. ينظر إليها .. نظرة .. أوضح .. وأفصح .. وأكمل .
لقد فحصها بسرعة من أحسن قدمها لى قمة رأسها .. فحص جسدها المستقيم المتناسق ، وشعرها الذهبي الملقى على كتفها .. واستقر بصره فى عينيها الخضراوين الصابغتين .
واشم .
واشمست .. وكان عليها أن تبتذل جهداً لكي تنقلب على حرة الحجل التى

توشك أن تغمر وجهها .
كانت القرصة أضيئ من أن تضئها فى الحجل .
واقتربت منه وحيته .
ولم يشق عليها أن تجد موضوع الحديث الذى تصل إليه به .
قالت :
— لقد أعجبت جداً بانتساجة اليوم التى كتبها فى الجريدة .
ونظر إليها متشككاً وتساءل :
— حقاً ؟
ثم واصل حديثه بعد ولقة قصيرة وكأنه يختبر حقيقة إعجابها :
— ماذا أعجبك منها ؟
وكانت قد قرأتها وأعجبت بها فعلاً .
بل لقد قرأت له .. معظم ما يكتب فى جريدة حزبه .
فلم يصعب عليها أن تحلل له المقال .. وتبدى له مواطن القوة فيه .
ونظر إليها فى دهشة ، وقال بلا وعى :
— عجباً !!
وتساوت فى دهشة :
— ما هو هذا العجب ؟
— أن تدركى كل ما قلت .
وكانما أحس بما فى قوله من إهانة .. فعاد يصحح قوله :
— أعنى .. أن يكون لك كل هذا الاهتمام بمثل هذه المسائل السياسية .
— كيف يا أستاذ ؟ إلى أنتيغ كل النشاط السياسى .. السخايل .. والخارجى .
— ألك صلة بحزب من الأحزاب ؟
— ليس بعد . لأنى ما زلت طالبة .. وإن كنت أحس بأنى على صلة روحية

تامة بحزب الحرية .

— نحن مرحب بالعناصر المؤمنة .. الجادة .. ويسلو أنك أحد هذه العناصر .. ويمكنك أن تتقدمي للانضمام إلى الحزب في أي وقت تشائين .
ولم نغض بضعة أيام حتى كانت قد انضمت إلى الحزب .. وكان أكبر ما يسعدنا .. هو أن يكلفها يسيل ما .. وكانت تحاول جهدها أن تتقنه .. لتحصل منه على مزيد من الإعجاب .
ولقد نجحت فعلا في الحصول على إعجابه .. الأكامل .. المطلق .. بشخصها .. وبمسلها .
لقد أصبحت عنده .. شيئا ما .
شكلا .. وموضوعا .
وانقلبا شبه سكرتيرة له .
وبالت موضع ثقته ، وعطفه .. ومشاعر أخرى طيبة ، يمكن أن تكون في مجموعها .. مبادئ حب !
أما عنها .. هي .. فقد أحبت .
اعترفت بذلك لنفسها .. بل أخذت تبني قصور أحلامها .. على أساس وجوده فيها ومشاركته لها .
وبالت تطمع في أن يضعها من نفسه .. الوضع الذي وضعه من نفسها .
ولم تجد الأمر مستحيلا .
بل وجدت من مقدماته وتباشيره .. ما ينبيء به .. حتى تبدل حاله .. وتغيرت أطواره .
ولم يكن الشعور تجاهها فقط .
بل كانت هي أحد مظاهر هذا الشعور .
وربما أبسطه .. وأقله عظما .
لقد هانت عليها نفسها .. وهان عليها حبيبها .. وصور أحلامها المتغيرة .

إلى جانب .. الشعور الذي أوشك أن يهدد حياته العامة .. وصحته .. ومركزه .. وكيانه .. كمشروع بائس .. وأمل مشرق .
لم تعد منذ ذلك الوقت .. شيئا له تفاصيل .. تعجبه أو لا تعجبه !
بات ينظر إليها .. كشئ موجود لا داعي للتحقيق فيه .
ومرّت الأزيمة .
نجاهتها .. بكيانه .. وشخصيته .. ومركزه .. ونجاحه . ومستقبله .
ولقد كانت واقعة من أنه سينجو .
فهو قوى .. صبور .. متزن .
وفي وقت ما كادت الأحداث تفقده توازنه .
ولقد همت بأن تسنده .
لأنها تحبه .. وتؤس به .
ولا تدري إن كانت اليد التي قدمتها .. قد استطاعت أن تفعل من أحله شيئا .. ثم أنه هو الذي استطاع أن يهبط نفسه .
أم هو الحظ الحسن .. الذي يلازم عظماء الناس . وهو لا شك واحد منهم !
على أية حال .
لقد مر بالأزيمة .. أو مرت به .
ولكن بمروح في نفسه .. ورضوخ في باطنه .. لا يمسها .. إلا هو .
وبالطبع هي ..
ولا أحد سواها .. أبدا .. فهي تعرف قدرته على إخطاء آلامه .. قدرته مريرة .. تبلى حد التعذيب .
لها تستطيع أن تخلص جروحها .. وترم رضوخه .. فإن لم تستطيع .. فترمن .. يستطع ، والنفوس كالأجساد .. لا يرى جروحها .. إلا مرارن .
وعاد ينظر إليها نظره الشاردة .. غير الفاحصة

واجتمعت متسائلة :

— بشار النصر ١٩

— أعتقد هذا .

— لعله يرتكك ؟!

— إنه أراحتني فعلا .

— لقد بذلت من أجله جهداً كبيراً .

— المفروض أن تكون جهودنا وقوداً بلعنا أهدافنا .

وصحكت قائلة :

— لقد استهلكنا كثيراً من الوقود .

وخرجت من صفه زفرة لم يستطع أن يكمئها .

وكانت أدري الناس بما يصحب هذه الزفرة من انفعال في باطنه .

وهستت قائلة :

— ظننت فرحة الانتصار قد برأتك .

وتسائل :

— مم ؟

وهزت رأسها وأجابته :

— لا شيء !!

ثم حاولت أن تغير الموضوع لمساكنه :

— أتريد أن أحضر لك الحقيبة ؟ ..

— أجل .. ضعي فيها أوراق مجلس النواب . ستعقد جلسة في مساء الغد ،

وسيقترن الاجتماع على لجنة الشؤون الخارجية مع لجنة الشؤون العربية بالمجلس

المصري لإعداد قرار الوحدة الذي سيقر في الجلسة . أظن الملف موجوداً في

درج المكتب .

وأجابته قائلة :

— سأضعه في الحقيبة .

وفي مساء اليوم التالي .. شهد مجلس النواب السوري الجلسة التاريخية

المشتركة .. التي حضرها أعضاء وفد الأمة المصرية .. وانفتح الجلسة رئيس

المجلس السوري ، ثم ترأس الجلسة رئيس الوفد المصري وسط عاصفة من

الخماس هزت جوانب القاعة العربية .

وبدا إلقاء البيان التاريخي :

« استجابة لرغبة الشعب العربي .. لي دينا العرب .. وتحقيقاً لمبادئ

الدستورين المصري والسوري .. بأن شعبنا إنما هما جزء من الأمة العربية .

« ولما كانت وحدة الأقطار العربية أمية الأمة العالية ، كان العمل لتحقيق هذا

الهدف السامي المقدس ، واجباً قومياً على كل عربي .. وأمانة على عرق نواب

الشعب العربي

« وكان الاستمرار بنفس عقبة كأداء في سبيل تحقيق هذه الوحدة ، وجعل

جاهداً على إنقاذ الأمة العربية بجزءة مشتتة الشمل .

« وكانت مصر وسورية الشقيقتان قد كافحتا الاستعمار ووطدتا

سيادتهما .. وانتجتا في سياستهما الخارجية جهاً حيادياً مستقلاً ، بين القوى

المتصارعة ، مستوحى من مصالحهما القومية وأهدافهما المشتركة .

وشرد ذهن سامي .

إن السيادة أساس الوحدة .. والحياد .. طريقها .. والمصلحة القومية

هدمها .

هذا هو ما كان يؤمن به دائماً .. وهذا هو ما كلف من أجله .

ولقد نجح .

لقد خاض معركة مبررة .. مع الغير .

ومعركة أحر .. مع نفسه .

لقد كاد ينكسر مرة ...

ولكنه استمر .

على حساب مشاعره .

وشرد به ذهنه شروداً أبعد .

أبعد من مجلس النواب .. ومن الوحدة .. ومن كل مائه علاقة بالسياسة .

شرد فيها .. للثالثة العاجزة !!

وأحس بأن في معدته .

أكلما شرد الذهن به إليها .. أحس بفرة في باطنه ؟! لقد بات التفكير فيها

مربكاً .. معذباً .

لماذا جرحته هذا الجرح ؟

لماذا سببت له كل هذه المرات ؟

ألا تلتك هي طبيعتي ؟

أم تراه هو .. الأتاني للمقصر ؟

أم كانت المسألة كلها .. خطأ لا بد له من أن ينجني ثماره ؟

أيها كانت المسألة .

إنها ما رالت ترسب في نفسه .. في أعماقه .. وتسرى في كل كيانه .

ودوى التصليق في القاعة وعلا الخفاف .

وكان عليه أن يصفق ويتسم .

لقد كان هو أحد عناصر الانتصار .

ومع ذلك لا يشعر كثيراً بملاوته .

وانتهت الجلسة .

وحاد وحده .. إلى مكتبه .

لم يكذب يستفر حل مكتبه حتى دخلت عليه « هانزة » وفي يدها ظرف

ممتلئ .

واقتربت منه في تودة .. وكأنها تحس بما يحويه الظرف .

ومدت يدها إليه به قائلة :

— وصل هنا الصباح .

وقبل أن يحس .. نظر إليه في دهشة ، وحلق في غطه ثم مد يده ، وأطبق

عليه !

ونظر إلى « هانزة » نظرتة الشاردة ثم قال :

— تستطيعين أن تنصري .

وأجابته « هانزة » بنظرة ملؤها الختان وقالت :

— بل سأنتظر .. لأن لدي ما أعمله .

ثم استلزلت متجهة إلى الباب .

وأمسك بالظرف برهة .. وقد شرد به الذهن .. ثم فحه .. وأخرج الأوراق

التي به .. وأخذ في القراءة .

الحزبية .. و نظراتها العاتية

لنبتك تبسم .

لنبتك تنفّر .

لو عمت كم أحيك . لا بسمت .. وغفرت

لو علمت .. لما ودّعت طيفك بمثل هذه الملامح الحزبية ، والنظرة العاتية .. ولما حرمتني من تناسلتك الصائفة .. ونظراتك اللهيلى .

لو عمت .. لعفرت لي .. كما كنت تغفر دائماً .. ولأعبدني في صدرك .. وضممتني إليك ، ومسحت دمعى بشفتيك .

أحلام .. يا حبيبى .. أحلام .

وماذا أمك .. في رحلى اليأس .. سوى الأحلام .. والدموع ؟؟

الدموع .

الدموع التي لا تجف .

عجيبه .. هذه الدموع !

كن ذكرى .. كل حصة .. أحس بها كأنها يد تنصر عبي ، ونسك

دمعى .

حتى همستى . أحيك .. أحيك .

لا أكاد أحس بها ، حتى أحس بدمعى يسيل على خدى .

أبذكر منديل الدموع .. الذى جففت به دمعى ودمعت ؟

أما رلت تحفظ به ؟؟

كنت تجد في دموعى عزاءك ، وكنت أجد في تحفيفك دموعى غير

عزاء .

في وقتى البائسة .. أرقب طيفك . بغلت من يدي ، ليركنى وحيدة

عزلاء ، وتهمس من عبي الدموع .. فأفقد بك المشرقة ، وسديك الحانى ، ولا

أسك إلا أن أتركها تنساب ، وتنساب .. حتى أحس بمنحها على جانبي شتى .

أول لقاء

يا أهر الناس ..

أكتب إليك .. لأخبرك قبل كل شيء بأنك مازلت ، ومستظل دائماً ، أهر الناس . أهر من أمى .. ومن إخواني ، ومن كل مخلوق ربطتني به صلة على هذه الأرض .

أكتب إليك لأخبرك لك كما همست دائماً أن أحيك . أحيك . وأنت تستطيع أن تشك في كل شيء في هذه الدنيا ، عدا شيء واحد هو حبى لك . ويمدولى أن هذا يربحت ، ويجمع من آلامك التي قد أكون سببها لك . مما رلت أذكر تأكيدك الدائم لي أن كل شيء يهوى في حياتك ما دمت واقفاً من حبي .

ولا أظن حبي لك قد بلغ حداً يستحق معه تفننت أكثر مما بلغه الآن

أحيك .. أحيك .. أحيك .

أحس بها في همسات ممتعة لذيدة .. مستعة في عروجه من شتى ..

للذيدة في وقها الخافت على أذنى .

أحس بها وأنا أعلم أنها ضالمة مع الريح الصافرة .

والمركب يتقاعد عن الشاطئ .. وهو يبروت تتصالح في الأفق .. والقمم

الثلجية تختلط بالسحب البيض .

وأنا أتسل هاربة من عالمك .. بلا أمل في عودة . ولا رجاء في لقاء .

متكة على حافة المركب . شاردة الذهن .. رائحة البصر .. لا أكاد أميز

من معالم المدينة والجبال . سوى رسم واحد .. هو صورتك .. بسلامتها

دعني أناجيك يا حبيبى .

لا تمل من ساجاتى . فما عدت أملاك سوى الساجاة والدموع ،
وهساتك العذبة التي سجلتها في جهاز التسجيل ، والتي كانت أول دقة في
ماقوس فراتنا .

أشباح المدينة قد أخذت تتلاشى ، والقسم الشاهقة قد طواها الأفق .

والظلمة .. تتسلل من حولي ، والوحشة تزداد .

كل شيء .. من حولي قد تبدد ، حتى طبعك الحزين ونظراتك العاتبة .
وعدت إلى حجرتي في المركب .

« وجلست على حرف الفراش .. أنصت إلى الدقات المتواترة لمحرك
الناخلة ، وأرحت السار عن النافذة المستديرة ووضعت وجهي على الزجاج
السليك ، محمقة في الفراغ الأزرق القاتم .

وكست أنفاسي الزجاج بطفقة من الغضب .. حجبت عني أمواج البحر .
وبلا زيادة .. مددت يدي ، وكسيت على ضباب الزجاج بسايتي
« أحبك » .

ومن حيث لا أدري أبعثاً .. انسابت الدموع .. عزيرة دافئة .

أتذكر يا حبيبى !

وقطعت وراء زجاج النافذة .. تطل على النهر والجبال والأشجار ،
وأنفاسك تكسو الزجاج بالضباب ؟

وأصبعك تمتد كما امتدت إصبعي .. لتكتب لي في كل ليلة ، « أحبك ..
حتى الموت » .

أنا أحبك الآن حتى « ما بعد الموت » .

إلى هذه الدرجة .. أحس بقوة حبي .. أحس به أقوى من حياتي
هل يربحك هذا يا حبيبى ؟ لماذا لا تبسم ؟

إني في حاجة .. إلى تصوّر بسمتك . - وإلى تخيل غفرتك .

لماذا لا أحاول سماعك ؟

إني أحس من همساتك على نفسي .

أعشى الأنهار . والعودة إلى الأرتقاء في أحضانك .

ولكن كيف ؟! والمدينة تتباعد والسفينة تتحرر من عباب اليم ، وأنت
تفتت من حياتي .. ومن أماني ، وأحلامي .. وأنا قد طردت من قلبك ..

وحرمت من مشارك .

أجل .. يا حبيبى .

لم يعد هناك من خوف عليك من انهيارى .. ولا غشية عليك من
رجعتي .. لقد بت بمنجاة مني ، ومن كل ما يمكن أن يحرق بك من حبي
لك ، وحبك لي .

حيث لي !

أحب هذه الكلمة .. أحب ترديدها .. وتكرارها .

أحب أن أحس .. أنها ما تزال حقيقة كائنة . لا وهماً ولا أمنية .

لقد كان حيك لي دائماً .. عزائي عن كل غداً .. وبأس وحرمان .

وبعز علي أن أفتقد .. وأنا في أشد الحاجة إلى العزاء .

كل شيء يمكن أن أحضله .. إلا أن أفتقد حيك .

يمكنني أن أحمل البعد .. والفتور .. والحاجة .. والحزن .. وكل أنواع
الشفاء ما دمت أحس بأنك مازلت تحيني .

أما أن أفتقدك .. وأفتقد حيك .

فذلك هو هلاكى .. وضيايى .

كم أحسست بالخوف من وجهك الحزين .. ونظراتك العاتبة التي رمقتني
بها على صمت اليم .. في آخر لقاء لنا .

كم عشت أن تكون نظراتك الأخيرة عاتمة حيك لي .

حتى لقد كدت أتردد وأترجع وأكبس على عيني .

ولكنى تمسكت ببقية من تجلد وبقية من حرم وإيمان .
وتعزيت بأنى . إذا كنت قد ظلمت بعضى .. فلا بد أن ينصمى الزمن .
الزمن .. الطويل .. الطويل .
الذى لا ينصمى .. إلا بعد أن يكون العظم منا قد وهى .. ويتنا على شفا حفرة
النهاية .. ولم تعد بنا من حاجة إلى إنصافه .
وعندما أجلس الآن فى بأسى .. لا أملك إلا أن أسأل نفسى : لماذا أصير حتى
ينصمنى الزمن ؟
لماذا لا أنصف نفسى .. بنفسى ؟
لماذا لا أجلس لأكتب إليك كل شيء ؟
ولكن هل سأفصح بكتابى فى إنصاف نفسى ؟
ما هذه الأكل شيء ؟ الذى أستطيع أن أكتبه لكن أنصف به نفسى ؟
ماذا يمكن أن أكتب إليك من جديد ، وأنت تعرف كل سكونة فى حياتى معك
وكل حركة ؟
ربما استطعت أن أصبر لك شيئاً ، أو أعتمد لك على شيء .
وربما عجزت عن التفسير والاعتذار .
وربما . بعد كل ما أكتب .. أجدنى فى النهاية صالمة .. محرونة .. بالسة .
ومع كل ذلك .
أحب أن أكتب إليك ..
أن أحكى لك .. حتى ما تعرف .
ألا تذكر كيف كنا يجلس دائماً .. لیسرد كل ما للآخر كيف التقى
بصاحبه .. وكيف رآه لأول مرة ؟ وكيف أحس بحبه ؟
كنا نجد للذة عجيبة .. فى تبادل الذكري .
ولم نأكل لك شيئاً جديداً .. وما قصصت على شيئاً لا أفرقه .
بل كنا نردد أحاديث معادة مكررة .

ومع ذلك كنا نستمتع بها .. بتردها ، والاستماع إليها .
وفى الآن بعض الرغبة فى مباحثاتك ، وفى أن أحدثك عن قصتى معك ..
كيف رأيتك أول مرة .. وكيف أحيتك .
وكيف .. وكيف .. مما تعرف .. وما لا تعرف .
مناجاة من طرف واحد .
والطرف الآخر معوس من ردة .
موع من الملهيان .. أو الجنون .
ليكن .. صد متى كنت أكرم العقل فى حى لك ؟
إن كانت كتابتى لك هدياناً .. أملاً يحمل هدياناً . إذا عرفت أن فى
ترديده .. تنفيساً عن كبريتى ؟ وتفرجاً لعلى ؟
إن أتلهم على إصباتك .. وعلى حبك
قلوب عر على .. أفلا أقل .. من أن أرفه عن نفسى المكروبة موع من
المنيان ؟
المحوم يهذى .. فلا يؤخذ هدياته مهما عاب ومهما أساء .
ونست أغنى فى هديانى سأصبر أحداً .. أو أسوء إلى أحد .. فلماذا أحرِم
بعضة المنيان . وأنا فى حال أقسى من حال أى محوم ؟
وإذا لم تنصف حى .
فلا أقل من أن تغفر هدياناً .
كيف رأيتك أول مرة ؟
الساعة الثامنة مساء ، وبادى الشرق ، يغص بالمدهوس والاستعداد للسهرة
عن قدم وساق .. وأنا قد وقتت فى ثلة من أهل القس والصحابة .
ولمحت من بعد .. ترمقى بظرة فاحصة . تتحول حى برهة .. ثم لا تلبث
حتى تعود إلى .
وأحسست لك من أول لحة .. بشيء خاص .

لم أدركته . ولكني تخليت لو اقتربت مني وحديثي .
 ربما أعجبتني وسامتك .. بحلفت البهضاء الأنيقة .. ووجهك ذى القسما
 النبيلة والملاح الطيبة .
 ولم يلب الله رجائي .. فسرعان ما وجدتك تقرب من ثلثنا .. ووجدتهم
 مرحبون بك وبهشون لك .. ثم صافحتني مصافحة صداقة ومعرفة .. وقلت لي
 في رقة :
 — أنا معجب قدم .. أهضك على آخر أغنية .. سمعتها لك .
 — أحقاً أعجبتك ؟
 — أجل .. ولا سيما مطلعها .. « لا تلم قلبي » .
 ولم تكن آخر أغنية .. ولكني لم أراجعك .. بل حمدت الله .. أنك ذكرت
 أغنية لي .. ولم تخطئني في غيري .
 ولم تغفل وتفتك معي . ومرعان ما اقترقا بعد حديث عاطف .. والتفت
 إلى جاري وسأته وأنا أشير إليك وأنت تتباعد مخفياً بين حشود المدعوين :
 — من يكون ؟
 وصحكت صاحبي قائلاً :
 — ألا تعرفه حقاً ؟
 — أبداً .. وإن كانت ملائحة غير غريبة علي .
 — إنه الأستاذ سامي كرم .. أحد أقطاب حزب الحرية ، ورئيس تحرير
 جريدته .. إنه نائب ممتاز .. وهو مختار مشروع وزير أو رئيس وزارة .. ألم
 تسعى عنه من قبل ؟
 وهزئت رأسي متسائلة :
 — أهذا هو سامي كرم ؟
 — أجل .
 — سمعت به طبعاً .. ولكني كنت أتقبله أكبر من هذا بكثير .

وضحكت صاحبي قائلاً :
 — صلعة .. وبطل .. أليس كذلك ؟
 وأجبت ضاحكة :
 — تقريباً .
 وعاد صاحبي يضحك قائلاً :
 — لطفه أعجبك ؟
 — إلى حد ما .
 — وهو أيضاً .. فيما يبدو لي قد أعجب بك .
 — كيف عرفت ؟
 — رأيته يرقبك ملياً .. ثم اتجهم الثلاثة .. ليصل إليك .. لا بد أن هذا احتاج
 منه جهداً .. فهو إنسان عجول !
 وأحسست بارتياح عظيم .
 سرقي .. أن تتقدم إلي .. وتكلم في ذلك جهداً .. وهذا يعني أنك
 أحسست في بشيء .. قد يكون نفس الشيء الذي أحسست لك به .
 وطالب لي أن أسترسل مع محدي في مزيد من الحديث عك .
 فعلت أنساها .. وكأن حديثي مجرد إضاعة للوقت :
 — هذه أول مرة أراه في احتفال .
 — أجل .. ليس هذا جماله .. ولو لم يكن حفلاً وطنياً لما حضر .
 — ولكنه أنبأني أنه معجب بأهالي .
 وقبل أن يجيب علي .. ما لبثت حتى استغرقت قائلة :
 — لا تغفل إنه يجاملني .
 وضحكت صاحبي وأجاب :
 — ليست بماملة صرفة .. إنه مخلوق حساس .. وأشك أنه يستمع أحياناً
 للنساء والموسيقى .. ولكن في مجال محدود .. وفي أوقات عاطفة .. إن وفته كله

مشغول بالحزب والسياسة .
وسألتك ساعرة :

— وماذا يفعل في الحزب ؟ هل ماذا يفعل الحزب بأكمله ؟ لا تحاول أن تقصر
أن الأحزاب والسياسيين يفعلون شيئاً .. إلى اعتقد أن السياسة عمل من ليس له
عمل .

وضحك الرجل وأجاب :

— اعتقدى كما تشائين .. ولكن ذلك لا يمنع أنه إنسان له قيمة .. وأنه يحاول
أن يحقق لبلده انتصارات كبيرة .

— مثل ؟

— قلت إنك لا تفهمين في السياسة .

— سأحاول الفهم !

— إنه من أشد المؤسرين بالقومية العربية .. والوحدة العربية .

— وماذا يفعل بإيمانه هذا ؟

— إنه شغلة نشاط .. والكثير من الشباب يؤمنون به ، وبكل ما يؤمن به
سأبقى غداً محاضرة عن الوحدة . أترغبين في حضورها ؟
وضحكت وأجبت :

— لم أحضر محاضرة في حياتي .. وسيضحك الناس على لوعرطوان هدى
نور الدين ؟ حضرت محاضرة سياسية !

ومع ذلك .. حضرت المحاضرة .

كيف ؟

لقد بحثت بحث في تلك الليلة حتى عرفت عليك بين الحشود المزدحمة .
وأبدت بعض الدهشة عندما وجدت نفسي في مواجهةك وكأني لم ألتصق
إليك .

وهششت لي .. وعدت بجماعتي معجباً ، وأحسست أن أحب أن أراك ثانية

وثالثاً .. وكنت أعرف من حديث شخصي أن احتمال وجودك في جنات أمر
مستحيل .. إن لم يكن مستحيلاً .

ووجدت أن لقاءك وأنت تلقى محاضرتك ، سيكون أمراً مضموناً .. وقد
ينجح لنا لقاء آخر .

وسألتك غائلة :

— سمعت أنك ستلقى محاضرة غداً .

وبدا عليك نوع من الزهو فقلت :

— حقاً .. كيف عرفت ؟

— إلى مهتمة بالوحدة .. والقومية العربية .

وبدت عليك الدهشة وتساءلت :

— حقاً ؟

— أجل .. وددت لو أتيت لي الفرصة لسماع محاضرتك غداً .. هل
أستطيع أن أحصل على تذكرة دعوة ؟

وبدا عليك كأنك غير مصدق . وكنت على حق .. أظنني أنا نفسي ..
كنت لا أصدق أن أتوفى مرة إلى سماع محاضرة .. أياً كانت وأياً كان ملقبها .

ومع ذلك فقد مددت يديك إلى جيبك وأخرجت بطاقتين ، قلت ، وكأن
دعوتك مجرد جمالة :

— لا شك أنه يستعدي أن تجهي .. هاتان بطاقتان قد بقيتا معي .

— ولكني لا أريد أن أحرم صاحبيهما منهما .

وضحكت .

— لا عني بصاحبيهما .. المهم أنك تأتين .

وفي اليوم التالي حضرت في موعد المحاضرة .. كان الزحام على أشده بطريقة
لم تخلفر بهالي .. زحام آلفه أنا في أنجح حفلاتي .

وجلست أرققت .

ولا أتذكر القول .. لم أفهم كلمة مما قلت .. لأن لم أحلول أن أصبح ما تقول .
وانتهت المحاضرة .. دون أن تلمحى أو تلتفت إلي .. واحتضت في حشد من
الناس قد التفت حولك .

وخرجت من النادي بمؤثر إحساس بالضيق .. فقد فهمت أن أفساك ،
وأنتحدث إليك .. ولكنك لم تلتفت إلي . ومنعتى كرامتى من أن أتجه إليك
وأنتظر نظرك ، وأن أصل كما تفعل صبية المدارس .
ومرت بضعة أشهر .. وأنت غائب عن بصرى ، وكسدت أنساك أو
أجتاساك .
حتى كان اللقاء التالى .

بدا أحتفل

ألقى سامى الأوراق من يده .. ومال يكتليه إلى مسند التقدم ، ومد ساليه
فى استرخاء وشرد يذهنه إلى اللقاء الثانى .
كان اللقاء فى فندق بلودان ، عندما ذهب لحضور أحد المؤتمرات
الحرية .

وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة عندما عرج من قاعة
الاجتماعات .. متجهاً إلى البهو ، وفى طريقه التقى بالصحنى : محمود
عيد . .. وقد أقبل من باب الفندق الخارجى بجمه امرأة جميلة تلف شعرها
الأسود بلإشبار ، ، وتحجب عينيها بمنظار أسود .

وتوقف أمام الصحنى محيياً .. وبدا له أن السيدة الجميلة تسير فى صحبة
الصحنى فقد توقفت بجواره ومدت يدها تصافحه .

وتوقف أمام الصحنى محيياً .. وبدا له أن السيدة الجميلة تسير فى صحبة
الصحنى فقد توقفت بجواره ومدت يدها تصافحه .

ومد يده مصافحاً دون أن يبدو عليه أنه قد ميزها .. وكأنما يتعذر أن يقوم
الصحنى بواجب التعريف بينهما .

وخصمت المنظار الأسود فميز وراءه الصين السوداوين نوال الهندب
الطويلة .. والخال أسفل الرمش الأيسر .

وبدا عليه الخجل وهو يهتف قائلاً :

— مخجل لئذ أنساك .. فأنا أصحك فى ذاكرتى من صورك حتى غلب أن
أرطاك .

وصمت برهة وهو يحلق في عيبتها ثم استنرد قائلاً :
 — ولكن الذئب .. دب المتظار الأسود الذى حجب أقوى عناصر
 تعزك .. وذئب الشمس التى لوحت وجهك .. فصهته بهذه المسرة
 المخوذة .
 وضحك عبيد وقاطمه قائلاً :
 — هذه تصريحات خطيرة .. هل أستطيع تسجيلها على لسان سكرتير
 حزب الحرية ؟
 ورد سامى ضاحكاً :
 — لا أظن فيها شيئاً صحيحاً . فهذا رأى مد من طويل .. بل رأى الناس
 كلهم .
 وبدت هدى غلال النقاش . كالتمليدة المرتبكة .. وكست وجهها
 حمرة عجل .. بدت مستغربة من مطربة تعودت مواقف العزل وعبارات
 المدحج .
 وكانت هدى تحس أمامه فعلاً كأنها فاة مراعاة .. كانت كل خبرتها
 في معاملة الرجال تهدد .. وأصبحت كأن السين قد عادت بها القهقري ..
 وكأنها التلميذة التى لا تعرف إلا طريق المدرسة .. حيث يدفع غزل الطريق إلى
 وجهها بحمرة الغييل .
 وأصحت هدى بالشوة تملأ جوانحها وهى تقف أمامه وتسمع
 إعجابها ، وبدأ لها أن القدر بأى إلا أن يلقى بكل مهما في طريق الآخر ..
 وعزمت على ألا تدع الفرصة تغفل . وكانت تنفك من صبرتها معه ، فى
 المرتين السابقتين ، أنه مخلوق غير مهاجم .. ولم تكن هى بحير مه .
 ولكنها كانت تحس بلهفة عليه .. وكانت تكرة أن تصبح معها الفرصة .. ولم
 تجد بداً من أن تحالف طبعها وتقوم هى بالبور الإيجابي .
 وقبل أن يمد يده بالتحية قالت مسائلة :

— أتعلم أنى أعجبت جداً بالمحاضرة التى دعوتنى إليها ؟
 — غير معقول .
 — ولماذا ؟
 — لأنك لم تسمحها .
 — من قال لك ؟
 — لأنك لم تحضري .
 — بل حضرت .. ولكنك لم تلق إلى بالا .
 — غير معقول ألا ألقى إليك أنت بالا .. وحولك كل هذا النور .
 وضحكت وأجابت :
 — عدنا إلى الغزل .. أهو أسلوب السياسة فى معاملة السيدات ؟
 وتدخل عبيد قائلاً :
 — بل هو تأثيرك الشخصى .
 — شكراً .. على أية حال لقد أعجبتنى المحاضرة .. بصرف النظر عن
 مديحك لى .
 وابتسم سامى ورد عبيد نهاية عنه :
 — إذا كانت المحاضرة قد أعجبتك حقاً .. لقد طبعها مع مجموعة من
 المحاضرات والأحاديث فى كتابه « آراء فى الحكم والسياسة » ولا أظنه يحل
 عليك بنسخة منه .
 وأجابت هدى :
 — وإن يخل فساخترها .
 وضحك سامى :
 — لم أصل بعد لهذه الدرجة من البخل .. سأحصر لك نسخة . ولعبيد
 نسخة أخرى .. اعراضاً بفصله . فى إتاحة هذا اللقاء لى .
 ومد يده للمصافحة .. فعدت يدها ...

واستبقى الاثنان يديهما لحظة وهي تقول :

— كيف سترسلها إلى ؟

— لو عرفت عنوانك ...

— سأعطيك العنوان ورقم التليفون .

ثم سردتهما . فلهز رأسه وقال مؤكداً :

— بمجرد أن تعودى إلى دمشق ستجدنى الكتاب عندك .

وضحكت قائلة :

— أعشى أن تكون قد نسيت الرقم .. وأن تنساني بمجرد أن أفارقك .

وأجابها معاتباً :

— لا تظلمينى .

— لك سابقة !!

— ولكن لى تكون لها لاحقة .. الرقم ١٩٩٧٠ .

وانبست فى معاناة وورقة فى شبه هس :

— شكراً .

ودع كل منهما صاحبه .. وبفسه إحساس المقبل على معامرة ممتعة .

لا يكاد يفكر فى نتائجها .. وإنما هو من مجرد التفكير فيها والإقبال عليها ..

فى نشوة ممتعة .

كان كل منهما يحس بأنه يقف على شفا تجربة .. تجربة حب صيالى

ممتع للذيل .

وانتهى الأمر .. وعاد إلى دمشق .

وطولته موجة أعماله التى لا تنتهى .

اجتماعات مع شباب الحزب .. مناقشات .. وجدل .. ثم التحضير

لاجتماعات اللجنة العليا للحزب . والتوقيع بين التيارات المستمرة التى

تقاربه .. والسيول الخفية المتغلغلة التى تتجاذبه .. من أقصى الرعية إلى

أقصى الشيوعية .. وحضور جلسات مجلس النواب .. واجتماعات لجانه ..

والإشراف على تحرير جريدة الحزب .. والساعات تمر متعاقبة من الصباح المبكر

حتى منتصف الليل .

ومر يومان .. ورقم التليفون ما زال منقوشاً فى ذهنه .

ولم يتعجل فى طلبها .. رغم لفته عليها .. فقد أحس أنه يريد أن يبذل من

إعدادها الكتاب فرصة للفتاها .. وكان ينتظر فرصة .. ينف فيها الأزدحام من

حوله .. وكان بطبعه غير عجول

وفى صباح اليوم الثالث .. أحس بمكبته قد خلا

ودق الجرس فأقبلت عليه « فائزة » وقد كست وجهها سيماء الجلد الذى

تمردت أن تكسوه إياه عندما تنهك فى عمله .

ورمقها ساسى بنظرة قاحصة .. ووجد نفسه بلا وعى يقف مقارنة بينها وبين

« هدى » .

وأحس بكلفة « هدى » ترجع بشلة .

إن لها إشراقة عجيبة .. ولم يكن مبالاً أو معازلاً حين قال لها .. إن ثمة ضوئاً

يحيط بها .

ومع ذلك .. ما الداعى للمقارنة ؟

إن « فائزة » لها مكانتها .. ولها كفاءتها .

وليس هناك أبداً ما يبرر إدخالها فى مقاييس من نوع جديد

ولكن حقاً .. أعو يختبرها مجرد كفاءة ؟

ألم يطلق عليها أبداً مقاييس قلبه ومشاعره ؟ ...

لكى يكون عادلاً . يجب ألا ينكر ذلك

لقد أعجب بها .. ومعها من معه مكانة خاصة قد يكون لم يعلن عن هذه

المكانة .. ولكن لا جدال فى أنها قد أحست بها .. ولا جدال فى أنها قد أنزلته من

نصها مكانة خاصة .

ومن أجل هذا عقد المقارنة .
 ومن أجل هذا أيضاً أحس بنوع من الندم .. وهو يجد كفتها خفيف .. أمام
 « هدى » .
 ومع ذلك .. لم يملك إلا التسليم بالنتيجة .
 وإن كان قد حاول أن يخفف من وقعها .. بإفخاخ نفسه .. أن هذه شيء وتلك
 شيء آخر .. وأنه لا وجه أبداً للمقارنة بينهما .
 وأن هذه معالونه وسكرتوته ورميته وصيدته الدائمة .
 وتلك .. مغامرة .. لا يظن منها سيطول .. فلا وقته .. ولا عمله .. ولا
 مركزه .. ولا طبيعة عقله .. وسجانه .. تسمح بالانكشاف فيها .. إلا لهدى
 محدود .
 وأحس بشيء من الارتياح إلى النتيجة .. بعد هذه المقارنة الخاطفة ..
 الخادعة .
 لقد كان يحس .. أن الطارقة الجديدة قد مست في باطنه شيئاً أعمق كثيراً ..
 مما تستطيعه الطارقة العائرة .. التي لا يتوقع معها .. أكثر من معامرة سريعة ..
 قصيرة المدى .
 ومع ذلك .. لماذا يرهق نفسه في التحليل والتفكير ؟
 لتكن ما تكون .. وليفعل الله بهما ما يشاء .
 المهم أنه يحس بلهفة على رؤيتها .
 وتظرت إليه « فائزة » وهي تجده قد شرد بذهنه وتساوت :
 — أتريد شيئاً ؟
 — أجل .. هل عندك شيء عاجل ؟
 — مذكرة لجنة الشئون الخارجية .
 — سأفحصها بعد الظهر .
 — والاجتماع مع المخرجين ؟

— أجله للعد .. سأخرج الآن في موعد .. وربما ذهبت إلى البيت رأساً .
 فلا تنتظري .
 وهزت « فائزة » رأسها وتساوت :
 — أستعود في موعدك بعد الظهر ؟
 — أجل ..
 وخرجت « فائزة » .. وتناول هو سماعة التليفون وأدار القرص .
 ولم تمض لحظة حتى رد عليه صوت .. استطاع بسهولة أن يميزه .. ومع
 ذلك فلم يشأ أن يورط .. وتساوت بأدب :
 — هدى حاتم موجودة ؟
 وميزت « هدى » صوته .. وأصابتها رجلة .. لم تدع لها مجالاً للحلر ..
 هبنت به .. مرحبة :
 — أهلاً .. وسهلاً ..
 ثم صحت برهة تماكنت فيها نفسها ، وعلدت تقول :
 — تكلمت أخيراً ؟
 — أكان عندك شك ؟
 — تجرئى معك .. لا تبحث على اليقين .
 — وإحساسك ؟
 — يملؤني ثقة .
 — الإحساس أصدق من التجربة .. ولولا الإحساس ما اتخذت إليك .
 — أتسمى هذا انكشافاً ؟
 — بالنسبة لي .. أجل ..
 — متى ستهدى الكتاب ؟
 — الآن .. إذا شئت .
 — الآن ؟

ونظرت هدى إلى المرأة أمامها .. ومرت بأصابعها تخال شعرها .. ثم تحسنت وجهها .

كانت قد استيقظت منذ لحظات عقب سهرة طويلة .. وأحست بثقل جسديا وشحوب وجهها .. وتذكرت عزله وإعجابه .. ولم تحس بمسها الثقة التي تمنحها من لقلائه في هذه اللحظة .. لم يكن بوجهها السهرة الخرسية .. أو الإشرافة والضياء .

ووجدت نفسها — برغم لفتها على لقلائه — تحس بالخوف منه . وأجابته في تردد :

« ألا يمكن أن تزجها .. إلى بعد الظهر .. إلى أنتظر ضيوفاً الآن . »

وتمتني البساطة أجاب :

« لا أفتنى سأجد وقتاً بعد الظهر . سأرسل لك الكتاب الآن مع السائق . يرسل الكتاب . »

أعطتها حقاً .. في لغة على كتابه . وعشيت أن يطول تردها .. فبني المحادثة . ويرسل الكتاب .. وتنتهي المسألة عند هذا الحد .

لا .. لا .. يجب أن تلقاه بأي ثمن . فإنها ليست على استعداد لفرقة أخرى يعلم الله متى تنتهي .

وهفت به في لغة :

« لا .. لا .. إلى في انتظارك .. إلى أستطيع تأجيل الزيارة .. إلى ما بعد الظهر . »

وأحس بفرحة الطفل يحصل على دمته بمجرد أن يطلبها .. ورد عليها في نشوة :

« سأتى حالا .. مسافة الطريق . »

وكأنما قد بدأ بينهما سباق .. فاعطفت الكتاب وانفج من المكعب إلى عرجته .

واندفعت هي إلى خادماتها المجوز « أم حبيب » ، تبغها أن زائراً سيقدم بعد لحظة ، ثم وقفت أمام المحوى تفسل وجهها في عجلة ، وانتفت لوبها الحريري ذا الورد البنفسجية الفاتمة ، والصدر المكشوف والأكتاف العارية .

كان الجو حاراً .. خائفاً .. والنسمة قد جمدت في الجو . ووقفت أمام المرأة ترسم شفتيها بالفرشاة الصغيرة ، وتخط بالقلم الأسود شرطتي جصيا .

وأحست بأنها في حاجة إلى مزيد من الزينة تميز إليها ثقنها بنفسها . وبدت لنفسها كأنها لا تلقى ضيقاً في الصباح بل تسعد لمواجهة تجربة

خطيرة ، وامتحان قاس . وأحست بأن في رورها ، كأنه مبدئ برء ، أو أتملؤزا .

وأخذت تجهف العرق المتصب منها . لماذا لم تزجل زيارته إلى ما بعد الظهر .. قلعلها تكون في حالة أنسب وأفضل ؟

ولكنه عيب .. لا يترك لها فرصة للاختيار . ولتأخذ حل أي وجه .. خير من ضياعه .

وأثقت على نفسها نظرة أخيرة أعادت الثقة إلى نفسها .. لقد كانت بوجه عام .. جميلة .

ودق الجرس .. وقبل أن تصل « أم حبيب » إلى الباب كانت قد اندفعت هي إلى ضحى .

وهزت أم حبيب رأسها .. ومصصت بشفتيها قائلة :

« ما الحكاية .. علاج كل هذه اللهفة ؟ »

وضمت « هدى » الباب فتجد « ساسي » يقف أمامها .

وواجه كل منهما الآخر .

لا يملأ نفسه .. سوى إحساس متعب باللقاء .

لا خوف .. ولا حرج .. ولا خشية .

لم يشعر هو أنه يزور مطربة ، معروفة .. ليس هناك أبداً ما يزور زيارته لها .. حتى ولا إحدائها كتابه .

ولم يشعر هي أنها تستقبل رجلاً غريباً .. ليس هناك ما يمكن أن يربطه بها .. حتى ولا أصابعها بمبادئ ومحاضراته .

ومع ذلك .. فقد أحس كل منهما أنه قد فعل ما يحتم عليه فعله .. وأن لقلبهما .. كان أمراً مفروضاً عليهما .

وشد كل منهما على يد الآخر في فرحة خفيفة .

ودخلا إلى الدور .

وانحدرت مكانها في وسط الأريكة .

وجلس هو على مقعد « غوتيل » بجوارها .

ومضت فترة قبل أن يتحلى كل منهما من الارتباك الذي أصابه .

وتطلع هو إلى لوحة بها « صياد ربحي » و« وحوش » وأشجار .. وتشاهدت هي بتجفيف عرقها .

وتحدثا عن الجور .. وعن أشياء تافهة .

ولم يستمتعا بالحديث فقرر استمتاعهما باللقاء ذاته .

كانت جلستهما الأولى ، أشبه بجلسة الصبية العشاق .. بكل ما فيها من ارتباك .. واضطراب .. وحياء .. وسخافة حديث .

وأنيبته بأنها تشعر بأن في زورها .

وكا يفعل الصبية .. سألتها قائلاً :

— هذا يحتم علي زيارة ثانية ؟؟

وضحكت قائلة :

— لن بشيء من زيارة واحدة .

— وثالثة ورابعة ؟؟

— هذا غير ما سمعته لي وجع الزور .. ليته يدوم .

— سأرورك دائماً ، ما دمت لا تجدني هناك حاجة لعذر .

وانخرقا .. هذه المرة .

وبينما اتفالا صبياني .. على مدلومة اللقاء .

له ؟؟ وكيف ؟؟ وهل أي أساس ؟

لم يحاول أحدهما أن يفكر لحظة واحدة .

كل ما يربطانه .. هو أن يرى كل منهما الآخر .

بلا مشروعات .. ولا عخط .. ولا أهداف .

وفي اليوم التالي .. وكان يوم خميس .. كان يجلس في مكتبه .. ولم يستطع أن يمنع نفسه .. من التفكير في مصر هذه المعلقة .

ماذا يعني منها .. وماذا تنهى منه !

إنه آخر من يصلح لكي يكون عشيقا لمطربة .

إنه لا يستطيع أن يحبها شيئا .. لا تقودا .. ولا جلسات صامتة .. ولا سهرات حراً .. ولا نزعات غلية .

إنه يعرف هذا النوع من النساء .. وهي بالذات .. قد سمع عنها كثيرا .

إنها تحتاج لرجل دى تجارب .. تحتاج لرجل اعتاد السهر ، والسكر .. والبرودة . لا رجل يصبح ثلاثة أرباع عمره في كفاح سياسي .. بين فاعات محس النواب .. وأروقة الحزب .. ومطبعة الجريدة .

إنها لا شئت مخلوعة فيه .

ومن الخير أن يشرح لها حقيقته .

وهي أيضا .. ماذا تستطيع أن تحسه . أكثر من الغيرة .. والقلق ، والقصبة التي لا حد لها ؟!

ماذا يريد منها .. وماذا يدفعه إليها !

أهو المرور الذي يملؤه كرجل .. فضله امرأة جميلة .. على غيره من الرجال !

جائز .

أهو رغبته العارسة .. في الاستمتاع بها كامرأة جميلة تقبل عليه !

جائز أيضا .

ولكن أسفا .. هذا هو كل شيء ؟!

ألم يسبق أن أنقلت عليه امرأة جميلة .. وفضلته على غيره من الرجال ؟!

قطعا .. حدث .

ومع ذلك فلم يحس ها مثل هذا الشعور .. الجارف .. الطاغى .

إنه بلا شك .. شيء أكثر مما انتهى إليه تحليه .

ملفات تريسون ؟

عاود « ساسى » زيارة « هدى » .. بحجة الاطمئنان على زورها .

وكان اللقاء مستغرقا .. عاطفا .. وفي كل مرة كان إحساسهما بالخرج برداد ، وبدأ تفكيرهما في طريقة أخرى للقاء .. بلح عليهما .

« وأنها ذات مرة .. في سياق الحديث .. أنها تعودت أن تذهب إلى بلودان كل يوم جمعة مع بعض صديقاتها خلال الصيف .. وأنها تستحم في حمام المسباحة .. وأنه غالبا يكون خاليا .

ولم يستطع أحد أن يأخذ حديثها على أنه دعوة للقاء .. إنه حقيقة يحب المسباحة .. وقد سبق له أن سبح في هذا الحمام بالذات .. ولكنه لم يخطر بباله أبدا .. أن يذهب للقاء مطربة معروفة مثلها علنا في حمام مسباحة .

والحمام .. مهما كان خاليا .. فلن يعدم بعض نزلاء الفندق عن تجلسون حوله .. ولن يخلو هؤلاء من واحد والذين يمكن أن يميزوا أحدهما أو كليهما معا .. وهما الثنائ مشهوران .. لا يستعصى تغييرهما على أحد .

وتصور كيف يمكن أن تستغل الخصومة الحزبية .. خبرا كهذا .. وتصور ما يمكن أن تحدثه الأقاويل والإشاعات في نفوس أولئك الشبان الذين يؤمنون به .. كمثل أعي .. ومودج طيب .. لا تشويه شائبة .. ولا تعلق به ذرة غبار .

ومما أكده أنها دعوة عابرة .. أو كما يقولون « عزيمة مراكية » .. أنه لم يكن من المعقول أن تغامر ببلقائه وسط سرب من المصديقات .

وترك حديثها يمر مروراً عابراً .. دون أن يعلق عليه .

وانتهى اللقاء .

شيء أقوى من إرادته التي سبق أن صدت عنه الكثرة من النزوات ، وردته على الكثرة من المعامرات ، وحفظته جراً قويا . مسيطرًا .

ودق جرس التليفون .. ورفع السماعة .. وسمع أعذب صوت رددته السماعة في أذنيه :

— صباح الخير .

— صباح النور .

— مشغول ؟

— أبدا .

هو كان حديثها .. أو مواعدها .. ينحى أمامه .. أى نوع من أنواع العمل . وعاد صوتها العذب يردد :

— لقد غبت أمس بالإذاعة .

— الساعة كم ؟

— العاشرة ، وددت لو سمحتى . فقد أحسست لأول مرة أنى أغنى لإنسان ما .. وأن صوتى لا يندد في الهواء .

— صوتك لا يندد أبدا .. إن آلاف الآذان تلتقطه وتحمضه

— وددت لو أن أذنا واحدة التقطته وحفظته .

وضحك قائلا :

— سيحفظه من الآن .. قلب .. لا أذن .

— أحب فذلك .

— إنه حقيقة لا غزل .

— أين ستذهب غدا ؟

— لا أعرف بعد .

— سأذهب أنا إلى بلودان .

وتردد برهة .. فلم يعرف بم عجيب .. أترى قولها غيرا .. ثم دعوة ؟

وأخيرا قال :

— أغلب طي أنى سأتناول العشاء مع سليم جبرى في نادى الشرق .

وأحسست بضيق .

لماذا يأتى أن بهمهم ؟؟ لماذا لا يتحرك تجاهها مرة واحدة ؟؟ لماذا يصبر على أن يجبره دائما ؟؟

وكانت تحس بلهمة عليه .. بلهفة تدفعها إلى الاستمرار في تصرفاتها الإيجابية .. فقالت له :

— ألا تستطيع أن تأتى إلى بلودان ؟

هذه المرة .. لم يكن في الدعوة شك .

لم يعد هناك مجال لتردد . أنها كانت النتائج فلا يمكن أن يرد دعوتها .

وأجاب صاحكا :

— سأتى .. وأمرى إلى الله .

وصدمتها لمجة الرد . وأحسست أن كبرياءها قد عذشت ، فردت عليه في ضيق :

— لا داعى لأن تترك أمرك لله .. ليس هناك ما يكرهك على الجيء .

وأحس بالندم على قوله وأجاب مؤكدا :

— لم أقصد أبدا .. أنى سأتى مكرها .. كل ما هالك أنى اعتقدت أنه لن تكون

هناك فرصة طيبة للقاءك مع وجود صديقاتك ، وزجة نزيلاء الفندق .

— لن يكون مسمى أحد ، وإذا كنت تفضل أن يراك ...

وقاطعها قائلا :

— لن أبحث شيئا ، سأتى لك .

— سأكون هناك في الحادية عشرة .

— سأكون هناك قبل هذا الموعد .

وفى تلك الليلة ، لم يكذب بتبى من مراجعة آخر صفحة في المراجعة ، حتى

استقل عربته .. وبذل أن يتجه إلى بيته أمر السائق بالاتجاه إلى بلودان .

وبات ليته في الفندق .
 واستيقظ في الصباح ، يملأ نفسه إحساس عجيب بالحياة .
 إحساس الطفل ينتظر متعة .
 شيء ما بدأ في حياته ، جعله يترقب وينتظر ، ويتهلف .
 شيء ما ، منحه إحساسا بالراحة في طريقه للقاء بالمثل والجهد والمشقة
 والمثو ، والمسابق مع الزمن .
 شيء ما ، محه ، أملا أحل قليلا ، من آمال الكفاح ، والصراع ،
 والانتصارات السياسية .
 شيء ما ، جعل لوجوده ، وتفكيره ، حلوة جميلة ، وطعما محسوسا
 شيء ما ، جعله يفتح الناعدة ، لاستقبال نسيم الصباح ، ويلقي بصره عبر
 المشجرات الخضراء ، والوديان العريضة ، ليصل إلى القمم البيضاء التي تبدو في
 أقصى الأفق ، مختلطة بالسحب ، متشابكة مع رقيقة السماء
 شيء ما جعله يحس . أن إنسانا آخر .. يحس داخل الإنسان المكافح
 المناضل .. إنسانا آخر ، يخالطه شيء يلذوب من فرط الرقة والحساسية ، إنسانا
 آخر ، أقل اثرا وروية ، وأكثر نرفا .. وطيشا .
 إنسانا آخر ، يريد أن يفهم ، ويعني ، ويلعب ، ويفعل الأشياء التي كان يفعلها
 بسهولة منذ سنوات غلت ، قبل أن يشعر بمسؤوليته أمام الناس .
 وبعد هذه ، يفتح الراديو .
 لقد فهمي أن يسمع صوغها .
 ولكن الراديو خذله ، وأذاع نشرة أخبار .
 وهما مضى كان يعتبر بشرة الأخبار ، أهم ما يمكن سماعه . ولكن الإنسان
 الطائش النزق ، الذي صحا في بطنه ، سرعان ما أسكت صوت المذيع .. وهبط
 يعضو .. بالقمص وبالبطون ، إلى قاعة الفندق .
 وتناول الإفطار ، ولم يعلق الجلوس ، فاندفع بين الرها الخضراء المحيطة بالفندق .

ودار حيرة واسعة حول حمام السباحة ، ثم عاد إلى طريق الحمام ، وأخذ يرقب
 ليلاء الزرقاء الصافية .. وكان الحمام غالبا .. لا أثر فيه مخلوق .. وكانت الساعة لم
 تبلغ بعد العاشرة .
 وأحس « سامي » ببطء الوقت ، وهو الذي كان يتمنى لو أوقف الساعة ،
 حتى يجد لنفسه طسحة ، في زحمة أعماله .
 وعاد إلى حيرته .
 واستلقى على فراشه برهة .. ثم قفز .. مرة أخرى . ووقف يرقب الحمام من
 الناعدة .
 ولم تغفل وقفته ، إذ بدا له شبحها يقترب من الحمام ، فاندفع بهادر الحجر في
 حافة الصبية .
 وبعد لحظات ، كان يسبح ولهاها في مياه الحمام .
 وأحس كلاهما بطمأنينة ، وهما يجدان الحمام ، كأنه بركة خاصة بهما .
 وجلس كلاهما على حافة الحوض .
 بمزمار إحساس بنشوة عجيبة .. جعلتهما يعلمان كل تضكرو في عشية أو
 حذر
 وعصمت لحظة ، وهو يرقبها ، وقد شرد به الذهن .
 وقالت متسائلة ، كأنها تحاول أن تستدعيه من شروده .
 — فهم شردت ؟
 — فهاك .
 — كيف ؟
 — لست أفهم .. لماذا أحس بك كصبيته مرافقة تمارس أول تجربة حب ؟
 — وماذا تنكر من إحساسات ؟
 — إنك لست كذلك ، أو هذا على الأقل ما كنت أتوهمه
 — كيف ؟

— كنت أتوهم دائما ، أنك امرأة قديرة .. تعرفين كيف تعاملين الرجال ، بلا حياة ولا ارتباك .

— قد أكون هكذا مع شريك .

— وكنت أتوهمك لا تنامين قبل الفجر .. لا تغادر الكأس يدك . واستغرقت في الضحك ، وقالت :

— وماذا أيضا ؟

— وكنت أحس أني سأجد حولك زحمة .

وعادت تسترق في الضحك أكثر . وقالت في صوتها الخلو :

— أنا لست عربية ، كما تظن .. إن حياتي ، بسيطة جدا .. لا أشرب إلا إذا اصطرتني المناسبة ، وكأنا واحدة ، من باب المجاملة ، ولا أتأخر عن البيت بعد أن تنتهي أختي على المسرح .. وبقيت حياتي ، جلوس في البيت أو ذهاب إلى السينما .. أو زيارة لبعض الأصدقاء .. هذه هي حقيقتي . ما رأيك ؟ .. أنصّر على ألي عربية ؟

وهذه ساسي ، رأسه وأجابه في شيء من الشرود :

— عجيب !!

وهبت سمة باردة .. وأحس بها ترجمع ، فقال وهو يهيس :

— هي ترتدي ملابسنا ونقوم بجولة حول الحمام .

ولارتدى كل منهما ملابس .. وسارا في المنحدرات الخضراء المحيطة بالحمام . ثم استقر جها المقام على قطعة حجر مستوية كالقعد .. وهنا كل منهما شارد التهن .. صامتا .

وفجأة .. أطلق هو السؤال الذي كان يحرق ذهنه .

قال متسائلا :

— ماذا تريد مني ؟

ولما جاءها السؤال .. وكاد معناه المباشر يثيرها .. وكادت تحجب عليه غاصبة :

— وأنى شيء تمكك أنت ؟

ولكنها أحسّت .. بما يقصده من سؤاله .

إنه حائر .. لا يعرف ما يستطيع أن يمنحها .. إنه يتخيل أن مثلها .. لا بد أن تريد شيئا .

مالا .. جاءها .. شهرة .

شيء ما .. لا بد أن يؤخذ كخمين للعلاقة .

وهو لا يملك من كل هذا شيئا .

فهي تعرف أن دخله محدود .. ووقته محدود .. ومركزه ومهمته .. لن تجعلها تتمتع بهما .. ولا مركز .. أو بأى ثمن يمكن أن تمنحه لياها .. علانية العلاقة بينهما . إنه لا يملك إذن .. المقابل .. السرى .. ولا يستطيع أن يبيع المقابل العلنى .. ومع ذلك لم تشعر لحظة واحدة . في إحساسها له .. ولطفها عليه .. أنها تريد شيئا من هذا كله ، أو أنها تخشى أن تنقصه فيه .. وتحرم منه .

إنها تريد منه شيئا واحدا .. وفي صوت خافت وجدت نفسها تمس بذلك الشيء :

— أريد حيلك .

وأحس بأنها قد نطقت الكلمة الوحيدة التي يتلطف عليها ، وأنها طلبت الشيء الوحيد .. الذي يستطيع أن يمنحها إياه بإخلاص .. وإغداق .

ولم تعرف هي كيف نطقت الكلمة .

لم تكن تقصد أبدا .. أن تحرف بجمه .. أو تدخل معه في مساجاة .

ولكنها أحسّت ببساطة أن هذا هو ما تريده فعلا .

ولم يكن يعرف عن نفسه قدرة على المساجاة ، وكان أكثر ما يصجره دائما .. هو نطق اللفاظ الحب .

ومع ذلك فقد وجد نفسه يهيب ببساطة :

— سأحيك .. دائما .. دائما .

وأحسنت من قوله .. إخلاصا عجيبا .. ملأها بالسكينة والراحة .. وقبل أن
تجبه أحسنت بوقع أقدام لدوس الأعشاب .

وانتفتت ورائعاً .. وبدا عليها الارتباك . وسرعان ما حولت وجهها إليه .
وسألها سامي :

— ما بالك ؟

— أبداً .. يبدو لي أنه شخص أعرفه .. ولست أريد أن يرانا أحد .. لأنني أكره
أن يمسك أحد .

وصمتت برهة ثم سألته :

— هل يقترب منا .. أم يتجه إلى الفندق ؟

ورفع « سامي » رأسه ورأى رجلاً كهلاً يتباعد في المنحدر إلى باب الفندق
الحلقي .

— بل يتجه إلى الفندق .

— صيقت لي .

وحقق « سامي » النظر منه واحتر كيف يصفه :

— طويل القامة .. أبيض الشعر .. أحمر الوجه .. يرتدى بدلة كحلية .

وصمت برهة ثم قال :

— لست أعرف كيف أصفه أكثر من هذا .. لماذا لا تنظرون إليه وتتحققن
منه ؟

— لا أريد أن يراني .

وأعند « سامي » يتبع الرجل في شيء من الصبق والذهشة .. ورآه يستدير
فجأة ويغير اتجاهه .. ويقبل عليهما . فهتف بها :

— إنه قادم .

وزاد ارتباك « هدى » .. ثم رضت كنفها في هرة استهتار وقالت :

— لئلا .

واقترب الرجل .. وحياهما .. وقالت هي بواجب التعريف .. في عمر
اضطراب .

وجلس الرجل بجوارهما على حجر آخر .. ولم يدلسامي .. كثير ترهيب ..
وجرت بينهما مناقشة .. عادية .. سألها :

— ألم تأت هنا معك ؟

— لا .

— ظننتكما على موعد هنا .

— كان المقروض أن يحضر سوياً . ولكن حدث ما اضطرى إلى التخلّف

فاعتذرت .. ثم رآل العذر .. وحاولت أن أتصل بها فلم أفلح .. فاضطرت إلى
الاجيء وحدتي .. وقد لقيت الأستاذ سامي صدقة .

وأحس « سامي » من حديثها أنها تعذر للرجل .. وأحس أنه له عليها حق
الاعتذار .

وضافه الأمر .

ولكنه لم يملك سوى الصمت .

ولم تطل جلسة الرجل

وكا حيا .. بغير صدقة .. ودع بغير صدقة .

ولم تبد « هدى » .. أي نوع من أنواع الانفعال .

وكان عليها أن تقول عن الرجل كلمة توضيحية .. فقالها .. بأشد الطرق
احتصاراً :

— إنه رياضي بك عبد الناصر ، كان صديق أبي دائماً .. إنه يملك مزارع واسعة
في غوطة دمشق .. وعندما مات أبي عشت في بيتهم برهة .. قيل أن أحترف

النساء .. وابنته « هاء » من أقر صديقاتي .. إلى أشعر دائماً بحسبهم عليّ . وهم
أناس طيبون كرماء .. وقد كان معروفاً أن آتي هنا مع ابنته « هاء » . ولكني

اعتذرت لها من أجلك .. ولم يحضر بهالي أتوسكون هنا .

— على أية حال .. لقد عرفت كيف تحبهم له .. وإن كنت أشك في أنه
المتبع

وقلت « هدى » شفتها السفلى وقالت باستعجال :

— يفتتح أو لا يفتتح . أنا حرة في أن آتي مع من أشاء .

وصمتت برهة ثم رفعت إليه نظرة فاحصية وتساءلت في شيء من الخشية :

— هل صابقت شيئا ؟

وهز رأسه قاتبة :

— أبدا .

ولم يكن في قوله صادقا .

لم تكن أول مرة يسمع فيها عن الرجل .. لقد سبق أن سمع باسمه مقترما باسمها .

ولم يعرف بالضبط مدى العلاقة بينهما .

وإن كان أراحه إلى حد ما . إحساسه بأن الرجل لا يمكن أن يكون خصما له .

يد لك جحر

جلس « سامي » في مكتبه وكانت الساعة قد بلغت العاشرة مساء ..
و « فايزة » تقف أمامه حاملة التجربة للطبعة لمقاله الاختصاصي ، وبحواره جلس
صديقه سليم والنائب فؤاد عبد الجبار ذو الميول الشيوعية .

ووضع سامي التجربة أمامه وقال لفايزة :

— أتريدين الانصراف . أم تنتظرين حتى أوصلك ؟

— أنتظر .. إن لم تكن تنوي التأخير !

— لا .. لن أمكث طويلا .

وعادت « فايزة » إلى مكتبها .. وأمسك « سامي » بالمقال يتصفحها .

وقال سليم .

— حيث كنت ؟

— كنت عن اضطراب مفاهيم الأمريكيان للقوى الدافعة في البلاد العربية ،

وحللتهم بين القوى العربية والقوى الشيوعية .

ورفع فؤاد حاجبيه . وتساءل في شبه استنكار :

— وأي فارق عندما بين القوتين ؟

— فارق .. في الجدور والمروع .. فارق في الوسائل والوسائل . فارق في الطرق
والأهداف .

— أتبتد كل هذه التوازيات الطيبة والمعاونات التي قدمتها الدول الشيوعية للعرب

تأييدا هم ضد المستعمر .. ما لنا نسيء ألبية بالشيوعيين ؟

— ليس هناك سوء نية .. وإنما حسن فهم .

— حسن فهم لماذا ؟! أنت تعرف أن الدول الشيوعية قد عررت القوم
القومية .. دائما .. وأنها قد اندجبت في الاتجاهات والأهداف .
— إلى متى ؟!
— إلى ما لا نهاية آ
— تقصد إلى أن يرغمي العرب في أحضان الشيوعية .. وتصبح البلاد
العربية .. إحدى مناطق النفوذ الشيوعي !
— الشيوعية تقف إلى جانب كل مكافح من أجل حريته حتى يستخلصها .
من برائن الاستعمار .
— ويسلمها لها ؟
— أقولك مسهمة .. أنت تسمم أفكار الوطنيين .
— إنما أعير عن أفكارى أنا .
— يجب ألا تكفر بتأييد أصدقائنا .. الذين يعملون معنا من أجل الحرية
والسلام .
— أما لم أكرر هم أبدا .. وأكون عيبا .. إن رفضت اليد المفلودة إلى ..
لتعاوني في فك وثاق . ولكنى أكون أكثر عياء إن استسلمت لها حتى تشد
بوثاق جديد .
— ولكننا لا نريدك بوثاق جديد .. إنما نمنحك العون بلا ثم .
— لا تكن غيبا .. ليس هناك شيء بلا ثم .
— ما هو الثمن إذن الذى قبضته منا الشيوعية ؟
— الموقف الحياذى .. مجرد ابتعادا عن الغرب .. ونحررنا من تبعته ..
واستلاكنا حرية التصرف في سياستنا .
— هذا ربح لنا .
— ولهم أيضا .
— كيف ؟

— وصنعهم في المعاملة على قدم المساواة مع العرب بعد أن كنا تتبع الغرب في
عصومته لهم .. ألا تعتبر هذا ربما لهم ؟
— ولكننا لم نغرم فيها شيئا .. بل حققنا به حريتنا وحيادنا .
— ومن أجل هذا سمنا به .. لقد اعتبرناه ربما مشتركا .
— لماذا إذن نحاول التفريق بين القومية والشيوعية ؟
— لأن القومية .. تعرف أن مصلحتنا .. أن نلف عند الحياذى الفعل ..
والشيوعية تعرف أن مصلحتنا ألا نلف حتى يرغمي في أحضانها .. وستظل
القوتان تعملان في اتجاه واحد ، حتى يتحقق لنا الحياذى .. فتكشف عن أوراقتها ..
وتطلب منا المزيد من الثمن .
— أوهام . وتشكيك في بويا أصنافنا .. هذا كلام لا يصح قوله .
— لا يصح قوله ملك لأنك تؤمن بالشيوعية أكثر مما تؤمن بالقومية .
— ولِمَ لا . وأنا أرى فيها وسيلة لإشاد بجمعا ؟
— بل وسيلة لاستعباد ، وإذغالا وراء قصبان جديدة بح عرف طريقنا
حيذا ، ولن يكون هو الشيوعية أبدا . إنما يجب أن نفرق بين تعاوننا مع الاتحاد
السوفيتي وصدائفه وبين التبعية الشيوعية التى لا يمكن أن نسلم بها أبدا .
وتدخل سليم قائلا :
— لا داعي لكل هذا الجدل الآن .. مادام كل ما متصقا على أن الشيوعية الآن
تعمل مع القومية في اتجاه واحد .. فلماذا لا نؤجل الخلاف ، حتى نتخلص
القوتان .
وأجاب سامي :
— إلى أحب دائما أن أوضح الحقائق .
ورد سليم :
— الحقائق .. ستوضح نفسها في الوقت الملائم
— لا أحب أن تؤخذ على غيرة .

— لا تخف .. نحن دائماً نقف على أقدامنا .. ونعرف طريقنا .
 وضحك فؤاد ساخراً وقال وهو يمد يده مودعاً :
 — أحقن . إن طريقنا واحد .. إن الشيوعية طريق الحرية والسلام .
 وأجابه سامي :
 — سل دول الستار الحديدي .. سل الجبر ، وتشيكوسلوفاكيا .
 ورد فؤاد :
 — لا نتحدث بلسان المستعمر الأمريكي .. هذه كلها دعايات غريبة .
 — وآلاف القتلى في الجبر ؟
 — إشاعة .
 وخرج فؤاد .. وقال سليم لسامي :
 — ماقتلتك معه عبث .. لماذا تصيح وتكف ؟
 — إلى أعرف أنه يؤيدنا الآن .. لأن اتجاهنا يتفق مع الشيوعية .. ويوم أن
 يختلف .. سيكون أول من يتكسب طريقنا . ويحمل علينا .
 وأمسك سامي بتجربة المقال لراحته .
 وبعد برهة دق الجرس مادياً « فائزة » .
 وأقيمت « فائزة » . صعد يده إليها بالمقال ، وقبل أن ينطق بكلمة دق جرس
 التليفون .
 ورفع السماعة قائلاً :
 — هالو .
 وهو جالس .. بأعذب الأصوات .. يبحث به في صوت غميص :
 — سامي ؟
 وأجاب بتحمض :
 — مساء الخير
 — مساء النور .. يبدو أن عندك أحدا ؟

— أجل .
 — إلى أحدثك من المرح .. سأنتهي بعد نصف ساعة . هل أستطيع أن
 أراك ؟
 ونظر سامي إلى سليم وفازة .. محاولاً أن يستطلع مدى إدراكهما لحقيقة
 الحديث .
 ووجد « فائزة » قد أرخت يدها .. وتشاقلت بتطبيق المقال ، وأعد سليم
 بقلب إحدى الصحف .. وكأن كلا منهما لا يهيه شيء من الحديث .
 وحاول سامي أن تكون ردوده مقتضبة لا يهيم بها شيء فتساءل :
 — أين ؟
 — خرج بالعربة إلى جبل « قاسيون » أو إلى طريق دمر .
 وصمت سامي برهة يفكر .
 أمس الصواب أن يخرج ولهاها في عربة . حقيقة أن الوقت منتصف الليل ..
 والطرق خالية .
 ولكن أنقلو الأمر من إنسان يراها سويًا . في العربة .
 وبهذا .. تنتشر الإشاعة .
 ولكن .. نس هذا الذي يمكنه أن يراها في هذا الوقت . ونس يستطيع أن
 يراها .. في ظلمة العربة وسرعها المخاطرة .
 وكان يحس بلهفة على رؤيتها .. لهمة تحمل الخرص . والتعكير المنون ضعيف
 الحجة .. قليل الصمود .. ولم يستغرق قراره أكثر من لحظة أجاب بعدها :
 — أجل .
 — سأنتظرك في أول الساعة . عند نهاية شارع برمانة .
 — سأحضر .
 ووضع السماعة .
 ورغم أنه لم يقل في حديثه أكثر من أجل وأين وحاضر .

إلا أنه أحس كأن مراقبه .. قد اكتشفا أمره .. وكان عليه أن يقول شيئا ،
به الحديث ويحاول إقناع مراقبه ببراعة موليائه .. وهذا الأمر مستصعبا
والنفس مضحكا فصمت . وعذل عن الشرح والتوضيح .

ونظر إلى الساعة .. قائلا لغايته :

— سأضطر إلى التأخير .. يمكنك أن تأعدي العربة لتوصيلك
نرسليها لي .

— لا أريد تعطيلك . إلى أستطيع أن أعود إلى البيت بأي وسيلة
.. لن يكون هناك تعطيل .. ما زال أمامي نصف ساعة على الموعد
وفي سكون .. ألفت طيارة نحية المساء وانصرفت

ورفع سليم عييه عن الصحيفة ونظر إلى ساسي .. وحاول ساسي التهرب
نظرته . والعودة إلى الحديث عن الشيوعية .

ولكن سليم تساعل في إصرار :

— من الذي حدثك في التليمون ؟

— لماذا تسأل ؟

— هدى ؟

وأحس ساسي من سؤال سليم بما يشبه اللسعة .

لم يتخيل أبدا .. أن سليم قد عرف الحقيقة إلى هذا الحد .

وقال ساسي وهو يحدق في سليم :

— لماذا قلت هذا الاسم بالذات ؟

وفذف سليم بالصحيفة من يده وقال في لجة حادة حازمة :

— ألم تكونا معا يوم الجمعة في بلودان ؟

— لقاء عابر .

وهز سليم رأسه في أسف وقال :

— اسمع يا ساسي .. أنت تعرف مدى حيي لك .. ولهايك بك .. أنت عند

شيء أكثر من صديق أكثر صداقة .. إنك شيء أكثر من الإنسان القويم الخلق .
اللطيف العشر . إنك في نظري مشروع ناجح .. إنك أمل كبير .. إنك تباشير
انتصار .. أكره أن يولد في مهده وبندل في منته .

— لماذا تقول كل هذا ؟

— لأني أحشى عليك .. من علاقة .. كعلائقك هدى ، أنا أعرف أنها مخلوقة
لطيفة .. حملة جدابة ، وتصلح عشيقة مثالية .. ولكن ليس لك أنت .. إن أمركا
لا يمكن أن يضي على أحد . أنت معرووف وهي معروفة ، ثم إنها إنسانة متقلبة لا
قلب لها .. إنها لا تقبل على إنسان إلا لمسة . إنها على علاقة برجل في مثل من
أبيها ، هو هـ رياض عبد اللطيف هـ .. وهو معقول أن تكون قد أحبته .. ولكنها
أحبت بقوده ، وعندما تقبل عليك لابد أن يكون لها عندك شيء .

— عندي أنا ؟ ماذا يمكن أن نجد عندي ؟

— مصلحة .. أو فائدة .. لا تتخيل أبدا أنها تحبك من أجل نفسك .. أنا لا
أحدرك معها في بالذات .. إنما أحدرك أن تكون على علاقة بامرأة عامة ، أنا لا
أبكر عليك الحب ، ولا أبكر أن تكون لك علاقة ما .. ولكن ليس مثل هذا النوع
من النساء ، أنت لا تقدر عليها ، ومصورك معها لا يمكن أن ينتهي إلى خير ، وليس
من حقك أن تحطم نفسك .. لأنك لا تحملك نفسك . إنك رمر رائع لآلاف
الشباب الذين يؤمنون بمبادئك . إنهم ينظرون إليك كمثال أعلى . ويؤمنون
بكل ما تؤمن به .. ويفتقون بكل ما يفتق به .. وأنت إنسان مخلص طاهر
مستقيم .. سليم المبادئ . صافي الدهن ، شديد الجفد ، وهذه الأشياء الطيبة لا
يحلها بسهولة ، فلماذا ترعزع فتنهم فيك ولهايك بك ؟

وهز ساسي رأسه في دهشة وقال مستكرا :

— إنم تقول كل هذا ؟ إلى لم أفعل شيئا يستحق هذا اللوم .. أنا لم أرها إلا مرة
أو مرتين .. ثم إن لست أبله .. حتى أسلم نفسي لأي إنسان كي يستطيع

وتخدعني .

— إلى فقط أردت تحذيرك .. فأنا أكره أن تحطم هذا المشروع الناجح
حماقة .. أو نزوة .

— لا تحش على .. أنا لم أرتكب أبدا .. حماقات ولا نزوات .. أنا أعرف
بالضبط ما أفعل ، وأفعله على عقل ، وتفكير .

وبعض سليم والتقرب من سامي وضحه بلزاعيه وقال له :

— لا تضايق سي .. كان لا بد لي أن أقول ما قلت .. لأنني أحبك .. وأمر
منك أشياء كثيرة .
وانصرف سليم .

موقف سامي وحيدا في غرفته ، وقد اضطربت مشاعره ، واعتلطت أفكاره
لقد حرّ تحذير سليم .. صورة هدى في نفسه .

هزّها إلى حد ما .. أو بالتحديد إلى حد الخلل والقلق .

ولكن ليس إلى حد الانصراف والزهد .

لقد كان سامي .. يترك لنفسه دائما ولاقتناعه الشخصي سلطة التنفيذ
والبيت .

لم يحاول أبدا .. أن يتخذ قرارا في حياته .. نتيجة لإيمانه العميق .. أو مصحه .. أو
تحذيره .

كان لا ينصرف عن الجهر .. حتى يلدغ مرة .

وأحيانا مرتين .

ولكنه كان دائما .. يعرف أنه جحر .. وأنه قد يلدغ منه .. إنه لا يترك لنفسه
فرصة الحديعة ، ولكنه يحرصها لقسوة التجربة .

ونظر إلى الساعة ثم مد يده قلقل فألقاها نور المكتب ، واتجه إلى الطريق .

ووجد السائق ينتظر داخل العربة .. فسأله :

— هل أوصلت الست غايرة ؟

وهز السائق رأسه بالنفي قائلا :

— لقد رأيتها تخرج ولم تطلب مني أن أوصّلها .

وأحس سامي .. أن شيئا ما قد رسب في نفسه غايرة ، وضايقه الأمر .

ولكنه لم يملك إلا أن يصبغه إلى الصبيح الذي أصابه من حديث سليم .

كان عازما على السير في التجربة .

مضرا على أن يكون هو الذي يقرر موعد انتهائها .

وسارت به العربة في شارع برمانه .

كان الشارع عاليا .. وسمت الليل الباردة عيب من نافذة العربة .. وأضواء
بيوت المهاجرين تتلألأ على سفح الجبل .

وطلب سامي من السائق أن يتوقف ، ويخط من العربة قائلا :

— انصرف أنت .. وسأعود وحدي .

ولم يفهم السائق بسهولة ما يريد سامي .. لم يعرف أي سيذهب .. ولماذا
ينصرف هو ! ولماذا يعود وحده ! وكيف ؟

ولم يكن توقفه أمام بيت معين معروف .

ووقف السائق برهة . وعاد سامي يؤكد له :

— غلت لك غدة .. ضع العربة في الجراج .. وادع إلى بيتك .. وسأعود أنا .
وتساءل السائق :

— وغدا ؟

— تأتني إلى كماداتك .

وأدار السائق العربة . وعاد أخرجه . ولحق سامي يسير وحده في الطريق ..
متجها إلى الساحة .

وتوقف سامي قرب الساحة . ونظر حوله فلم يلمح عربتها .

وسار الموهبي على الرصيف .

وملاؤه إحساس بالدهشة من نفسه ، ومما هو مقدم عليه .

أكان يحظر بياله أن يقف على رصيف الطريق في منتصف الليل لينتظر امرأة في

عربة ؟

لو قال له أحد ذلك .. لاحتبرها سخرية .

ومع ذلك يفعلها بهساسة .

يجب عليها ألا تستبعد على أنفسنا .. شيئا مهما كان استكارة له .. فليس أنفاس
على الظروف من عيبه لنا وعيبنا له .. ثم دفعا إليه . بهساسة وسهولة تجعلنا
نعجب كيف كنا نمتكره واستبعد الإقدام عليه .

ولم يطل به الفلق .. حتى لمح عربتها الخرزاء تتواتر عليها مصابيح الطريق ..
تكاد العربية تبلغ مكانه حتى توقفت .

ومد يده ففتح الباب .. واتخذ مكانه بجوارها في صمت .

ومحون أن تبس بكلمة .. اندفعت تطوى الطريق المظلم .

ونظر إلى جانب وجهها .. وأحس بأنفاسها تتلاحق .. كأنها تمدو على
قدمها .

ولم يدرك أن أنفاسه هو الآخر تتلاحق حتى همس بها :

— إلى أين ؟

وبين أنفاسها اللاهنة .. وعينها المتلاطمتين .. هضت في صوتها المذبذب

ولمجنبتها الدافئة :

— لا أدري .. أردت فقط .. أن أراك .

إشراق حجب

توقفت العربية بالعاشقين على سفح جبل قاسيون ، وبدت دمشق أسفل
الجبل ، بأصواتها الخافتة المنتثرة . وشجر الصبار يتناثر على السفح .. ومن
ورائه بدت أشباح المآذن .. تتعالى شاحبة في ظلمة الأفق .. وعلى الطريق السفلى
امتدت أشجار الحور كأنها أشباح الحراس على الطريق .

وسكون الليل قد سرى بين حباها الجبل . فكادت هبة الأنفاس تسمع .
وبين آونة وأخرى يقطع السكون صوت عربة صاعدة ، تغمر الطريق
بأنوارها . ولا تلبث أن تستدير .. وتهدأ .. وتفرق في الظلمة .

واستقر كل منهما على مقعده محلقا من وراء رجاء العربية في ظلمات الوادي
الصامت المبسط .

ومد يده فحس يدها .

وتركت يدها مستسلمة ليده .

وتواترت على ذهنه .. تحليرات صاحبه .

ونظر إليها .. في سكوتها المفرغ من المستسلم .

وعسها السوداء بين المسيلين . وأرتبة أنفها الدقيقة المرتفعة .. وشعرها
الأسود المنتثرة عصلاته حول وجهها .

ولم يشعر لحظة واحدة .. أن هذه المخلوقة يمكن أن تتعلق عليها تحليرات
سلم .

إنه دائما يتصرف بإحساسه .

ولاحساسه .. في جانبها .. مائة في المائة .

إنه يشعر بهوارها بطمأنينة تامة .. وثقة كاملة .

يحيط واحد من الشك .. لم يصل إلى نفسه .

الاستغلال .. والخديعة . والمتعة ، وهذا النوع من النساء . و .. و .
وكل هذه التصورات التي استعملها سليم . لا يجد لها موضعاً .. في إحساسه .
هذه المخلوقة العجيبة .. الكامنة بهواره .

أمر الحب ١٩

وإذا كان ١١

فما حيلته .. وقد فرضت عليه نظرة الحب ، وتفكيره ، وإحساسه ١٩
« وتذكر رذها عندما سألتها : « ماذا تريد مني ؟ » .

وهي بها :

— أما زلت تريدني أن أحبك ؟

وأجابته وهي تلتفت إليه وتعقد في وجهه في الظلمة :

— أكثر مما أريد أي شيء في هذه الحياة .

— لماذا يقولون إنك بلا قلب ؟

وازدردت ريقها وهمت متسائلة :

— من قالها لك ؟

— صديق .

— وماذا قال لك أنها ؟

— حلزوني منك .

— كيف ؟

— لا ضرورة للتفاصيل .. لم أتعود نقل كلام الغير .

— أتوقها لك أما . يجب أن يبدأ حساً على قاعدة من الصداقة والثقة .. أما
أعرف ظنون الناس في ، ولكني أعرف نفسي أكثر مما يعرفني الناس ، والزمن
وحده سيصفي منك .

وأحس كأنه جرحها . وجذب يدها .. فرمعاها إلى قدمه ومسها بشمته .

— أنا آسف .. لم أقصد أبداً أن أضايقك .

— لم تضايقني أبداً .. كنت أتوقع أن تسمع عني الكثير .. كنت أتوقع أن
يقولوا لك . إن بلا قلب . وإن لا أعرف إلا المصلحة ، وإن مستعلة ، وإن .
وإن .. ألم يقولوا لك هذا ؟

— تقريباً .

— وأريد على ما قالوا . أن هناك علاقة بيني وبين « رياض عبد الدائم » .

— حتى هذا أيضاً قالوه .

— حس .. حقيقة .. أنه أحس .. وحقيقة أنه عرض عليّ الزواج ، ولكني
أبأت أنه لا أستطيع أن أرد فصل روجته وابنته بانتزاعه منهم .. وأكثر من هذا ، أن
سه ومرحه لا يسمحان له بالزواج ، وأن إحساسه له لم يرد أبداً عن إحساس
الامة لأبيها ، وأصابه قولي بعصمة قاسية .. كادت تقضي عليه .. وأحسنت أن
من وجسي ألا أتغلب على عني في أزمتي .. لقد وقف دائماً بهواري .. في أيام حاجتي ،
وعنتي . وأما لا أشعر أبداً أن في علاقتي معه ما يشينني .. وأشعر أيضاً أني
أستطيع أن أحبه على الشفاء . ومع ذلك ، فإذا كان وجوده في حياتي يضايقك ..
فأنا على استعداد .. لأن أقطع كل صلة لي به ، وأن أفعل كل ما يرضيك .

وصمت .

وصمت هو .

واستغرق في تفكير عميق .

لقد شعر أن من الحق .. أن يسأله أن تقطع علاقتها بهذا الشخص أو ذاك .

وعلاقتها بها .. لم تتحدد بعد .

إنه لا يحس في نفسه . القدرة . على أن يفرص عليها رغباته .

بل هو لم يتبين بعد حقيقة هذه الرغبات .

وأكثر من هذا .

لا يستطيع أن يضمن تنفيذها .
ثم إنه .. إذا حكم إحساسه .. لا يجد أنه قد غلبته عورة ولا خشية ، بل ولا حتى مجرد بغضاء لهذا المخلوق الذي دارت حوله المناقشة .
بل لقد أحس بعد حديثها بنوع من العطف عليه والشفقة به .. وكره أن يكون يدخوله في حياتها قد سبب له شيئا من الحية أو الخذلان .
وأحس بها تضغط على يده كأنها تستحث رقه .
ونظر إليها فإذا بها تتطلع إليه في لفة .
وقالت له متسائلة :
— ماذا صمت ؟
وهز رأسه جيبا :
— لأني في حيرة !
— مم ؟
— من موقفي معك .. أنا أكره قبل كل شيء أن أنتزعك من أحد .
— قلت لك ، ليس لأحد حق عليّ ، ولم يكن هناك ما يربطني بأحد قبل أن ألك .
— وأنا أكره أن أنتزعك من حياتك .. لأتأكد بحياة .. لا أعرف ماذا أستطيع أن أحقق لك فيها ، ولا ماذا أستطيع أن أسحبك خلالها .
— قلت لك إلى لا أريد منك سوى أن تحمي .
وصمت برهة .. ثم نظر في عينها وقال في تروءة .. كأنه يشرح نظرية .. أو يقنع بهلأ :
— لقد أحببتك فعلا .. هذه حقيقة واقعة .. لا جدال حولها .. ولا شك فيها .. دون أن أتصور في يوم ما أني أقع في حب مطربة .. أو ممثلة .. أو أي إنسانة عامة .. ذات تجارب .. لقد كان أقصى إحساس لي يمكن أن أتصوره مع مثلك .
هو الاشتباه .. أو الإعجاب .. أو مجرد الرغبة في جلسة ممتعة مسلية .. أما أن

أشعر بحب حقيقي ، جارف عسيق .. فهذا ما لم أتصوره قط ، ولا أظن أحدا كان يتوقعه مني ، ومع ذلك .. فقد وقع .. دون أن أجده غرابة .. بل وجدته .. أحبك .. كما أحب صبية في السادسة عشرة .. حبا نطيفا .. لا يشوبه الشهاء ، ولا تحيط به مأرب ، ولا يرمعه تدبير ولا توجهه عخطيط .. بل حب سليلي ، بدائي ، وأحسنت في قرارة نفسي أنك أهل له ، ووجدتك مخلوقة بسيطة .. طيبة ، واضحة ، ولم أجده فيك تلك المخلوقة المعقدة .. إل ..
وتردد برهة فأكملت هي ضاحكة :
— العريضة .
ورد مترددا :
— لم أكن أنا صاحب هذا الوصف .
ولكنك كنت الموحى به .
— لا أظنني كنت أستطيع أن أظن بك غير ما .
— على أية حال لا أملك إلا أن أعيد قولي .. سريك الزمن حقيقتي .
— لقد اكتشفتها قبل أن يعيشها في الزمن ، ومن أجل هذا أحببتك .
— لم يعد يسعدني شيء في حياتي فدر أن أسمع منك هذه الكلمة .
— ألا تحسبها .. دون أن أقولها ؟
— أحسها .. ولكني أحب دائما .. أن أحسها منك ، لم أتصور قط .. أنه يمكن لي أن أشفع في حب إنسان كما اندمعت إليك .. إلى لم أفكر لحظة فيما أريد منك .. ولا ما يمكن أن ينتهي إليه حينا .. ولا حاولت أن أفكر .. في هدف .. أو غرض .. أو نهاية .. لقد أحسست بدافع عفي يدفعني إليك مد اللحظة الأولى التي أصررت فيها ، ومضت ثلاثة أشهر قبل أن أراك في المرة التالية ، وعندما رأيتك أصررت على ألا أدعك تغفل مني ، وتصرفت بطريقة مدبغة حقا .. لم أتودعها أبدا من نفسي ، ولا أتودعها من أحد ، ووجدت نفسي في النهاية ، وقد بش شيئا حيوا في حياتي .. بش حرة مأ ومسي .. لا أستطيع أن أحيا بدونك ، بل إلى

لأشعر أن كل تصرفاتي قد باتت معلقة بك وأنى على استعداد لأن أعمل كل ما تطلب .

وأستندت رأسها إلى كتفه ، وأطلقت من صدرها تهنئة راحة .. لم استطدت قائله :

— لم تقل أنت .. ماذا تريد مني ؟

— لا أظنني أريد أكثر مما أردت أنت .. أريد حبك المخلص .

— وماذا أيضا ؟

— لا أريد أن تكلمني على أبدا ، إلى أستطيع أن أفهم ، وأقدر وأعذر ، ولست أحب أن أكون سببا في إيلام أحد ، ولكني أحب دائما أن أعرف الحقيقة ، وأحب دائما .. أن أسحب نفسي .. إليك أدرى بما يجب أن تفعل ، وما لا ينبغي أن تفعل ، وليس لأحد منا القدرة على مراقبة الآخر ، ولا أظن هناك أهدأ من طمأننتنا .. من أن يشعر كل منا بمسؤوليته في حبه ، وبثقة المطلقة في الآخر . وأحسست به يتحدث بمنطقه ، أكثر مما يتحدث بمشاعره ، ولم تملك إلا أن تنجب عليه قائلة :

— لن أفعل أبدا .. ما يضيقك .

ومدت يدها .. فأدارت مفتاح الراديو .

وسمع أغنية لإحدى المطربات .. فأسرع بإغلاقه قائلة :

— أتعرفين أنك لم تنفّ لي وحدي حتى الآن !

— أتعرف أن كل ما أعبه منذ عرفتك .. لك وحدك ؟

وظفرت إلى الساعة ثم قالت :

— أتدري كم بلغت الساعة ؟

— كم ؟

— الثانية .

— عجيبة ! . هذه السرعة ؟

— لقد أغرتك عن موعد نومك

— إلى محط السهر في الجريدة .

— إلّا ؟

— إلى منتصف الليل .

— إذن نعود الآن ؟

— والأغنية ؟

— في الطريق .

— أنفين .. أثناء القيادة ؟

— أغني وأنا أقوم بأي عمل .. حتى وأنا نائمة .

وأدارت العربة وهو يتحسس شعرها وجانب وجهها .. قائلة :

— كنت دائما أظن أن أعرفك .. كنت أحب وجهك دائما .

— لماذا لم تأت إليّ ؟

— لو تخيلت أنه يمكن أن تحبني .. لما عادت عتبة بيتك .

وأطلعت العربة متحدرة في الطريق على سمح الليل .

وتسألت هدى :

— أين تريد أن أذهب بك ؟

— إلى أي مكان في طريقك .

— وأين عرفتك ؟

— صرقتها مع السائق .

— وكيف ستعود ؟

— بأية وسيلة .. سأعبد تاكسي أو أتمشي .

— ولماذا لا أوصلك ؟

— وسير معا في الطرقات ؟

— الساعة الثانية ، هل تظن أحدا يمكن أن يصادفها الآن ؟

— لا أظن .

— سأذهب بك حتى البيت .

وانطلقت نفسي .

ومرة أخرى وجد سامي نفسه في موقف لم يتصوره .

امرأة جميلة .. تحمله في عربتها .. وتغني له .. في شوارع دمشق الساحة الثانية

بعد منتصف الليل .

ومرة أخرى شرد بذهنه ..

وبعد ١٢

مأخرة .. كل هذا ١٢

ولكنه سرعان ما نقض الأوهام عن رأسه .

إن من حقه .. أن يستريح .

من حقه .. أن ينعم في حياته الشاقة .. الجافة .. المرهقة . بعثرة راحة ، تبعثه

على مواصلة السير .

وهو لم يؤد أحدا .

ولم يسرق من أحد متعة .

وأعاده من شروده صوته العذب يتسائل :

— أسمعني .. أم تسمع وسواسك ؟

وصحك قاتلا :

— لا أحب أن أكذب عليك أبدا .. لقد تعلبت الوسواس .

— أحب صدقتك .. ولو ألقى .. لو قلت تسمى لصا يقتني .

— اعترفي . — إلى أفعال أسياء .. لم يخطر ببال أن ألقمها من قبل .

ومدت يدها فضيقت على يده وهمست به :

— أعرف هذا .. أعرف جيدا .

وانحدرت العربة .. من طريق برمالة .. مارة بقصر الصياغة ، ثم انجذبت يمينا ،

إلى الطريق المصحح بجوار بردى .

وتساقطت قاتلة :

— إني أسير على غير هدى .. أرسدني .. وإلا قضيتك الليل سائرة بك .

— لم تخطئ كثيرا .. سنسير حتى الجسر ، ثم نتجه يسارا إلى شارع بغداد .

وقبل أن تصل العربة إلى ميدان السبع بحيرات قال سامي :

— أظن هنا يكفى .. سأسير للمسافة الباقية .

ومد يده .. فأمسك بكفها .. ثم رفعها إلى شفطيه .

وسأله قاتلة :

— ستحدثني عدا ١٢

— غدا .. وبعد غد .. وفي كل وقت .

وهبط من العربة . وسار في طريقه .. وأخذت هدى ، ترقب شبهه يتابعه

في الظلمة حتى اختفى .

وتصاعدت من صدرها رغبة .. ثم انطلقت بالعربة

لم تعد إلى البيت .

كانت تحس أنها سعيدة .

أسعد مما تستطيع أن تحمل .

لأول مرة .. تحس بأنها مخلوقة .. نخبها .

لأول مرة تحس أنها تريد أن تعانق الأشجار .. وتثقل الأرض المحضراء ..

وتمسح وجهها في مياه النهر .

إنسان جديد .. استيقظ في داخلها .

إنسان طال انطواءه ، حتى كادت أنماسه نحمد .

الإنسان . الحنون . الطيب . الرقيق .. الودود .. المحب لكل الناس

كيف استطاع هذا المخلوق إيقافه ؟

وأخيرا توقفت بها العربة أمام باب البيت .. المنطل على بردى ، المواجه لمسبح

الجبل ذى الأنوار المتلألئة .

ودفعت مفتاحها في الباب .

وأضاءت نور القاعة .

ووجدت « أم حبيب » قابعة فوق أحد المقاعد .

وهفت بها هدى :

— أما زلت يظننى ؟

— فلفت حليك .. لم تخبرنى أنك ستأتينين .

— دُعيت دعوة مفاجئة .

ورفعت « أم حبيب » وجهها المعصن وحدثت فيها . بقدر ما استطاعت أن

تحدث عيناها وقالت في شيء من الدهشة :

— أبة دعوة هذه ، التى جعلت وجهك يشرق كل هذا الإشراق ؟

— حقيقة .. أتريين فى شيئا جديدا ؟

— إن لم يكدعنى يعمرى .

— لم يكدعك أبدا .. إنها إشراقة حب .

— حب ؟

— أجل يا « أم حبيب » .. إلى أحب .

— تخبرين ؟

— لا تصدقين ؟ معك حق ، أنا نفسى لم أكن أصدق ، ولكنى أحب حقيقة ..

أحب وأحب .. هل هناك أجمل من هذا ؟

ونظرت إليه « أم حبيب » نظرة حذر . وهرت رأسها قائلة :

— لم أرك أبدا فى هذه الحال .

وتوقفت « هدى » أمامها وتهدت قائلة :

— أتخشين عني ؟

— ربما .

— ولكنى لا أحس بالخشية على نفسى !!

ومدت « أم حبيب » ذراعها لمصتها إليها هامسة :

— استمتعى يا حبيبى .. استمتعى بأمانك .. وحياتك . فليست أنت التى

يحبها أن تنعم بالأمان الرتبة . والحياة الحالية .

وصمتت الخادم العجوز برهة ثم استطردت :

— أترينه يستحق حبك ؟

— بل يستحق حياى كلها .. إن به كل ما تمينه فى رجل .

— بعين الحب ؟

— وعين العقل أيضا .

— ونهايتك معه ؟

— لم أفكر فيها ، ولا أريد أن أفكر فيها .

وسارت « هدى » إلى حجرها .. ووقفت فى الشرفة ، ترعب هر بردى ، وقد

حجبت هروع الشجر القائلة أمام البيت .. ثم تطلعت إلى سمح الجبل المتلألئ ،

وشردت يصرها .. إلى حيث كانت تجلس بجواره مد لحظات فى حيل قاسيون .

ووضعت أنفها على الزجاج فكسته أنفاسها ببطيئة من الصباب .

ووجدت نفسها بلا وعى ترسم بأصابعها كالأطفال كلمة « أحبك » .

www.mlazna.com

^ RAYAHEEN ^

— نعم .

— ماذا بك الليلة ؟

وهزت رأسها قائلة :

— لا شيء .

— لماذا كل هذه المجلة ؟

— أبدا .. متعبة .

— فقط ؟

— أجل . أشعر بهداع . وتعب في الزور .. الظاهر أنها مبادئ إنفلورما .

ولم تبد على « شكري » علامات الانقباض وعاد يقول لها :

— ما رأيك في أن نتعشى سويا . أدعوك ، أو تدعيني ؟

ونظرت إليه « هدى » في حلق .

— قلت لك إني متعبة .

وهز « شكري » رأسه قائلا في تشكك :

— لا أظنها مسألة تعب ، منذ بضعة أيام .. وبك شيء .

— لا تكن أبله .

— لست أبله .. أنا أعرفك جيدا .

وارداد الصبق بهدى . وهمت بالدخول إلى المحبرة وهي تقول محاولة إنهاة

الحديث :

— تصبح على خير .

ولكن « شكري » أمسك بذراعها وتساءل في صبر نائد :

— لماذا لا تكلمين عن هذا الصاد ؟

— الصاد ؟! .. في أي شيء ؟

— في عدم الزواج ؟!

وبدت الدهشة والاضيق على وجه « هدى » وأجابته :

٧

الحديث ١٢

وقفت « هدى » أمام الميكروفون لتتشد أغنيها .. وقد اردحت القاعة ،

وتعالت صيحات الإعجاب .. ولهملك « شكري » رئيس الأوركسترا في العرف

على إلفانوف ، وأخذت أصابعه تنقل بخفة ومهارة وسرعة .. وجعل جسده يتمايل

ورأسه يهتز .. وتعلقت عيناه بهدى . يرقبها في إعجاب ولهفة .

وأوشكت الأغنية على الانتهاء .. وتعالت أصوات المستمعين . تطلب

الإعادة . وهم « شكري » في حماسة بإعادة عزف المقطع الأخير من أوله ..

ولكن « هدى » التفتت إليه وهمس في قلق :

— دعنا ننتهي . أكمل .

واستمر « شكري » في العرف متمسكا الأغنية . وضح الجمهور

بالاحتجاج .. ونظرت إليهم « هدى » ، وأشارت إلى حجرها متمسكة .. ولكن

الجمهور عاد يصيح .. ولم يجد « شكري » بلدا من إعادة عزف المقطع من أوله

وعادت « هدى » تهمس به :

— بسرعة .

وانتهت الأغنية . ودوى التصفيق .. وتعالي الهتاف .

وحيت « هدى » الجمهور .. وأسبغت الستار .

وأسرعت « هدى » .. إلى حجرها لتبدل ملابسها .. وقبل أن تعلق الباب .

كان « شكري » قد لحق بها مباديا :

— هدى .

وتوقفت « هدى » أمام الباب والتفتت إليه وقد بدا عليها القلق :

— أهدأ وقته ؟!

— ماذا تصرّين على المراوغة والهروب . وأنت تعرفين جيدا أن أحبك .
ونؤمنين أني أقدر الناس على فهمك .. وأكثرهم ملامة لك .

وأحسنت هدى ، بأن صبرها يوشك أن يبعد ، ولكنها كعبت حواجب نفسها .. فقد كانت تريد أن تنتهي منه . ولم يكن هناك وقت تصيحه معه في مناقشة مدى صلاحته لزوجها .. وكانت تعرف أنه مخلوق طيب القلب ، وأن كلمة لينة أفضل في التخلص منه . من الاعمال والاحتداد .

ورجعت هدى ، انضماما على شعبتها ثم رجعت حده في تدليل .. وقالت كأنها تحدث طفلا :

— إني واثقة أنك تحسني . وأقدر عقيرتك .. وأعرف مدى ما تستطيع أن تفعله من أجل . ولكن المسألة لا يمكن أن تؤخذ بهذه الطريقة .. إنها تحتاج إلى تعكير .. وصبر . أنت تعرف أن لكل ما مشاكلك .. دعنا نؤجل المناقشة إلى غد . تصبح على خير .

ولم تدع له فرصة للرد .

ومرقت من الباب وأغلقتة وراءها ، قبل أن تسمع نحيبته .

وبدأت هدى ، تغير ملباسها بسرعة ، والأفكار تتراحم في ذهنها .

في يوم ما .. فكرت فعلا في أن تتزوج شكري .

لقد غُيِّلَ إليه .. أنه أكثر الناس ملامة لها .. ولم نجد ما يمنع من أن تعامر معه بتجربتها الثانية في الزواج .

لقد كان أكثر الناس صفة بها في صحتها . وأقصد بهم — كما قال — على دعمها

بل لقد كان لأحاديث التي وصفتها لأحاديثها ، فصل كبير في عذابها ، وكان مخلوقا طيبا .. باجها .

ولكنها مع ذلك كانت تشعر بالتردد . وكانت لا تقفأ تراويع ونهرج . من الإجابة القاطعة والرد الحاسم

لم تكن تحس بالقدره على تحمل مسؤولية تجربتها الثانية .

عندما فشلت التجربة الأولى . استطاعت أن تبقى اللوم على أبيها — رحمه الله — لأنها لم تكن المسؤولة عن التجربة .

أما الآن .. وهي المسبورة على أمر نفسها .. المتحكمة في مصيرها ، فعل من تلقى لوم الفشل .. وهو أمر محتمل .. بل أكثر من محتمل !

إن شكري ، عجبها .

ولكنها لم تحس بأن لحبه هذا صدى في نفسها .. ولا أحس بأنه شيء نادر .. يحزن الإنسان به .

فقد أحب شكري ، ثلاثة أرباع رقصات المسرح .

حقيقة أنه ميزها عن عجب يطلب الزواج .

ولكنها تعتقد أنه تميز مرجعه إلى أنها استعصت عليه بعور ورقة الزواج .. على حين لم تجوجه الباقيات إلى هذه الورقة .

أو .. ربما .. قد أحبها .

ولكن ما قيمة حبه عندما ، إذا كانت هي نفسها لم تحبه ؟!

ومع ذلك .. كانت .. لا تستبعد فكرة الزواج منه .

كانت كفة حساساته .. تتأرجح مع كفة سيئاته .. وكانت في بعض أوقات وحشتها .. ووجدتها .. بهم بأن توافق على الارتباط به .

لقد كان وحده .. أبهر من يلف على مسرح حياتها .. لا يشاركه إلا « رياض » .. في وقته المصرة .. الملحة .. التي لا طائل تحتها .. ولا غرض منها .

إن استحالة وضع « رياض » كزوج لها أمر معروف منه ، ومع ذلك لا يستطيع أن يبرح قدمه من مسرح حياتها ، ولا هو بقادر على أن يتحس من طريقها .. وهو

قد يمسحها بعض الأشياء الباعثة .. ولكن هذه الأشياء لا يمكن أن تنسى عن الأشياء الحيوية التي لا يمنحها لهاها .

وكان الاثنان ، مع عشرات المحبين والخصين ، والمشتبهين الذين يلتصقون من

حولها ، ويتسابقون إلى التقرب منها .. يجعلونها .. تنف من الكل موقع المشاهد .. المهاد .. الذى لا يجد هناك ما يدعوه إلى المجنونة .. أو التفتق .. أو الحزم وسرعة البث .

كانت المسألة على حد قولها .. « ماشية » .

وكان يمكن أن تدوم وقتها .. المهادية .

أو أن تختار « شكرى » .. بلا انفعال ، ولا حماس .. أكثر من انفعالها .. بوجرة طعم .. أو حماسها لتدخين سيجارة !

حتى ومضى البرق فى حياتها .

وبدا على ضوءه .. هزال الأشباح .. التى كانت تعيط بها . وغلا حياتها .

وشعرت بأنها أصبحت قدرة جديدة على التمييز .. والخس ، والتسوق .

ولم يجد هناك .. وجه .. لوقفة التردد والمهاد ، والخيرة .

فقد اندفعت فى عصف .. إلى مصدر الإشراق .

اندفعت بلا وعى ، ولا إرادة .. لتتضمع بين ذراعيها ، وتستمتع بإشراقه وبعجه .

اندفعت .. بلا تفكير فى عاقبة ، وبلا تحديد هدف .. أو تخطيط للتأجيل .

اندفعت .. وهى تشعر .. أن أسوأ النتائج ، وأوخم العواقب .. بل الموت ذاته .. لا يمكن أن يوقف اندفاعها إليه .

لم يكن هناك ما يوازئها أبدا .

ولم يكن هناك — بالنال — وجه .. للتفكير . فى شكرى ، ولا غير شكرى .

وانتهت من إبدال ملابسها .

وفضحت باب الخيرة وأسرعته إلى التليغون .

كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف ، وسامى ينتظر محادثة منها .

حتى ينزل للقاءها .

وقبل أن تصل إلى التليغون أبصرت محمود « الجرسون » يقبل عليها قائلا :

— التليغون يا ست هدى .

ومثلكتها دهشة .

أسفول أن يكون سامى قد طلبها !! لِمَ لا ؟! إذا كان قد سوى الاعتذار .

وأحست باعتراف ضيق ، وكأنها طفل حرم فجأة .. من أجل متعته .

ولكنه .. لا يعرف رقم تليغونها هنا .

وهل يتعثر عليه الحصول عليها ؟ إنه يعرف المسرح الذى تعمل عليه ، والرقم موجود فى دليل الهاتف .

وأقبلت على حجرة التليغون .

وأغلقت الباب عليها ، ورفضت السماعة . وتسايلت فى اضطراب :

— آلو .. مين ؟

ولم يرد عليها صوت سامى . بل صوت آخر كانت تعرفه جيدا . هو صوت رهاى :

— مساء الخير .

— مساء النور .

— كيف الحال ؟

— الحمد لله .

— ما أخبارك ؟!

— لا جديد .

— أستطيع أن أراك ؟

— متى ؟!

— الآن .

— الآن ؟!؟ غير معقول .

— بئنه ؟!

— لأن .. لأنى .. ما زال أملنى عمل .

— ظننت دورك قد انتهى .
 — المفروض أن يكون انتهى .. ولكنه سيتأخر لأن الأوركسترا لم يكن جاهزا
 — إذن أنتهى بك بعد أن تنتهى .. إن معى عبد الرحيم جودة . صاحب شركة
 أعلام النهضة وبعض الإخوان من مصر ، وقد دعوهم للعشاء ، وستكون السهرة
 لطيفة .
 — لا أظننى أستطيع الحضور .
 — لماذا ؟؟ إنهم يريدون رؤيتك وهى فرصة طيبة للقاءهم .
 — لأنى متعبة الليلة .
 — إذن نأتى إليك ؟
 — غير مقبول .
 — لماذا ؟
 — إن الوقت سيكون متأخرا . لأنى سأذهب مع شكرى وعليه وسليمان
 وبغية الشلة .. لكنى بجانبى عليّة فى رواج أعينها .
 — لماذا تسأليها من جميع النواحي ؟
 — متأسفة جدا .. الظروف هى التى تضطرك إلى ذلك . يمكنك أن تعذرهم
 عسى .
 — لم أتوقع أبدا أن تعذرى ، ولا أبعد ظروفك القاهرة إلى هذا الحد ؟ وقد
 ظننتها فرصة سانحة لأن ألتقيك لهم .
 — إنى على استعداد لأن أراهم فى أى وقت آخر غير الليلة . لماذا لا تدعوهم
 على الغداء عدى غدا ؟
 — لا أعرف مدى استعدادهم .. فقد يكونون مرتبطين بمواعيد أخرى .
 — إذن جرب .. وإذا وافقوا .. حدثنى صباحا فى التليفون .
 — سأرى .. تصبحين على خير .
 — تصبحين على خير .

ووضعت السماعة ، وتكلمت الصعداء .
 وبسرعة أدارت القرص .
 ورد عليها صوت سامى فأجابت فى عجلة :
 — تأخرت عليك ؟
 — قليلا .
 — متأسفة جدا .. أتمنى أن تنزل الآن ؟
 — أجل .
 — سأفأك بعد خمس دقائق .. فى نفس مكان الأمس .
 — حاضر .
 — مع السلامة .
 — مع السلامة .
 ووضعت السماعة ، واندفعت بسرعة إلى خارج المرح ، وبعد بصع
 دقائق .. كانت تتوقف فى طريق برمانه ، لتلتقط سامى وتنطق به إلى جبل
 قاسيون .
 واستقرت العربة فوق المنحدر ، وسادت الصمت برهة ، وأسدت رأسها على
 كتفه وأطلقت نهيضة راحة .. ثم همست غائلة :
 — هذه اللحظات التى أستقر فيها بجوارك .. قد باتت كل حياتى .. إنى
 أحس .. أنى أظل أعود طوال اليوم لاهة مكروبة .. حتى أنضى بك مأجدا
 وأستقر .
 ومد سامى ذراعه فأحاط كتفها وضمتها إليه ، وأسند جانب وجهه على
 وجهها وأجابها .
 — أنا أيضا قد بكّ أشعر بك كهدف أنتهى إليه .. لقد جمعتينى أنظر شيئا
 ممعا .. لدينا ، أعلم به يومى .. بعد أن كنت أصله بغيده .. كما وصفت به أمسه .
 كانت أبهى تمر فى متصلة متشابهة .. بلا علامة مميزة .

واردادت هدى ، ألتصاقت سامى وضمت وجهها إلى وجهه .
وبدا ضوء عربة تدور في المحلر ثم يسلم على العربة في دورانه ، ولم يلبس
حتى اختفى ، وعادت الظلمة إلى المكان .
وانتفتحت هدى ، ورفعت رأسها واستقرت في مقعدها بعيدة عن سامى .
وشرد ذهبا برهة ، وبدا عليها القلق .
وسألها سامى :
— ما بالك ؟
— أبدا .. هذه العربات تثلثني بمصاييحها .
ومد يده ليهبطها بذراعيه .. وقبل أن تسترخى على كتفه ثانية .. بدت عرب
أخرى .
ورفعت هدى ، رأسها عن كتفه . تقرب العربة وهي تدور في المحلر .
ومرة أخرى بدا عليها الاضطراب .
وسألها سامى ، وهو يحس شعرا :
— ما بالك الليلة ؟
وهزت رأسها قائلة .
— لا شيء .
— أنت قلقة .
— إلى حد ما .
— ليس ؟
— خيل لي أن العربة التي مرّت .. هي عربة رياض . لقد تعود أن يأتي مع
أصحابه إلى هنا .
— تخيلين منه ؟
— لست أعشى من أحد على نفسي . ولكني أكره أن يرانا . ويثر حولك
الشائعات .. إلى أخاف عليك أنت . لا أريد أبدا أن يمسك شيء بسى . حتى

لا يضع حيك لي . إلى أود أن أحفظ حيك .. إلى الأبد .
وعاد يهبطها بذراعه وتحس وجهها بشفتيه .. حتى مس أنفه أنفها ..
وأجاب هامسا :
— لن يصيح حيك شيء .. ما دمت تريدته .
ورفعت عينها إلى عينه .
ومرة أخرى .. عادت أضواء العربات الصاعدة في المحلر .. تمر بها في
دورانها .
واستقامت في مقعدها وقد بدا عليها الصيق ، ثم قالت كمن حزم أمره :
— اصبر .. ما رأيك في أن نذهب إلى البيت ؟
— وددت أن أعرض عليك هذا .. ولكني خشيت أن أضايقتك أو أسبب لك
حرجا .
— لا حرج هناك . إننا نستطيع أن نجلس نفس جلستا ، بطريقة أكثر راحة
وأما
وأدارت هدى ، العربة .. وهبطت من المحلر .. وقد بدا عليها القلق
والشروع .
وسألها سامى .. وهو يفتح شرودها :
— أوثقة أنت .. أنه ليس هناك ما يضايقتك ؟
وتصاحت هدى ، قائلة :
— لا يمكن أن يضايقني شيء وأنا بجوارك .
وعندما قاربت العربة بيت هدى . توقفت ، وقالت :
— أنظر من الخيران نزل ها .. وسأذهب أنا لوضع الشرية في الجاراج ..
ثم أعود إلى الشقة .. لأؤكد من يوم أم حبيب .. ثم تعمد أنت إلى .
وهبط سامى من العربة .
واستطردت هدى ، تقول :

— لن تستغرق العملية .. أكثر من بضع دقائق .. تكون أنت قد وصلت إلى باب الشقة .. أترى هذا البيت الذى تقوم أمامه الشجرة .. الدور العلوى .. الشقة التي المظلة على الطريق .

وانطلقت العربة بهدى .. وصار سامى الموهى بجوار السور الحجري القديم عند مجرى بردى .. وهو يمدق في المياه المتدفقة التي تلمع بين آونة وأخرى . في ضوء الصباح .

ووصل إلى باب البيت .. وتلحكه شيء من التردد والحشية . مرة أخرى .. يحس أنه يوشك أن يخطو خطوة جديدة .. ليس يدرى إلى أين تقوده . ومرة أخرى عاد إلى ذهنه تلميذ صاحبه سليم .. وتوالت على ذهنه مراحل كفاحه .. ومركزه في الحزب . وإيمان شباب الحزب به . وثقة رئيس الحزب فيه .. ومبادئ التي كانت شعله الشاعل . وصراعه مع الشيوعيين .. والرجعيين . والمجرمة وأحلامه الضخمة .

وتلحكه تردد ، وهو يوشك أن يصح قدمه على عتبة الباب ، ولكن اندفاع قدمه كان أقوى من تردده .

كانت مشاعره .. أكثر سيطرة من مخاوفه . هذه المخلوقة الرقيقة المرحفة التي مسحت طلعها جديدا للحياة .

هذه المخلوقة العجيبة ، التي جعلته أكثر قدرة على الكفاح ، والتي يمنحه مجرد التفكير فيها .. قوة دافعة .. وريضة متمدة في العمل .

إنه وحده أدرك بها ، وبما يمكن أن تفعل له ، وتفعل به . لا سليم .. ولا غيره من الناصحين .. يرمون عنها ما يمكن أن يعرفه .

هذه المخلوقة .. الحسيلة المحبة الطيبة .. لا يُظن هناك قوة ، من قوى التحدي والحشية .. تستطيع أن تجعله يخلد في وغفاته المنتظرة .

وبسرعة صعد السلم .. ودق الجرس . وفي ثانية .. فتح الباب .. ومدت « هدى » يدها تضغط على يده .. وبالحديد

الأخرى ردت الباب .

III

نوم حزن

في سكون الليل .. وانصمت عجم .. و « سامى » قد استقر على المقعد الكبير .. وراء النافذة الزجاجية المربعة . ومد ساقه على حافة النافذة ، وفي حجره قد استقرت « هدى » . مكشاة بين ذراعيه كالطفل بين أحضان أمه ، وقد وصعت رأسها في صدره .. وأغمضت عينيها وبدأت على وجهها أقصى آيات السكينة والخفوة والاستسلام والراحة .

ومن وراء رجاء النافذة .. أخذ السيم يحرك أوراق الشجرة .. ليكشف عن النجوم تارة .. وعن لآخات النجوم الملونة .. تارة أخرى . ويجرى بردى يمتد متباعدة ، وقد تقاربت حافتاه حتى كادت أن تلتقيان في نقطة في جوف الجبل الشامخ اللقائم

والطريق خال .. مقفر .. إلا من عابر سبيل وحيد .. أو عربة عرق بسرعة في الجانب الآخر من النهر .

وضم « سامى هدى » في رقبته ونحس شفتها وطاقتي أنفها بهشيقه . وصممت عجم حالة :

— أحب أنفاسك .

واستقرت شفتها على شفتيه .. وفجأة دق جرس التليفون . وانفصمت هدى .

واستمر الجرس يندق .. وذهبت عن « هدى » رجعة مفاجأة الربيع وسط السكون ، وتماثلت نفسها ونهضت لترد .

ورفعت الساعة فائلة :

— آلو .

ولم يجب أحد .

وكررت الرد ثانية .. ثم وضعت السماعة وهي مبتل في حلق :

— هية .

وتساءل سامي :

— من ؟

— أنا .

— ليه ؟

— كان يجب ألا أردد .

وصمت « سامي » . متظنرا مزيدا من التفسير . وبدأ الشرود على « هدى »

وهي تستقر في حجره مرة أخرى .

وعاد « سامي » يسأل في شيء من القلق :

— من يكون ؟

— رياض .

— كيف عرفتي ؟ هل قال لك شيئا ؟

— لقد طلبني لينا كند ألى هنا .

— لماذا ؟

— لأنني قلت له إنني سأذهب إلى بيت « عنية » الراقصة لأجاملها في فرح أعنيها

— ولماذا قلت له هذا ؟

— لأنه حاول دعوتي على العشاء مع أحد منتجي الأفلام الأصلاء .

وساد الصمت .. ولم يستطع « سامي » أن يسمع الصبح من التسلسل إلى نفسه ..

وأصمت « هدى » بما أصابه .. فشدت ذراعها حوله وهمت به :

— هل ضاهقت قولي ؟

— لا .

— إذن ما الذي ضاهقت ؟

— إحساسي بأن لك حياة خاصة بك .. وبجالاتي مصلحتك الوجودية ..

لا أستطيع التسليم به .. ولا أملك حرمانك منه .

ومدت يدها تمسحت في شعره .. ونظرت إلى عينيه باسمة وتسايلت :

— ماذا تقصد ؟

— لا أستطيع التسليم به لأنني أثار عليك من كل ما فيه .. ولا أستطيع

حرمانك .. لأنني لا أملك تعويضك عنه .

وجذبت رأسه إلى رأسها وقالت وهي تصع شفتيها على شفتيه :

— فلسفة !!

— بل حقيقة .

وهمت صاحكة :

— يا حبيبي .. يا عبي . لم تعد لي حياة .. سوى أنت .. ولا مجال .. سوى

بجالتك . ولا محيط سوى محيطك .. أنت لي الدنيا . وأنت لي الحياة .. إني على

استعداد للتصحية بكل شيء وبكل إنسان من أجلك .. على استعداد للتصحية

بجالتك ببساطة .. وفي كل وقت .

وخسها إليه بكل ما يملك من قوة .. وأعطى وجهها في صدره .. وهو يمس

بأنها قد باتت جزءا منه .

وملأه إحساس جارف بالسعادة ، وهو يسمع اعترافها بحبه .

ولكن إحساس السعادة كان يشوبه غمط من القلق .. الذي يصيبه كلما

أحس بأنه يخطو خطوة جديدة نحوها .

وعاد يقول :

— أنت أهدأ حياتي .. ولكنني أكره أن أحرملك من شيء لا أستطيع تعويضك

عنه .. إني أثق في حبك .. ولا أطلب أكثر من أن تكوني دقيقة في إعلاصك .

وأن تنصري دائما كأنني بجوارك .

وضمته إليها وهي همس :

— وماذا أيضا ؟

— وكأنك شيء خاص في .

— أحب أن أسمع منك هذا .. أحبه دائما .. يجب أن تثق في إخلاصى

— ويجب أن تثق أنت أيضا في حبيبك ، وإصرارى على الاحتفاظ بك
وبأنه لم يعد هناك شيء يستطيع أن ينزعنى منك .

وأغمضت عينيها وازدادت انكماشا في صدره .

وفي اليوم التالي تأخر سامى عن الحضور إلى مكتبه .

وأقبل سليم على المكتب . فلم يجد سوى « فائزة » .. وحياها متسائلا

— أين سامى ؟

— لم يأت بعد .

— ولكنه لم يعود أن يتأخر .

— ربما كان في سهرة .. ليلة أمس .

— ربما !! .. ألا تعرفين إذا كان في سهرة أم لا ؟

— لقد انصرفت مبكرة وبقي هو في المكتب .

وجذب سليم مقعدا وجلس عليه .. وبدأت عليه علامات التردد برهة ، وهو

يبحث في يدها ، وهي متشاكلة بأوراق أمانها .

وأخيرا قال سليم :

— اسمعى يا فائزة .

ورفعت فائزة رأسها عن الأوراق التي في يدها وأجابت :

— نعم .

— أتعرفين شيئا عما يقال عن سامى ؟

وهزت فائزة رأسها متسائلة :

— ماذا يقال ؟

— أحقا لا تعرفين .. أم تتعاطين ؟!

— لست أعرف عم تتحدث بالضبط .

واقترب سليم بمقعده من فائزة وقال في ضيق :

— فائزة .. إن كلاما يجب سامى .. ويخشى عليه .. ولست أعتقد أبدا أنك لم

تسمعى شيئا .. أو على الأقل لم تلحظي تغيرا في تصرفاته .. فأنت إنسانة ذكية ..

بل وأقرب الناس إلى سامى .

وصمت سليم برهة .. لعل فائزة تتحدث .. ولكنها لم تخرج عن صمتها ..

وضابطه عنادها .. فقال في ضيق :

— لا تريد أن تصرحى بشيء .. حس .. سأقول أنا كل شيء .. فالمسألة في

نظري أخطر من أن تعالج بالمندراة والصمت .. من أقرب الناس إلى سامى .. لا

معى أبدا لأن نقع منه موقف التعرج .. هل تعرفين أنه على علاقة بالمطربة هدى

نور الدين ؟

وأطرقت فائزة ، ثم أطنقت تهيدة وأجابت ؟

— وبعد ؟!

واستطرد سليم متسائلا :

— وهل تعرفين مدى خطورة تورطه في هذه العلاقة ؟

ومرة أخرى تهتدت « فائزة » ، وتساءلت في صوت خفيض :

— وماذا تريدنى أن أفعل ؟

— تستطيعين أن تفعل الشيء الكثير .. إنه يحبك .

وهزت رأسها وأجابت في نبرات حزينة :

— لا أفطن .

— على أية حال .. ليس هذا مجال إثبات حبه لك .. إذا كنت لا تعتقدن أنه

يحبك .. فلا أطيك شكرك أن لك قيمة عنده . وتأثرا عنيه .

— أشك في ذلك .

وهز سليم رأسه في غيظ وتسايل :

— إذا كنت تشك في هذا .. فلا أشك تشكين في أنك تحبيه .

وتصاعد الدم إلى وجهها وصمتت برهة حتى تنالك .

وعاد هو يستحثها متسائلا :

— لماذا لم تحبى ؟

— هب أنتى كذلك .. ماذا أستطيع أن أفعل ؟

— تصارحينه وتطلين منه أن يوقف هذه العلاقة .

وهزت فائز رأسها في استنكار وأجابت :

— هذا آخر ما أستطيع فعله .

— لماذا ؟

— لأنى — كما افترست أنت — أحبه .. وحسنى له يجعلنى طرفا في المعركة

— أية معركة هذه ؟؟ ليس هناك وجه للمقارنة بـكمما . إنك على الأغلب

تتميزين .. بأنك تحبيه .

— وهى ؟

— لا أعلم تعرف الحب .. إن المسألة بالنسبة إليها .. مجرد نزوة . أو تحريم

جديدة مع نوع جديد من الناس .. أو لعلها ترى فيه وجهها من وجه الاستغلال

— إذا كان الأمر كذلك .. فعماذا تخشى عليه .. إنه ليس غيبا .. وهو لا يدرك

يكشف المسألة وينفض يده منها .

— بعد أن تكون قد تزقته وحدثت سمعته ؟

وبهذا الألم على وجه عابرة وهزت رأسها في عصف وتسايلت :

— وماذا أستطيع أن أفعل ؟

— تحدثيه .

— ولماذا لا تحدثه أنت ؟

— فعلت .

— وماذا قال لك ؟

— قال إنه ليس بينها وبينه إلا مجرد معرفة . ولكنى علمت أن المسألة أهم

من هذا .. وأن ...

وقبل أن يتم حديثه .. بدأ سامى مقيلا من الباب .

ولم يكذب بصبر سليم في تماسه مع فائز حتى قال صاحبا :

— مؤلمة .. أم غزل ؟

وأجاب سليم :

— الاثنين .

ومد سامى يده يشد على يد سليم وهو يقول مازحا :

— احلرى منه يا فائزة .. إنه مخادع كبير .

وسار الاثنان إلى مكتب سامى . وقبل أن يجلس سامى قال سليم

— لا أظن هناك وقت للجلوس .. لقد كان موعد الاجتماع

ونظر سامى إلى ساعته .. قائلا :

— فعلا . لقد أُرِف الوقت .. كان موعدا أن أحضر بعض لقطات للنشأة ..

ولكنى لا أظن الوقت يسمح .. على أية حال إنها حاضرة في ذهنى .

ورد سليم وهو يسير بجواربه متجهين إلى قاعة الاجتماع :

— إن الشيوعيين يحاولون كسب أراضى جديدة كل يوم .

— إن وجبنا أن نحذر منهم دائما .. يجب ألا ننسى ماضيهم بينما وموقفهم

تعدائى للقومية العربية منذ عام ١٩٤٠ عندما حاولوا معاونة ثورة رشيد الكيلانى

في العراق .

— لا فائدة .. فقد سبوا فعلا . إننا طيبو القلب . لقد عمرنا لهم ماضيهم .

بعد أن ساروا في طريقنا .

— إنهم لا يسرون في طريقنا . إنهم يتخذوننا رفاق طريق . وعندما

يستعملون أغراضهم ما سيقبلون لنا ظهر الجبن .

— ولكم استطاعوا خداع الكثيرين .

— واجهنا دائما أن مكشفت الخداع .. وألا جعل مساعدات الاتحاد السوفيتي وصدائته وسيلة لسيطرة الشيوعيين على الشعب وتمكيتهم منه .. ومن تميل حططهم فيه .. وواجبا أن تصرّب على كل يد تحاول العبث بمقدراتنا وسلب مكاسبنا التي أعلناها بنجاحنا من الاستعمار .
وهز سليم رأسه حائرا وقال :

— مشكلة .. لست أدري كيف نوقف هذا الخط .. إذا كان الاتحاد السوفيتي يقف في جانبنا ضد الاستعمار .. ويقدم لنا .. كل ما حرّمنا منه الاستعمار .

— إننا نرحب بكل ما يقدمه لنا الاتحاد السوفيتي كدولة صديقة .. ما دام لا يفرض علينا شروطا تقيد حريتنا أو يفرض علينا أي نوع من أنواع التبعية .. نحن نتعامل معه .. دولة لدولة .. ولكنا نقاوم .. كل محاولات التسلل في قاعدتنا الشعبية .. لاستغلال عواطف الجماهير .. وسوقها إلى مبادئ تفرس عليها التبعية الشيوعية .. لا ينبغي أن يستغل أفراد منا .. موقف الصداقة من الاتحاد السوفيتي .. ليسرى كالسرطان ويستغل ويسيطر ، ثم يجرّنا من أعناقنا إلى تبعية جديدة .

— مفهوم .. مفهوم لي .. ولك .. ولكنه يحتاج جهد كبير .. لكي تفهمه الجماهير .

— إن هذه هي رسالتنا .. وذلك هو واجبنا . ولا أقل الجهد الكبير ، سيقتل أكتافنا .. إننا أهل له .

— أرجو هذا .

— يجب أن نقاوم دائما . كل عناصر التسلل التي يمكن أن تزعج إيماننا بمبادئنا ومقدراتنا وبقوميتنا العربية .

ووصل الاثنان إلى حجرة الاجتماع التي احتشد فيها جمع من الشباب .. أقبلوا على سامي وسليم مرحبين بهما في حماس ومودة .

وجلس الاثنان بين بعض نواب الحزب ، يحيط بهم الشباب .. وبدأت المناقشة . حول موقف الحزب من الشيوعيين .. وانطلقت المناقشة شكلا مضطربا متأرجحا .

وجلس سامي صامتا يرقب المناقشة .. وهو يرى مدى تأثير الشباب بمساعدات الاتحاد السوفيتي .. والنظام الشيوعي .
وقال أحد النواب :

— إن رعاء الاتحاد السوفيتي هم أصدقائنا الوحيدون .. لقد وقفوا دائما مع .. إنهم أنصار السلام والحرية .. وأعداء الاستعمار .. وكل من يسعى الظن بهم . لا يمكن أن يكون إلا أناسا للاستعمار الأمريكي .
ونظر إليه سامي قائلا :

— هذا كلام خطير .. لا قبله .. إلى أعلن بكم إلى أسوء الناس دائما بالشيوعيين في بلادنا . وتاريخهم .. يؤيد دائما سوء ظني . منذ أن دفعوا إلى بلادنا على يد المستعمر .. في ١٩٣٠ بواسطة الأكراد والأرمن الشيوعيين ، وهم يقاومون القومية العربية تحت ستار زائف من الإنسانية .. وفي عام ١٩٣٦ عندما كوّنت الجبهة الشعبية في فرنسا واشترك فيها الحزب الشيوعي الفرنسي في حكم « بلوم » ورفض الشعب كنه معاهدة ١٩٣٦ للجائرة . أبعد الشيوعيون هذه المعاهدة مدعين أن الحكم في فرنسا قد أصبح حكم ثورة . وأنه ما دام الحزب الشيوعي الفرنسي مشتركا في الحكم .. فلا يمكن أن تكون المعاهدة التي ترفضها فرنسا .. إلا معاهدة شرف .. وحرية .. وفي عام ١٩٤٠ وقف ضد القومية العربية التي حاولت أن تؤيد ثورة الكيلاني متبها إليها بالارادة . وعندما انتصر خصماء سارت مظاهرات الشيوعية . تطلق النار في شوارع دمشق متبجة بالنصر ، وتعلق صورة ستالين وديجول . بينا كان رعاء سوريا الذين ثاروا من (جيت الدموع — جـ)

أجل الحرية والاستقلال مشردى أو ملقى بهم في أعماق السجون .. وخلال الحرب أيام حكومة فيشي كان الشيوعيون أول التسميين في تشريد هؤلاء الزعماء بوشاباهم التي اهتمت بالثأر .. هذا هو ماضي الشيوعيين .. وأنا أمسى الطي بهم علنا .. واتحدى من يتهمى بأن لسان الاستعمار الأمريكى .
وساد الهجوم برهة .

وازدرد سامى ربه ثم واصل الحديث قائلا :

— ومن ذلك .. أنا لا أقول أبدا .. برضى التعاون مع الاتحاد السوفيتى .. ولكنى أقول بكل ما أملك التابعة الشيوعية .. إن طريقنا واضح .. نحن القوميين نتجه إلى الحياذ .. إلى موقف الوسط .. ولكن لن نسمح لأحد بأن يهدمنا إلى أكثر من ذلك .

إن الحماقة أن نرهب معونة الذى يمد لنا يد الصداقة .. ولكن الحماقة الأشد أن ندع أحدا من بيتنا يجعل من هذه اليد ثقلا يكبلنا به .. وهدمنا إلى تبة جديدة أو استعمار جديد .

إننا نتشارك الآن مع الشيوعيين في طريق .. وسنظل سائرهم حتى نصل إلى نقطة الحياذ .. وسكون على أتم استعداد للثبات في موقفنا .. على أتم استعداد للصراع من أجل كياننا واستقلالنا .. ولن نخشى أن نخوض غمار أية معركة جديدة في سبيل الاحتفاظ بحريتنا وحيادنا .

وصمت سامى .

وأجاب النائب متصنعا الدهشة :

— لم كل هذا يا أستاذ سامى ؟ نحن لم نقل شيئا !

— بل اهتمت كل من لا يسر في ركاب الشيوعية بأنه لسان المستعمر الأمريكى .. وهذا لزهاب لا نقله .. يجب أن تعرف أن هناك من لا يسر في ركابهم .. من غير جماع الغرب .. هناك المؤمنون بالقومية العربية .. وهم كل الشعب .

وحسبك النائب قائلا :

— لا تغضب هكذا .. إلى لم أحاول أبدا .. تحريكك .. أو التشكيك في وطنيتك .. نحن أصدقاء .. والقوميون العرب والشيوعيون أصدقاء .. القوميون العرب .. أصدقاء .. لكل الأصدقاء الذين يملكون لنا يد العون .. دون قيد على حريتنا أو انتهاك لاستقلالنا .

وصفق الشباب بحرارة .. وانتهى الاجتماع بعد بضعة مناقشات .

وعرج سامى وسلم .

وعاد سامى إلى مكتبه ، ومر سليم بفائزة ، وسأله فائزة :

— ماذا فعلتم ؟

وهز رأسه قائلا في أسف :

— خسارة .

— ما هي هذه الخسارة ؟

— أن يزلزل مركز هذا الأخير .. أو تشوش سمعته ، لقد كان اليوم رائعا .. لا

يمكن أن تصورى مدى إيمان الشباب به .

وأطلقت فائزة زفرة حارة وقالت :

— ربنا يستر .

ثم نهضت وإياه .. متجهين إلى حجرة سامى .

— لا أجد على ملائكت الانتباه التي تعودتها .

واجمعت فائزة :

— إنها زحمة العمل .

— فقط ؟

— لا أظن هناك سواها .

— أليس هناك ما يقلقك ؟

وهرت « فائزة » رأسها بالنفي دون أن تجيب .

وقبل أن تتناول منه الأوراق دق جرس التليفون ورفع « سامي » الساعة

وأجاب :

— آلو .. أهلا .

وقبل أن ينطق بكلمة أخرى .. كانت « فائزة » قد انسحبت .. في سكون ..

وهي تحاول أن تخفي من وجهها أية علامة من علامات الانفعال .

وصح « سامي » صوت « هدى » تتسائل :

— أعفك أحد ؟

— فائزة .. وقد خرجت .

— ماذا تفعل الآن ؟

— كنت أقرأ بعض الأوراق .

— أستطيع أن أحذثك ؟

— دائما .

— لا أظن .. أحيانا .. يكون صوتك غير مشجع على الكلام .. عندما تكون

مشغولا .. أو يكون عندك أحد ، وأحس بلهجتك جادة أكثر مما يجب .

وضحك سامي وقال :

— وكيف تخين هجتي الآن ؟

— نصف .. نصف .

فد وضع الفهلو

أقبلت « فائزة » على « سامي » وقد أمسكت بعض أوراق لمرضا عليه ، وقبل أن تجد يدها بالأوراق قالت :

— عبد الوهاب بك طلبك لدعوة على الغداء .

وقبل أن يجيب « سامي » تدخل سليم قائلا :

— أنا أيضا قد دعيت إليها .

وتسائل سامي :

— ما سببها ؟

— تكرما لوفد الأدباء المصريين .. أمرتبط بشيء ؟

— أهدا .

— إذن مذهب سويا . سأمر عليك بعد أن أذهب إلى وزارة الداخلية .

— سأكون في انتظارك .

وخرج سليم ، ووقفت « فائزة » بجوار « سامي » تمرص الأوراق التي في

يدها .. ونظر إليها « سامي » وهو يمسك إحدى الأوراق وتتسائل :

— ما بالك يا فائزة ؟

وردت « فائزة » في لحظة مقتضية :

— لا شيء .

— بل تبدي غير طبيعية .

وهرت « فائزة » رأسها متسائلة :

— من أي ناحية ؟

وحسب « سامي » وقد قرب السماعه من فمه :
— أحبك .

وأجابه هامسة :
— وأنا أحبك .

— أترى بك هذه اللهجة ؟

— لا أتصور أن تحدثني بفهرها .. لست أحب لمحبك الجادة مع الناس .
— وأنا أيضا .. لا أتصور أبدا أن تحدثني باللهجة التي تحدثني بها الناس عندما يحاولون صدقهم .

سألني أحذرك بها أبدا .. سأحبك دائما .. دائما .

وقبل أن يرد عليا .. طرق الباب وبدا رأس « هانزة » من خلاله .

وصمت « سامي » .. وبدا عليه شيء من الارتباك ، وكسا ملامحه مظاهر الجدل .

وحادث « هدى » تساميل :

— وأنت ؟

وأجاب « سامي » بلهجة الجادة :

— وأنا أيضا .

وصدمت « هدى » من فجأة الجفافة .. ولكنها أحسّت أن شخصا ما قد دخل عليه .. وقال « سامي » معذرا :

— ثانية واحدة .

ثم وجه القول إلى « هانزة » مستثلا :

— نعم يا هانزة ؟

— شغيق بك على التلغون الآخر يسأل إن كنت ستحضر محاضرة اليوم ؟
— أجل .

واختفت هانزة ..

ووصح « سامي » السماعه على أذنه وقال معذرا :
— متأسف ، لقد دخلت فائز . ل .

وقاطعته « هدى » قائلة :

— لا أحب فائز .

— لست .. إنها هانزة طيبة .

— أحس دائما .. بأن شيئا ما كان بينكما .

— لم يكن بيننا شيء أبدا .

— كان يمكن أن يكون .. لو لم أدخل حياتك .

— جائز .. وأعتقد في هذه الحالة .. أنها هي التي يجب ألا تحبك .

— ومن أدراك أنها لا تفعل ؟

— لأنها لا تعرفك .. أعني أنها لا تعرف ما بيننا .

— أعتقد هذا ؟

— أعين .

— دعنا منها .. ماذا ستفعل اليوم ؟

— لا شيء أكثر مما أفعل كل يوم .

— ماذا تفعل الآن ؟

— لماذا تسألين ؟

— لأني أحس برحمة إليك .. وأود أن أراك .

— الآن ؟

— ألا تحب أنت ؟

— طبعاً أحب .. في كل ثانية أحب أن أراك . وأن أسمع صوتك .

— أيمكن أن تتناول الغداء سوياً ؟

وصمت برهة . فأحسّت من تردده بشيء من الغرابة وقالت ولي صوبها زنة
أسي

— لا ضرورة لأن تقول نعم . أنا أقدر ظروفك . إنها مجرد أسية تهيئها ..
انس ما قلت .

وأصابته من رنة الأسي في صوته .. لسعة ألم .. إنه يحبها أكثر من أي إنسان في
هذه الدنيا .. ويتمنى لو استطاع أن يمنحها أقصى ما يمكن أن يمنحه رجل لامرأة
يحبها ويحترمها .

وأحس بضيق .. من مركزه .. ومن عمله .. ومن كل ما يحول بينه وبينها ، أو
يحول من حبه إليها شيئا مشينا يجب أن يمارسه علسة .. ويحكم حوله الستار ..
كلذب من الذنوب .

ولم يفلل تردده وأجابها في لحظة الرقيقة التي لا يحس قدرة على التعلق بها .. إلا
في حديثه .. معها :

— يا حبيبتي .. هل أحزنك ترددي ؟! إنني أكره أن أولئك .. لقد ترددت لأني
مدعو على الغداء مع عبد الوهاب بك رئيس الحرب .

ولم تجب . وأحس من حسنها . بالأسى الذي يحتمل في نفسها وبأدائها :

— هدى .

وأجابت في صوت غفيف :

— نعم .

— سأتي لتناول الغداء معك .

— غير معقول !

— لماذا ؟

— لأن أكره أن أسبب لك أي اضطراب في عملك .

— لن يكون هناك اضطراب .. سأعذر له بأي شيء .

— قلت لك لا

— أترفضين دعوتي على الغداء ؟

— أجل .

وأحس بشيء من الضيق .. رغم أنه يعرف أنها لا تقصد ما تقول .. وأجابها :

— لعل شيئا جديدا قد طرأ ؟

— ربما .

— صيف آخر ؟

— ربما .

وزاد إحساسه بالضيق .. وبدأ يحيط من الشك يمسح إلى نفسه .. وقال

مسائلا :

— من هو ؟

— صديق .

— ربما ؟

— جائز .

وصمت « سامي » .. وأحست « هدى » بما أصابه من شك .. فظلت

صحيكتها وهفتت بحسرتها التقليدية التي تهدف بها كلما بغرت منه بأدلة حماقة :

— يا حبيبتي .. يا غبي .. أظن أني أصعب عليك إنسانا في هذا الوجود ؟

ولم يجب .. عادت تسأل :

— أحمقا قد أعضيتك ؟

وأجاب في لحظة عدم الكراث :

— لا .. أبدا .. سأذهب إلى دعوة عبد الوهاب بك .

— بل ستأتي إلي .

ولم يجب ، عادت تهف مؤكدة :

— سأنتظر

ووضع « سامي » الساعة .. ودق الجرس .. وأبليت « لايلا » فقال لها :

— لقد طرأ ما يدعو إلى اعتفاري عن دعوة عبد الوهاب بك .. وربما أتأخر عن
المحاضرة أيضا . عاطلي شقيق بك واعتذري له وسأعذر أنا لعبد الوهاب بك .

ووقت غيرة أمامه .. وقد كست وجهها سارا من الجمود أعشى وراه
انفعاما .. وأجابت في لحظة مقتضية :

— حاضر .

وخادرت غيرة الحجرة .

وبعد بضع دقائق كان سامي يستقل إحدى عربات الأجرة إلى بيت
هدى بعد أن احتل من دهوة رئيس الخروب .

ول البيت .. وقت هدى في المطبخ ، وقد ارتدت للزيلة البيضاء .
وانهمكت في إعداد الطعام .

ومضت إليها أم حبيب متسائلة في دهشة :

— أيفعل الحب كل هذا ؟

— وأكثر من هذا .

— وما النهاية ؟

— أكره أن أفكر فيها . لا تكاد تلوذ ذهني حتى أهدمها عه .

— أسهية أنت بحياتك الآن ؟

— لا أظن هناك على الأرض مخلوقا أسعد مني .

— أتعرفين أنك تتباهدين رويدا رويدا .. عن حياتك الطبيعية .. وعن

أصدقائك وصديقاتك ؟

— لم يعد يمتني أحد سواء .

— والوحشة التي تحسرن بها في وحدتك عندما يهيب عليك .

وتبتدت هدى وعامت على وجهها سحابة حزن وقالت :

— أحصلها أحيانا . وأصبح بها أحيانا أخرى .. ولكن عندما أفكر في احتفال

حرمان مني .. أحمد الله على الساعات التي أنضيتها معه ، وأقول لنفسي : يكفى
بضع دقائق لأراه .

— إلى متى سيظل احتالك هذا ؟

— سيبقى ما دام يحبني .

— ألا تطمين منه في أكثر مما يعطيك ؟

— لا أسمع .. ولكني أحلم .

— بماذا تحلمين ؟

وقبل أن يجيبها دق الجرس .. وهت : أم حبيب بالذهاب لفتح الباب ،
ولكن هدى اندفعت في فرحة لنفسه .

وقعت الباب وخطا سامي إلى الداخل .. وردت الباب .. لم ارتحت في
أحضانها :

وظلت فترة ساكنة في صدره .

ثم رجعت إليه وجهها وقالت :

— لا تتصور .. كم أسندني بحبك !

— لماذا لم تدعيني من قبل ؟

— هناك أشياء كثيرة أحب أن أدعوك إليها .. ولكن بعشيتي عليك تجهلي

أتردد وأحجم . عندما أفكر في أنه قد يحدث ما يزعجك مني . أفضل أن أحرم
نفسي من كل شيء ، وأقول لنفسي .. يكفى أن أحس أنك موجود . وأنت
تجسني

وتوقف سامي وضمها إليه وهس في أذنها :

— لقد بكّ أشعر ألى موجود . من أجلك . ومن أجل حبك .

وتحسس أنفها بألمه قائلا :

— أحب أن أتحسس أرضية أنفك .

وبن أن تنطق صمت وقع أقدام أم حبيب تقدم من ناحية المطبخ ، فانزعجت
بمسها من بين ذراعيه .

وبدت : أم حبيب تنهذى في حطوانها المشتاقة . وحياها سامي باسمها :

— صباح الخير يا أم حبيب .

وعملت أسارىء أم حبيب ، وهي ترد عليه قائلة :

— صباح الخير يا سيدى .. نورت البيت .

وانحمت إلى حجرة الطعام لعد المائدة .. وقالت هدى ، وهي تنجبه إلى المطبخ .

— أعلم جاكنتك واسترح في الحجرة . حتى أتم بقية الطعام .

وابسم ساسى ، وهو ينجبه وراءها إلى المطبخ :

— أحب أن أراك في المطبخ .

ووقفت هدى تقطع الخيار والطماطم .. ووقف ساسى وراءها ،

وقد صمها بلراعيه ووضع فمه وأنته في شعرها .. وقال ضاحكا :

— أحب رائحة الطعام في شعرك .

— لا تسحر مى .

وحاول ساسى تقليدها قائلا :

— يا حبيبتى يا عيبة . أنا أحبك دائما كما أنت .. أحبك في البيت .. لأنى

أشعر أنك ملكى أنا . إلى أكره زيتك .. أكره شرقة الكحل في جانب

عيبت .. والأكر في شفتيك .. لأنى أشعر أن ذلك وجهك الخارجى الذى

تصنعه للناس .

— لم يعد لى ما أسحبه لفمك .. كل ما لى قد بات لك .

وسمع صوت خطوات أم حبيب ، عائدة إلى المطبخ ، فأفنت جسمها من بين

فراعيه وقال :

— لماذا لا تستقر هذه العجوز في مكان واحد ؟؟

وضحك هدى قائلة :

— لا تطلق .. ستذهب لزيارة ابنتها بمجرد أن تعد المائدة .

— إذن فساعدنها في إعدادها .

وتناول ساسى الشوك والملاق .. وبدأ يساعد أم حبيب في إعداد

المائدة .

وحاولت أم حبيب ، أن تنبه قائلة :

— أنت ضيفنا يا سيدى .

— كنت أظننى صاحب بيت .

وابسمت أم حبيب ، وهزت رأسها وتلمعت قائلة :

— لبتك تكون .. إنما في حاجة إليك .

وأحسن ساسى ، كأنه قد تورط في جملته .. وقال :

— إلى في خدمتكم دائما .

وأحسن هدى ، بما أصابه من حرج .. ونظرت إلى أم حبيب ، نظرة لوم .

كانت تكره أن تشعره بأى حرج . أو أى رغبة في مطلب لا يملك محه ..

كانت تود دائما أن تشعره برضاها وقناعها . وعندما كانت تحس بلوعة مرارة

ووحشة بعده .. كانت تلوى آلامها في نفسها .. وتتظاهر بالرضاء .

وانتهى إعداد الطعام .. وكانت الحجرة تشرف على البر بشفرة عريضة .

وجلس ساسى في المكان الذى أعدته له أم حبيب .. ظهره إلى باب الشرفة

الزجاجى .. ووجهه إلى المطبخ .

وقبل أن يبدأ ساسى الطعام نظر إلى هدى وقال ضاحكا

— لماذا أجلسنى المجوز وظهري إلى الدنيا .. ووجهى إلى الحائط .. كأنى

طعل مدب .

وضحك هدى قائلة :

— لا بد أنها أرادت حقابك .

— لم أعمل بها شيئا .. يستحق العقاب .

— فعلت لى .

— أنا ؟؟

— أعمل .. أسررتى .. وقيدتى .. وأفقدت كل إحساس بالدنيا من غيرك .

— أأدعة أنت ؟

ومدت يدها تتحسس يده وبظرت إليه بظرفها الوثقى وقالت :

— أنتم .. على حياتي ؟! أنتم على تحلفي من جديد ؟

وأجاب : ساسى ، وهو يرفع يدها إلى شفتيه :

— إذن فأنا غير مذنب ؟!

— بتاتا .

— ولا توافقين حل عقابي ؟!

— بالمره .

وأسرع : ساسى ، ينقل مقعده إلى الجانب الآخر . مواجه النهر . والشجرة المورقة .. والسماء الزرقاء .. تحس حافة الجبل .

وقال : ساسى ، وقد شرد بصره من خلال الشرفة :

— لقد باتت هذا المنظر حراما من كيان هذه الشجرة بأوراقها المهترئة وفروعها المتهايلة . والنهر الجاري .. والسماء والجبل .. باتت كلها . شيئا ملتصقا بك وبمبك .. بأعز شيء فى حياتي .

وشردت : هدى ، هي الأخرى يبصرها . قائلة :

— أحيانا أصبح بصرى فيه . ثم أحس أنه قد يصبح يوما .. مجرد ذكريات .

مجرد صورة .. تذكرنا بأننا قد عشنا فيها يوما .. عندما أذكر أننى قد اجلس إليها وحيدة .. بعد أن تخلو حياتي منك .. أحس بالدمع يطفر من عيني .

وأحس : ساسى ، .. بصوتها يخفق .. وبالدمع يطفر من عينيها .. ومن عينيه .

وأدار وجهه .. وحاول ابتلاع دمه .

وأمسك يدها وهتف هامسا :

— لماذا .. تقولين هذا ؟

— لأنه سيحدث فى يوم ما .

— لن يحدث .. لن أتركك أبدا .

ومدت أصابعها فمسحت دمعها الساائلة .. وحضت .

— بخشى أحببت ذات مرة .. ولكنى عرفت الآن . ما هو الحب .

وصمتت برهة تحاول الخائف لم قالت :

— لا يمكن أن تعرف الجهد الذى بذلته لكى أمنع نفسي من دعوتك . ولكن

رحتى كانت أقوى من جهدى .. كنت كالطفل الذى يصرف عيونه على رعبته ..

لقد تميت أن أراك تعيش معي .. وأن أحس بك كجزء من حياتي الطبيعية ..

وددت أن أراك تدخل المطبخ .. وتجلس إلى المائدة .. وتصرخ كأنك موجود فى

حياتي . كأصغر دالم . تعيش معي فى وضوح النهار .. لا زائر غابر .. يستتر بستر

الليل .. ويتخلى للزيارة فى جنح الظلام .. من أجل هذا غامرت بدعوتك ..

عنيها نزوة .. واغفرها .

وصعدت : ساسى ، على كنفها وهو يصمها إلى شفتيه وأجاب :

— رواتك .. رواتي .. ورعاتك رعاتي . ومشاعرك مشاعري ..

أنتك تميت شيئا لا ونميت . وما أظن هناك مخلوقين متطابقين .. متشابهين

متسا .. كم تميت أن أرحح بك إلى العالم كله . لأقول لهم إلى أحبك وأحترمك .

وأنت سيدة الناس ، وأنت أميرتى .. وأعز شيء عدى فى هذه الدنيا .

— حتى مع صاحبك ؟

وأبعد رياض من ردة .. وصمت برهة .. ثم تسائل في حذر :

— صاحبتى من ؟

وترك الأصحاب ما بأيديهم .. وبدأوا يرفعون أصماهم ، ونظر سليم إلى فؤاد في شيء من الريبة والشك .

ورشف فؤاد رشعة كبيرة من كأسه ثم قال ضاحكا :

— صاحبك لهاها .

وردد رياض هازئا :

— من تقصد ؟! إنهن كثيرات .

— صاحبك التي تَحَلَّتْ وَتَرَكَ .. وغرمتك الجلد والسقط .

وصاح واحد من الأصحاب وهو يقرع الكأس على المائدة :

— قل يا أحمى .. فلقنتا .

وصاح فؤاد ضاحكا :

— هدى نور الدين يا أستاذ .

وبدا التجهم على وجه رياض ، وأترل ساقه ، ومال تجاه المنضدة مسائلا في حدة :

— هدى ؟! من قال إلى أصرف على هدى ؟!

وأجاب فؤاد في ضججه العابثة المستهجرة :

— من أين لها إذن بهذه الشقة العاصرة .. والبذخ الذى تعيش فيه ؟

— من عملها .

وقفقه فؤاد قائلا :

— عملها ؟! .. أو عملك ؟! على أية حال .. أنت رجل طيب .. أنت تدفع

وغيرك يستمتع . ألعب يا أحمى . اللعب .. لعلك اشتريت لها .. حاتم أو أسورة .

وتصاعد الدم إلى وجه رياض . وصاح أحد الأصحاب ضاحكا .

طعمه يطق

دقت الساعة الثانية عشرة مساء .. وكانت ثلثة رياض عبد الدائم : قد التفت حول منضدة اللعب في عادي الشرق .

وتناول « رياض » بقايا كأسه ، ثم أراح مقعده بعيدا عن المنضدة .

ووقع فؤاد رأسه ونظر إليه مسائلا :

— ما بالث ؟

وهز رياض رأسه قائلا :

— كفى .

— إنته ؟

— حظي بحس هذه الليلة .

— ألعب يا أحمى .. قد تعرضت لحسارتك .

— لا .. ليس لي مزاج .

— كن رجلا .. وألعب .

وتنظر إليه رياض وضحك من أنفه صيحة ساحرة وقال :

— أنت تعرف جيدا إلى رجل .. ولكن لا أحب أن أصبح بقودى بلا فائدة .

وصب فؤاد ما تبقى من رجاجة الويسكى في كأسه .. ووضع بها بضغ قطع

من التلح ثم صاح ساحرا :

— منذ متى ؟

وأجاب رياض وهو يضع ساقه على ساق :

— دائما .. يا حصرة ...

وهو يوجه السؤال إلى فؤاد :

— عرفنا الذى يدفع .. فمن الذى يستمتع ؟

وأفرغ فؤاد الكأس فى جوفه وأعادها إلى المائدة فى طرقة عنيفة ، وعاد يتعفه ..

وقد ألقده الشراب وعنه وصاح :

— الذى يستمتع !!!

ثم نظر إلى سليم واستطرد بقول سائرا :

— قل لم يا سليم .. قل لم .. من المستمتع الأكبر .

وازدرد سليم رقبته .. ونظر إلى فؤاد نظرة زاجرة وصاح به :

— كفى هذرا .

واستمر فؤاد يقول فى حجة العابثة :

— قل لم يا أخى .. عن المستمتع بأموال الرجل الطيب وبضايعته .. قل لم

عن صاحب الأخلاق القويمة والنبل العليا الذى يذهب ليرعى على الصدر

الطرى .. وبهم بالأحضان النافقة . قل لم ...

وصرخ فيه سليم :

— فؤاد .. أنق لنفستك .

وصاحت الثالثة ضاحكة . وقد انضوا حول فؤاد مهللين .

— قل يا فؤاد .. من الذى يرعى على الصدر الطرى ؟

وأحسن رياض بالدماء تفل فى عروقه .

وطافت يده .. صورة « خدى وسامى » حد حمام بلودان .

وتذكر كثرة هروب « هدى » من مواعيده . وتبدل أحوالها .

وقبل أن يسترسل فى أفكاره .. سمع فؤاد يصيح فى فجأة المفارقة المضمرة :

— اجسامهم تلح يا سليم .. اجسامهم تريد أن تعرف .. من هم المنتفعون

برمقات الآخرين .. سأقول وأمرى إلى الله .

ونظر إلى رياض واستطرد قائلا :

— هل أقول يا رياض ؟

وصاح به رياض :

— أنت حمار .

— أأ ؟ .. أنا الذى أصرف .. لأترك الأستاذ سامى كرم .. يستمتع .

وصاحت الثالثة .. فى أصوات الخبطة هائلة :

— سامى !!

وصاح الآخر :

— قدعة .

وصاح ثالث :

— عدتها ذوق .

ورسم رياض على شفثته ابتسامة صمراء وأجاب متصعبا الغدوء :

— أنا أعرف « هدى » كصديق قديم . وأستبعد أن يكون لها علاقة بأحد .

وصاح فؤاد :

— لماذا يا أخى ؟ لماذا تستبعد عليها الاستمتاع ؟

وبهض سليم .. فجذب فؤاد من ذراعه بعنف .. وقال له فى عصب :

— إذا لم تكف عن هذيانك ، سأعرف كيف أسكتك .. فاهم !!

وأجاب فؤاد :

— فاهم يا أستاذ .. فاهم .. فاهم . يا صديق المستمتع .. فاهم يا أصحاب

المبادئ .. والمثل .. و .. و .. الخ

وعاد سليم يهزه فى عنف قائلا :

— أجل أصحاب مبادئ .. ومثل .. إننا على الأقل لا ندعى الشيوعية .. ولا

نحب حياة البدح والسفَه التى تحياها ، نحن لا نحفر الشعب ، ولا نسوم أتياعنا

لخرمان . نحن نؤمن بما نقول ، ونعمل ما نأدى به .. نحن لا نستورد مبادئ ، لا

نؤمن بها . أنت تعرف أنك كاذب مخادع . سافق . أنت تعرف جيدا . من هم

أسبائك ، وتعرف جيدا ماذا تريد من الشيوعية التي تدعيها . أم تريد أن أعزلك حقيقة؟!

وأطلق قزاذ ضحكة عالية وهو يقول :

— لا داعي .. انتهنا .. مالكت تعصب هكذا ؟!؟ إنما ضحكك يا أغبي .

— لا تصحك على حساب الغير .. اصحك على نفسك إذا شئت .

وتدخل أحد الصحاب قاتلا :

— كفى يا جماعة .. مالكم قلبموها غشا .. دهونا تلعب .

وبعض رياض وهو يقول متضاحكا :

— إن المسألة كلها مراح في مراح .. لا تأخذوها جدًا . السلام عليكم .

لتلقى غذا إن شاء الله .. استعملوا جيدا .. سأسترد كل خسارتي .

وعاد رياض النادى .. تعلو وجهه ابتسامة عريضة ، ولم يكده يستقر في عرسته

حتى طارت الابتسامة .. وعادوه التجهج والشرود .

مشكلة كبرى .. هذه الخلقة .

أم ترى المشكلة كائنة في نفسه ، وفي مشاعره .

أم تراها المشكلة الطبيعية . لكل إنسان برهه شيئا لا يملك إمكانيات الحصول

عليه .

إنه يخبئ .

حيا .. مزعنا .

لا أمل في الشفاء منه .. ولا وسيلة لعلاجه .. أو استئصاله .

بدأ ذلك منذ ما يربو على العشر سنين .. منذ أن كان صديق العائلة ، وكانت

العلاقة بين الأمرين تكاد تصل إلى درجة القرابة ، وكانت هي تكاد لا تفتقر

لحظة واحدة عن ابنته ، وحتى عندما تزوجت لم يوهى رواجها الروابط بينها ،

فقد كانت تقضى وزوجها معظم الوقت في بيتهم .

ومرت به السنين ، والداء يكس في صدره . يبدأ أحيانا ، ويبيح أحيانا أخرى

واستعمل دالة .. عندما استقر يهْدَى المقام معهم في بيتهم .. عقب انقضاءها

من زوجها ، وموت أمها ورحيل أمها إلى بيروت وصرار ابنته على أن تبقى

معهم .. حتى تستقر حياتها وتتبدد أحزابها .. وطال بها المقام . وهو يجدها تتسلل

إلى حياته .. لتصبح جزءا منها أو أساسا لها .

ولم يحاول مقاومة تسللها إلى نفسه .

كانت .. حذبة .. وقيقة .. مخلوما .

وبدأ له أنها يمكن أن تظل جزءا من حياته ، وتغزل إليه أنه يستطيع أن يحبها .

حياة .. البرحة البائعة ، ولم يشعر أن ثمة مطالب لها .. قد يمجدها بها الزمن .

القريب .. أو البعيد ..

وفي نوبة من موبات الحب .. سأها الزواج .

وصمتت . وبدأت مجموعة المشاعر الطيبة التي تكنها له ، تصارع رغبته

الكاسية في الاستمتاع بحبها الطبيعي في الحياة ، ولم تعرف بم توجيهه .. إنها تكره أن

تصدمه ، ولكنها في الوقت نفسه تكره .. أن تصدم نفسها ، وتصدم الناس فيها ،

وم تصور أبدا ماذا يمكن أن تقول ابنته ، وهي أعز صديقاتها عندما تجهدها . قد

ردت جميلها بأن « لطلشت » أباهما .

وما الذي يكرهها عن ذلك .. أجهز أحاسيسها الطيبة نحوه ، واعتراضها

بجسيلة ؟؟

م غمكت إلا أن تقدم اعتذارها بأرق الأساليب ، وأعقل الوسائل .

ولم يخلف من وقع الصدمة عليه ، إلا إحساسه بأنها ، باقية كما هي .. بقربها منه

ومشاعرها الطيبة له .

وحاول أن يروى عنه على الرصاص بمركزة المنظار عندها ، وعندما تركت

داره لاستقر في شقتها الفاضحة ، كان عونها الأكبر الذي تستند إليه في حل

مشاكلها وقضاء حاجياتها ، ومع الأيام استطاع أن يبنى حاجتها إليه .. بحيث

توارن مع حاجته إليها ، وبحيث تصبح الحاجة للتبادل .. صفانا مع حاجته إليها ،

وبحث تصبح الحاجة للشهادة .. ضمانا لتمام الصلة القائمة بينهما وتوثيق الرابطة التي تشد كلاهما إلى الآخر .

وكان يمكن أن يرضيه الوضع القائم .. إلى الأبد ، فما يظن رابطة الزواج كانت تمنحه . مزاجا أكثر ، اللهم إلا حقه في تقيدها ، وفي رقابتها ، وحتى هذا الحق كان يسمح نفسه سلطة مباشرة . بطريقة عرفية ، عندما يظهر في حياتها شبح علاقة تثير شكوكه ، وتوقف محاولته .

وكانت تلك العلاقات ، أو الصلات ، التي لا يمكن أن تخلو منها حياة مخلوقة مثلها . فثانة ، شهيرة ، جميلة ، شابة .. هي المنقصات التي تؤثره ، وتكدر صفو حياته . وكان طبيعيا أن يختار أول أهدافه في الحياة .. مقاومة تلك العلاقات ، والقضاء عليها بكل ما يمكن من وسائل ، قبل أن يستعمل أمرها ، وتكتسب جذورها .. بحيث تصبح شيئا حيويا في حياتها .. يمكن أن يزعم مركزه ، ويقضى على علاقته بها .

وهكذا جعل منها .. من حبه لها ، ومن غيرته عليها ، ومن معرفته على صياغتها .. ومن هلم كل ما يتضمن إنشاءه من علاقة لها بالغير .. شمله الشاغل في الحياة .. إن لم يكن هو الحياة نفسها .

ولم يكن الأمر يزعمه ، فقد كانت هدى .. أعقل وأذكى من أن تتهور في علاقة ، أو تنصنع في صلة ، وكان عقدها دائما ، أقوى في قيادتها ، من انفعالها ، عاطفية كانت أو جنسية .

كانت هدى دائما تخطط تصرفاتها .. ولا تتركها أبدا ، للتلفاع والارتجال .

كانت حكمة التدبير .. أغلب عليها من اندفاع الروفة . ومن أجل ذلك . ورغم أنه لم يحس أنه استقر منها على مركب سهل .. لم يشعر قط أن رماها أفلت ، أو أنها اندفعت في علاقة ما .. بحيث يتعذر كبح جماحها .. عليها أو عليه .

كثيرون اعترضوا سيلها . موظفون كبار .. مديرو شركات .. صحفيون .. صانعون .. عشاق .. بلطجية .. من كل صف . ومن كل لون .. وكلهم سبوا له أرقا . وقتلوا ، ولكنهم .. بعد وفاة هنا وجمعة هناك .. استطاعت أن تتحرر منهم جميعا .. بلطف ورقة ، وبلا مأس ولا فضائح ، ولم يحس ذات مرة أن واحدا من كل هؤلاء المعجبين الضيقين .. قد حلف في نفسها أن لا .. أو تركه وراءه ذبلا . وقد مصت عليه فرة .. هدوء .. واستقرار .. لم يزعمه طارق على بابها .. ولم يورق حينه طالب صلة .. أو سائل هوى .

حتى ظهر صاحبنا الجديد في الأفق .

وبدأ له عندما وقع عليه بصره أول مرة .. وهو يجلس بجوارها في بلودان . محامان سحفاء الضيق .. الذين تعود على إزعاجهم .. يطرق بابها متحدثا بأنماط الغزل السخيف والإعجاب السمج .. وعندما ذكرت له اسمه .. استطاع أن يميزه . أحس له مزيد من الصيق والقلق .. وبدل أنه المعاصر الجديد يحمل مزيدا من الأسلحة . ومع ذلك لم يملك إلا أن يسلم أمره لله .. مهذبا نفسه بأن مصيره إلى الانعصاف والذهاب إلى حال سبيله .. كغيره من المعجبين ، وأكد لنفسه ، أنها ستبني منه كما انتهت من غيره ، وأن وهما فيه .. في شهرته .. ومركزه .. وعنايها بمظهره ، وشكله .. لابد أن يأخذ حظه ويتنى .

وأكدت هي له أنها معرفة عابرة . وكاد يصدقها .. لولا همه هنا .. وشائعة هناك . جددت شكوكه .. وأعادته وسأوسه ، وأحس هو من ناحيته ، أن تغييرا ما قد طرأ عليها .

لم يستطع أن يحدد كنهه ، أو يدرك مداه .

وإنما أحس فقط بأن إنسانا ما قد دس أنفه في حياتها بطريقة جديدة .. جعلت محاولاتها بأن تلبو حرة التصرف . تنوء بالفشل في كثير من الأحيان .. واسطرها إلى الاعتذار عن بعض المؤاميد ، والتخلف عن بعض الدعوات والاحتفاء بطريقة يتعذر معها على أي إنسان أن يتصل بها .

ولم يملك إلا أن يصير عليها .. وعليه .

زوجة .. سيفيق منها الاثنان .

امراة . بالنسبة إليه . لا يلبث أن ينتهي منها .

امراة كغيرها من النساء .. لا يلبث أن يملأها .

أما هي .. فستأخذ منه ما يمكن أن تأخذ .. ثم تتجاوزها كما تجاوزت غيره .

إنها مجرد وقفة .. لا تثبت بعدها أن تسير .. متحررة منه ، كما تحررت من غيره .

لا علاج للمسألة إذن .. إلا بأن يكتم مرارته .. ويصبر .

ولقد صبر .. حتى حدث الليلة .. ما أطار صوابه .. وأضاع صبره .

لقد حاول جهده أن يتألف ويبدو هادئا .. ولكن جوعه كان يمل .

إن المغامرة . لم تعد مجرد معامرة .. لقد أصبحت وضعا قائما دائما يجعل منه

سخرية أمام الناس .

لقد صبر عليها أكثر مما يجب .. لقد حاول أن يأخذها بالحسنى . ولكن

صلته وعقدته .

إنه سيحرف كيف يؤديها .. ويوقفها عند حدها .

وكانت العربة قد بلغت معترك الطرق أمام فندق سميراميس .

والفتى رياض إلى السائق قائلا :

— اذهب إلى بيت هدى هانم .

واعبر السائق في الطريق الموصل إلى البيت .. ولمح رياض الضوء في نافذة

حجرة الجلبوس .. وهم السائق بالتوقف أمام الباب .. ولكن رياض قال له :

— لا داعي للتوقف .. عد بنا إلى البيت .

وأحس رياض بالدم يمل في عروقه .. لقد كان مفروضا ألا تكون هدى في

البيت .. لقد اعتلرت له عى دعوة العشاء .. بأن دورها سيتأخر إلى الثانية .

كان يجب أن يصعد لمواجهة .

ولكن هب كان هناك ؟؟

ماذا يفعل ؟

أتى حق له عليها .. حتى يجم عليها في منتصف الليل . لمواجهة مع إنسان

آخر ؟؟

إنه ليس زوجها .. وليس أختها .. وليس أبها .

هبها ثارت عليه وطردته ..

ماذا يفعل ؟

لا .. لا .

لا داعي لهذا التهور .

وبلعت العربة البيت .. واجتاز رياض الباب .. وقيل أن يبدأ أو يبدل

ملابسه . أمسك بالتليفون وطلب هدى .

ودق جرس التليفون في بيت هدى .

وضحت هدى عينيها . وأحست برأس سامي يستد على ذراعها وقدر راح في

إصبعه .. وأخذت أنفاسه تتردد في حلقه على دقا وعقلها .

ورددت من التصاقها به .. ومدت شفتيها لمس شفتيه برق .. وأخذت تنقل

شفتيها على وجهه ماسة ذقة وعقه وعييه وأمنه . ثم عادت إلى شفتيه تقبله في

حان شديد .

وأحست هدى بشفتيه تتحركان تحت شفتيها لتردد قبيلتها بطريقة لا شعورية .

واستمر الجرس يذق في إلحاح .

وفتح سامي عييه وبذت عليه دهشة المسقط وسأها قائلا وهو ينصت لندى

التليفون :

— التليفون يذق .

وهمست في شفتيه :

— دعه يذق

وكف التليفون عن الدق

أكثر من الحب

استيقظت « هدى » على طرق بباب حبرتها ودون أن تفتح صهيبها تسألت :

— « هاه » !

وسمعت « أم حبيب » تقول شيئاً .. لم تفهمه .
« وأم حبيب » كثيراً ما تقول كلاماً لا يفهمه أحد .. ولم تحس « هدى » طوال عشرينها معها بصعوبة فهمها لكل ما تقوله .. كان يكتفيها أن تعرف في النهاية ما إذا كان يتحتم عليها أن تفعل لها شيئاً نتيجة أقوالها أم لا .
وأمرتها بالدخول .. هدعت العجور الباب ، ودخلت تنهذى ، وقد أمسكت بالتليفون ، ووضعت بجوارها على الفراش قائلة .
— سيدي سامي .

وكانت « أم حبيب » تعرف أنه الوحيد الذي ينفك إيقاظها من النوم .. وهي سعيدة راضية .. فلم تحاول أن تتلذذ بكلمة عن إزعاجها .. وقبل أن تنفاد الفرصة تسألت :

— أهدأ الانظار ؟

وهزت « هدى » رأسها وهي تسحب جسدها من الفراش مسددة ظهرها إلى الوسادة .. ورفعت الساعة إلى قمها . وقبل أن تنطق بكلمة عادت العجور تسأل :

— عباس يسأل ماذا تريد من السوق ؟

وأشارت لها « هدى » بيدها في صيق لكي تنصرف .. وهدعت في

وتحسست هدى شعر سامي وعادت يحس :

— ثم حبيبي .. أنت متعب .

وقبل أن يغمض سامي عينيه عاد التليفون يذق .

ولفزت هدى من الفراش في حفظ وقالت وهي تمدو إلى حجرة المجلس — يبدو أنه مثير .

وأحس سامي أن الجرس قد كلف عن الدق .

وبعد برهة عادت هدى .. تحمل في يدها نفاحتين وقذفت بإحداهما إلى سامي قائلة :

« — أحس بجوع .

وتسأل سامي :

— من كان المتحدث ؟

— لست أدري . لقد رصعت البربرة .. وأرحت نفسي .. دعه يذق كما يشاء .

وشرد ذهبا فجأة .

وتسأل سامي .

— ما بالك ؟

— لا شيء .. كان يجب ألا تترك نور الحجرة مضياً .

— لماذا ؟

— لا داعي لأن يعرف أحد أني هنا .. وأني لا أريد على التتبعون .

وفي ثلث اللحظة كان عصب رياض قد بيع أشده .. وهو يستمع إلى الحرس يذق دون أن يجيب أحد .

ووضع الساعة بشدة على التليفون .. ثم انطلق بالعربة مرة أخرى إلى بيت هدى .. بعد أن صرف السائق .

وعن مقربة من البيت أوقف العربة . وجلس في مقعده يرقب الباب . وحللت وقفته .. وعندما كاد يأس من الانتظار . لمح سامي يمر الباب مغادراً البيت في سكوت الليل .

الساعة في صوت رقيق :

— صباح الخير .

ولم تصرف ، أم حبيب ، فقد بقي لديها سؤال أصرت على أن تسأله فقالت وهي تخطو خارج الباب :

— وحساب الأُمس ؟

وهزت « هدى » رأسها في غيظ ، وقبل أن ترد على سامي قالت لها محددة :

— أهذا وقع ؟! كأن الدنيا طارت !!

« وخرجت » أم حبيب ، وردت الباب خلفها .. وهي تغمض فائلة .

— لقد طارت فعلاً .. ومعها كل ما تملك من عقل .

وهزت كتفها وهي تردد لنفسها :

— جربته ذات مرة . هذا الذي يسموه الحب .. سحره ونحن يعلمون

عه .. فإذا ما أصابنا .. سحرنا من كل شيء في ديانا سواه .

وأُسكت « هدى » بالساعة وكأنها لم تحتص ولهدا .. ودارت

المحادثة رقيقة منحة ناعمة . ملؤها الحب والعزل والتدليل . ولم يكن

واحد منهما يخطر بباله أن يناجي إنسانا يمثل هذه الرقة والحو ، ولم يكونا

يملآن الساجدة مهما طالت ، ومهما استعبدت ألفاظها .. كان كل منهما

يحس أنه يناجي طفله الحبيب المدلل .. الذي لا يمتعه شيء قدر أن يسترسل

في ما جاءه وتذبله بأعذب الألفاظ وأرق الأوصاف .

وأخيراً وصحت « هدى » الساعة بعد أن مستها بشعبتها وهي تهتف به :

— مع السلامة يا حبيبى ، مع السلامة يا أهدى إنسان .

وأحسّت « هدى » بالسعادة تفرحها . والأمل يملأ جوانحها .

الأمل ؟! أى أمل ؟

الأمل في كل شيء .. وفي لا شيء .

الأمل في أن يظل ملكاً لها .. في لوهاها .

كان صوته أول صوت تسمعه .

وكأنها توهم نفسها بأنه قصى البينة من ذراعيها .. وكانت تستقبل يومها ..

مرحة باسمة متعائلة .. فإذا ما انقضت صوته ذات صباح . صاقت بها الدنيا .

وأحسّت بالمواء يكتم أنفاسها ..

وقفرت من عراشها .. فرحة .. متوتبة ، وألقت نظرة شاملة على صورها في المرآة

إنها جميلة .

وهي تشعر باعتزاز بجمالها . لأنه يحبه ، وترغب أكثر من أى وقت مضى

في الاحتفاظ به من أجله .

لبنه رآها منذ عشر سنوات .

ومدّت يدها لتحس صدرها .

كان وقتذاك كتلتين متماسكين مشدودتين .

ومع ذلك فهو مارا متماسكا . مكتنزا . لم يهر ولم يترهل إلا قليلا

إنها ما زالت تستطيع أن تزهر به .

وعلت شعبتها ابتسامة .

لقد أعجب به ، ولم يكتم إعجابه به ، رغم حياله .

أعجب به عندما ضمها إليه ..

وراد إعجابه عندما أبصره عارياً . في تماسكه واستدارته وعفاء لونه .

حسداً قد أنها لم تحمل ولم تلد ، ولم ترصع .. حتى تحتفظ بجسدها بهراً

صبياً .

وأعجب أكثر بساقها . باستدارتهما وامتلاكهما الانسيابي وبالغمازات في

باطن ركبتيها .

أشياء كثيرة باتت تحبها .. في نفسها . وتنو إلى المحافظة عليها من

أجنه .

وقربت وجهها من المرأة .. ولحمت عظمي من التجاعيد الخفيفة في
جبينها ، وشحوباً أسفل عينها .. ورفعت كفها فحسست شعرها .

لم يعد غريراً كما كان .

هذه الشعيرات التي باتت تتساقط مع كل تسريحة .. جعلته يبدو خفيفاً .

يجب ألا تهمل استعمال الزيت .

ويجب ألا تهرق نفسها بالسهر .

يجب أن تتغذى جيداً .

يجب أن تحتفظ بجمالها ، وبكل شيء يحبه فيها .

ألم تر الأيام أقوى من قدرتها ؟

هراء !!

إنها ما زالت في ...

ال .. ال .. كم ؟

وبدأت تحسب عمرها .

بعد شهرين يحل يوم مولدها .

ال .. ال .. الخامس والثلاثين .

وهزت رأسها غير مصدقة .

كثير ..؟ أجل .. كثير .

ولكنها لا تبدو كذلك .

إن أحداً لا يسمحها من العمر أكثر من بضع وعشرين .

وهي قد احتفت في العام الماضي بعيد ميلادها السابع والعشرين ،

وتستطيع أن تحفل أيضاً في هذا العام بالعيد السابع والعشرين .. أو حتى

السادس والعشرين . من يذكر ؟

ولكن . هل سحاول هو أن يذكر متى بدأت تغني لأول مرة ؟

مشكلة لو حاول أن يذكر .

لقد بدأت تغني فعلاً منذ عشرين عاماً .

هل كان عمرها يومئذ سبع سنوات ؟! غير معقول أن ندعي هذا

لقد كانت فعلاً في الخامسة عشرة .. وتستطيع أن تقول إنها كانت في

الثانية عشرة .. ومعنى هذا أنها الآن في الثانية والثلاثين .

وهزت رأسها في ضيق .

إنها ستحتفل معه بعيد ميلادها الثامن والعشرين ، وهي لا تبدو أكثر من

هذا ، وهو ليس من السهل بحيث يناقشها عمرها .

واتجهت إلى الحمام ، ووقفت أمام الحوض تفسل وجهها وأسنانها ،

ووضعت الممحون على الفرشاة ، وأعدت تدليك أسنانها .

إن أسنانها جميلة بيضاء ، لم يؤثر فيها التدخين .

لقد أعجب بها ، وأحبها ، وتعود أن يضغطها بأسانه كلما قبلها . ومن

أجل ذلك عرمت على أن تكف عن التدخين .

اللهم إلا تلك السجارة .. التي تدخنها في الحمام عقب الغداء .

وهو لم يكره رائحة الدخان في فمها .

بل إنه أتياً ما أنه يحب كل شيء فيها .. حتى الدخان في فمها .

وفتحت فمها وأعدت تتأمل عروسها من الداخل .

وتأملت المحشو القضي في صرسي الفت الأفل .

لقد أبصره مرة .. وصحكت . ثم أراها معه وبه نفس الصرسي محشوى .

وأخذ كلاهما يمدد أوجه التشابه بينهما .

وأحسب أنها تشابهان في أشياء كثيرة . نفس الطباع .. ونفس النوق

ونفس المشاعر . لا يكاد يذكر شيئاً يعصه إلا وأحسب أنه كان دائماً

المتصل عندها . وما ذكرت شيئاً أحته .. إلا وأكد لها حبه له .. من

الموسيقى . والطعام .. والناس .

وهزت رأسها في أسف .

كان يجب أن يلتفتا .. من قبل ذلك بكثير .

لقد قال لها إنه لو صادفها في الرابعة عشرة لعبر مصيرها ، ولما سمع الناس صوتها أبداً .

وأسكت بالمشعة تخيف وجهها .

كم تسمى لو كانت زوجته . لتقع معه بين أربعة جدران .

ولكنها سرعان ما أبعدت المخاطر عن نفسها .

لا يجب أن تدع الأمان المتعددة .. تكلف استعاضتها بواقعها .. إنها مهيئة .

بمجرد حبه . وهي راضية به بكل ما يعطيه إياها ما دام يحبها

أما سوهات الحزن التي تمر بها .. فهي قادرة على أن تغلب عليها .. وتكتسب

اعتدالاً لها بها .

أما الوحدة .. والوحشة والحزن .. فوجوده وحده . وساعات لقائه .

أقدر على طيها ، وأقدر على شفائها من آلامها .

ومشطت شعرها بالفرشاة الأسطوانية . ووصمت « الروب » الحريزي

الأزرق ذا القط البيض على جسدها .. واتجهت إلى غرفة الجلوس .

وأشارت الراديو . وأخذت تصصح الجرائد .. ثم قامت إلى المائدة ..

وجلست ترتشف الشاي ، بعد أن تناولت ملعقة العسل التي تعودت أن تتناولها

كل صباح .

وقبل أن تبدأ الإفطار . دق جرس الباب ، وسمعت وقع أقدام عباس الخادم

يتجه إلى الباب .

وسمعت وقع أقدام مختار الباب وتدخل إلى القاعة

وتوقفت أن يستقر الطارق في البهو ، وأن يأتي عباس ليحيرها عنم يكون

ولكنها وجدت الباب الموصل إلى البهو مفتوح ، وأبهرت رياض بجنازه ، وقفت

بذت على وجهه ابتسامة باهتة .

وهوجنت بدخوله .. فقد تعودت دائماً أن يخبرها أنه قادم قبل أن يأتي .

واجمعت « هدى » مرحة :

— صباح الخير .

وأجاب رياض وهو يجرم مقعداً ويجلس عليه أمام المائدة :

— صباح الخير .. عسى ألا أكون قد فاجأتك !

وضحكت قائلة :

— إلى حد ما .. على أية حال ليس بيتنا تكليف .. البيت بيتك .

— حتى الآن ؟

ورفعت « هدى » حاجبها وهي تحس أن وراء عينيها وحديثه .. شيئاً

مزعجاً .. وقالت بساطلة :

— ولم لا ؟

— أوثقة أنت أن حضوري المفاجئ لا يزعجك ؟

— أفضل بالطبع أن تتصل بالهاتفون كما تعودت أن تفعل ، على الأقل لكي

تضمن أني موجودة .

— وعندما يكون وجودك مضموناً .. كالآن مثلاً .

— قد يكون حندي من لا يناسب وجوده وجودك .

— مثل ؟

— الخياطة .. أو إحدى الصديقات .. أو أحد الصالحين .

— فقط ؟

— أو شكري ، أو واحد غيره من الملحنين ، يحفظني لحناً .

— فقط ؟

ومطرت إليه « هدى » نظرة طويلة حاحصة .. وحاولت جهداً أن تضبط

أعصابها وتساوت في هدوء :

— ماذا تعني بقولك فقط ؟

— أعني أليس هناك .. إنسان أهم من هؤلاء ؟

— أهم من هؤلاء !!

— أجل .. إنسان .. قد يفضبه وجودي .

وأسكت هدى ، بإبريق الشاي .. وتساءلت قائلة وهى تحاول أن تكتسب وهما لتهدى أنفاسها وترتب ذهنها :

— أأطلب لك شجاعتا من الشاي ؟

وأثارة عندها .. وكاد يفقد أعصابه .. ولكنه أجابها قائلا :

— متشكر .. لقد شربت .

ووصعت الإبريق وأسكت بتفاحة من طبق الفاكهة وبدأت في تقشيرها ..

قائلة :

— تقول إنسان أهم من هؤلاء ؟ .. مثل من ؟

وصمتت رياض برهة .. ثم قال من بين أسنانه المضخوخة :

— سامى بك .

وأطلقت هدى تهيدة طويلة وقالت في هدولها المميت .

— سامى بك من ؟

— سامى بك كرم .

— ها .. ولماذا سامى كرم بالذات ؟!

— كل الناس يقولون إنه عشيقك .

— هكذا مرة واحدة ! ولكنك تعرف كلام الناس .

— وددت لو أهرق كلامك أنت .. لعلك لا تصبرين على أن ما يسكما لا

يعنو مجرد صداقة .. ولقاء عابر ؟!

— وإذا أصبررت ؟!

وتنظر إليها رياض في غيظ وتساءل :

— أين كنت ليلة أمس ؟

— متى ؟

— في الساعة الواحدة ؟

— كنت هنا .

— طلبتك بالتليفون فلم تجبى .

— تعودت أن أرفع « البريزة » حتى لا يزعجنى أحد .. أنت تعرف سخافة

المجبن وقدرتهم على الإقلاق .

— ألم يكن معك أحد ؟

— أم حبيب .

— فقط ؟

— وعباس .

— أحد غريب ؟

— مثل من ؟

— سامى كرم ..

— لماذا يقلقك سامى كرم كل هذا القلق ؟

— لأنه كان معك ها حتى الثانية صباحاً .

— كلام فارغ .

— كلام صحيح .. لقد رأيته بهي يغادر البيت في الساعة الثانية .

ووضعت هدى « الكيس » من يدها .. ونظرت إليه والغضب يغلي في

صدرها .. وتساءلت :

— هكذا ؟!

— أجل .

— وأين كنت أنت ؟

— كنت في عرجى .

وأحست هدى « بأن أنفاسها تتلاحق .. ولكنها استمرت تبتل أنفص

جهدها لكي تتأثك نفسها . وقالت وهى تطلق تهيدة طويلة :

— ماذا إذن كل هذه التلف والدوران .. ما دمت تعرف أنه عدى . لعنك تعرف أيضاً كل مواعيد حضوره .
 وضرب رياض المضدة بقبضة يده في عصف وصاح بها :
 — أنت فاجرة .. أنت سافلة .
 ونظرت هدى إلى باب الخجرة فلؤدى لسطيح وقالت له في حزم :
 — لا داعى لأن تعقد أعصابك .
 — أنا أستطيع أن أحطم ..
 — أنت لا تستطيع شياً . ليس لك الحق حتى في أن تتور عتى .
 — لقد عرضت عليك الزواج .
 — أنت تعرف أبى أحتاج إلى أكثر مما تستطيع أن تمنحنى . تعرف أبى أحتاج إلى إنسان ما ، وإذا لم يكن هو سامى فسيكون غيره .
 — لماذا لا تتزوجين بدل هذه الفضائح ؟
 — أنا لم أتر مصالح . لا أظن هناك إنساناً يستر أمره مثلى .. على الأقل من أجه .
 — إنه لن يتزوجك .
 — أنا لم أسأله الزواج .
 — إنه يتسل بك ، ولا يلبث أن يلفظك عندما يملك .
 وأحسنت هدى بشئ يعتمر جوفها .. إنها تعلم أن هذا ليس بصحيح .. ولكن مجرد ذكره من أبى إنسان يروعها .
 وأحسنت بكثرة شديد لرياض ، وصرخت به في حدة :
 — كذب .. ليس هو الذى يفعل هذا . إنه إنسان كريم طيب .. إنه يحمى ..
 — مخدوعة .. سأذكرك عندما يلفظك لفظ النواة .
 ووجدت هدى «أن الاستمرار في المناقشة بهذه الطريقة لن يؤدي إلى شيء أكثر من إثارة أعصابها ، فحاولت جهداً أن تستعيد سيطرتها على أعصابها

وسأته بقدر ما تستطيع من الهدوء :
 — ليكن ما يكون .. ما الذى تريده الآن ؟
 وحاول رياض أن يتخلف من فجته .. وقال لها في رقة :
 — أريد أن تعيقى لنفسك .. هذه علاقة لا يمكن أن تؤدي به إلى أبى غير ..
 أن أعرف جيدة أمثال هذا الإنسان .. وأعرف النظرة التي يمكن أن ينظر بها إليك .. إلى أحبك وأعرف صالحك .
 وصمت برهة وهو ينظر إليها محاولاً أن يعرف تأثير قوله ولكنها لم تجب ، وشردت بهصرها في النافذة .
 وعاد رياض يتسائل في إلحاح :
 — ماذا قلت ؟ هل ستركبه ؟
 ونظرت إليه هدى «وقد بدا عيبا الضيق والملل وقالت :
 — اسمع يا رياض . هذه الأشياء لا يمكن أن توجد هكذا .. كل شيء لابد أن يأخذ وقته .
 وأحس هو بالغضب يعل في جوفه ويتسائل في حدة :
 — معنى .. لن تتركه ؟
 — لا أعرف .. كل شيء ، وظروفه .
 — ويظل يحبس معك .. ويدخل البيت ، وأنا موجود !
 وصمت لحظة ثم قال وهو يحض على نواجذه :
 — لكي يقول الناس .. إلى أبى صرف ، وهو يستشع .
 ورفعت هدى بصرها وتساءلت في دهشة وحدة :
 — من قال هذا ؟
 — رملاؤه .
 — من نقصد ؟
 — أفراد .. ربهم في المجلس .

— كلام غارح .

— ولكنهم قالوه .

— ماذا تريد إذن ؟

— إذا ظلمت على علاقتك به ، فلن يكون بيننا أية صلة .

وأطرفت « هدى » وأخذت تمر خلال شعرها بأصابعها بحركة عصبية وأجابته .

— أمرك .

— لن ترى لى وجهاً .

— عجيء مؤسف أن أفقده ، ولكن حريتي تستحقه ، وتستحق أكثر منه .
إلى أريد أن أحيا ، وأما لا أودى أحداً . حتى أنت . عانت تعرف أن واحداً ما لا يفيد الآخر بشيء ، ولا أظن علاقتي .. بهذا الإنسان .. أو بدوره .. يمكن أن تشبك .. لأنى لم أهن لديك أبداً .. أكثر من صداقة

وهو رهاص من مقعده ، وهو يرتجف . ونظر إليها قائلاً في لحظة حليط من الغضب والأسف والحزن :

— أهدأ كل ما لديك ؟

وهزت « هدى » رأسها عجيبة .

— لا أظننى أستطيع أن أقول أكثر من هذا

وانته إلى الباب دون أن يضافحها ، وقبل أن يصل إلى الباب استدرك قائلاً في مرارة :

— عندما تنتهى منه . أو ينتهى منك .. تستطيعين أن تتصللى . سأكون فى انتظارك .

ولم تجب .

وسمعت وقع أقدامه .. ثم سمعت طريقة الباب ورواه .

وساد السكون . وصيحت حبيباً بكفها من شيء من العنف .

ودفعت مقعدها بعيداً عن المائدة .. ثم نطقت عليه وتهدت .. ومدت يديها وسألها فى استرخاء .. وشرودت بصرها فى فراغ الشافطة .

كانت تحس باسترخاء حقيقى .

إن المسألة فى جعلتها مريحة .

لها مزاجها .. ولها مضار .

ولكن حصيلة المزايا أظلب .

لم يمكن منها وبسه .. ما يمكن أن يدخل فى باب الحياة الحقيقية .. ولكنه مع ذلك .. لا يمكن أن يهمل كلية عندما تناقش فيها الحساب الدقيق . إنها لا تنحى من جانبها أكثر من حنو الالة أو عطف الأغت .. ولكنها تأخذ لذلك ثمناً .. جعلها تحس بما جبتها الدائمة إليه .

وقبل أن تستمر فى أنكارها وشرودها . سمعت وقع أقدام « أم حبيب » البطيئة المتناقطة

واقتربت منها حتى مسست كعها .

ودون أن تنظر إليها .. سألتها غائلة فى لحجتها المقنطرة ؟

— ما ؟

وربت « أم حبيب » ظهرها فى حنان ، وقالت :

— سمعت كل ما قيل .

— ألم أحفرك من التمتع ؟

— لا أستطيع .. ما دامت لى آذان ، وما دامت أحببك وأعشى عليك .

— إذن أتصتى كما شئت .. فقط أعفنى من تعليقاتك .

— أيضاً .. لا أستطيع .

— هذا عيبك .. ماذا تريد أن تقوى ؟

— ماذا فعلت هذا ؟

— لم أكن أستطيع أن أفعل سواء .
 — لماذا لم تداريه كما تعودت أن تفعل معه دائماً ؟
 — لا عائدة . إنه مصرى ، وهو برائى .
 — مغفل . ما الداعى لكل هذا ؟ ماذا يريد سامى عن غيره .. مصوره انتهى .
 ونظرت إليها هدى فى غيظ وتسايلت :
 — لماذا تقولين هذا ؟
 — أنتظرن حلالتكما مستحيل ؟
 — لم لا .
 — إلام ؟
 — إلى الأبد .. إلى أن يموت واحد منا .
 — بلا زواج ؟
 وصمتت هدى برهة ثم قالت :
 — لم لا ؟ إلى أستطيع أن أحمل .
 وهزت العجور رأسها فى تشكك ورمعت أصبعها بحذرة .
 — لا أنسى .. مهما كثرت الرغبة فى نفسك فلا بد أن تضل حتى تصلك إلى شيء ما .
 — لا أريد أن أفكر فى هذا الآن .
 — وكيف تتوهم أن تدبرى حياتك ؟
 وهزت هدى كتفها وقالت :
 — لا أعرف .. لى الآن شيء فى البك . يمكن أن يقضى إلى حين .. وهناك أمل فى فيلم سأقوم به فى القاهرة .
 وضحكت هدى حبيب ضحكة قصيرة خفاء من أمها وتسايلت :

— وبعد ؟
 — يدبرها ريتا .
 وهزت هدى حبيب رأسها فى غيظ وقالت :
 — يا عجوبة .. كان لديك معين لا يهضب . لا يكلفك شيئاً ولا يطلب منك شيئاً .. لماذا تصميه ؟ هل يستطيع صاحبك أن يدفع لك أجر البيت ؟
 وأحست هدى كأن شيئاً قد لحقها .. وانصرفت إلى هدى حبيب .
 متسائلة فى حلة :
 — من قال هذا ؟
 — هل سيدفع لك أجر الخياطة ؟
 — لى أطلب منه مليها واحداً .. ماذا تريد أن يقول عني ؟ لقد حطروه بأى مستغلة .. وأنى بلا قلب . وأنى لا أصاحب إنساناً إلا من أجل منفعة .. هل تريد أن يصدق عني هذا ؟
 — هذا ليس استغلالاً .. إنه مساعدة .
 — لى أطلب مليها واحداً .. ولو أدى الأمر لى أن أبهج حلىسى وملابسى .. قطعة قطعة .
 وهزت العجور رأسها فى دهشة ونحمت كأنها تحدث نفسها .
 — ألعنا هو الحب ؟
 وصمتت هدى قوتها .. فأمسكت يدها المسطرة على كتفها وأطرفت والدموع تتصاعد إلى جفونها :
 — أكثر من الحب .. إنه الحياة . الحياة التى لم أدق بها سوى المرارة والأناية والبغضاء .. حتى لقيته .. فأحسست أن ما عرفت لم يكن حياة . كان عدماً . كان وهماً .. كان خرافة .. وهذا لى أنى خرجت فجأة من هذا العدم . وأنى بدأت أحيا . وأمل .. وأضحك .. وأمرح .. وأتأمل أشياء جميلة قادمة .

كيف أصبح من يدي .. إنه يحنى .. كما أحبه .. بخلاف على .. ويصمتني
كسخلوق عزيز لا يملك في الدنيا غيره .. لماذا تعقدون الأمور على .. ما دمت
أريده كما هو .. أريده فقط .. لا رواجاً .. ولا نقوداً .. ولا أى شيء .. ألا
يكنى أنه يحنى الحياة .. نفسها ؟! ألا يكنى أنه يحنى من كل شيء ؟!
وهزت : أم حبيب ، رأسها قائلة :
— حتى الآن .. يكنى ؟!

١٢ عائلة

انتهت جلسة مجلس النواب .. وخرج سامي مع سليم .. ونظر سليم في
ساعته فإذا بها قد بلغت التاسعة مساء .. فتوقف متسائلاً .
— إلى أين ؟
— إلى المكتب .
— وعلام الاستمجال ؟
— لم أكتب الافتتاحية بعد .
— مارال الوقت ميكراً .. مارأيت في أن أعطيك كوباً من البيرة في المطعم
الجديد القائم على الناصية .. إن به دائماً أجمل مجموعة من الزبائن .. و
وقاطعه سامي قائلاً :
— لا أحب البيرة .. ولا التطلع في زباني المطعم .
— اطلب أى شيء .. بوظه .. ليمون .. وتطلع في وجهي أنا .. إني
جائع .. وعطشان .. ولا أريد أن أجلس لأشرب وحيداً .. هيا بنا .. أم ترانا لم
نعد نستحق منك بضع دقائق .
وبدا التردد على وجه : سامي ، ونظر إلى ساعته .. ولكن سليم جذبته من
يدنه قائلاً :
— هيا يا أخي .

وسار الاثنان متجهين إلى المطعم .. ولم يطل بهما السير حتي توقفا أمام
المدخل المخصص ، ودعه سليم يده .. وبدا المطعم أنيقاً ضيقاً .. تأثرت
فيه مجموعة متعاطفة من الأغوان في جدراته وماضده ومقاعدته وستاره ..
وترياته الحديثة .. وبدا منه سلم خشبي يقود إلى طابق مسروق -

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

وجلس الاثنان حول مائدة في أحد الأركان ، وأمر سليم الجرسون بإحضار كوب من البيرة وآخر من الليمون .

وبدا ساسي شارباً . وأخذ سليم يطرُق المائدة بطرف سبابته مدبداً بإحدى الأغنيات .. وصحابة قطع دذنته وسأل ساسي .

— ما بالك ؟

وهز ساسي رأسه قائلاً :

— لا شيء .

— ضايقتك جلسة اليوم ؟

— لم يكن ما بها مفاجأة لي .. إذا أخذت كل ناحية على حدة .. ولكن ما ضايقتني هو إحساسي بها كقوة متألّفة . وتيارات موحدة .. ضد المصلحة الحقيقية لوطننا .

— لقد كنا دائماً عرضة لهذه القوى الطامعة هنا .. كان مشروع سوريا الكبرى حلم « عبد الله » .. يهددنا من الجنوب . والهلال المصمب من الشرق .. ومطامع تركيا من الشمال .. وأطماع أخرى تصهر لنهش جسدنا من الغرب .

— لم يكن بها غير عطوبة الأحلام والمطامع . كانت مجرد أشباح .. ولكني أحسست اليوم في المجلس بتكتلات واضحة .. كلها تتآلف ضدنا .

— والشيوخيون موقفهم غير واضح .

— بل واضح جداً .. إذا اعتبرنا أهدافهم الحقيقية ولم نخدع من

مظهرهم .

— كيف ؟! إنني لم أعرف أبداً .. هل هم معاً أم علينا ؟

— معاً ما دما تتحرك من اتجاههم .. وما دما نترك لهم الحرية .. للتصحم والنمو . إنهم يتسللون إلى الجيش ، وإلى المقاومة الشعبية ، وإلى الوظائف الحكومية .. وهم في نظري أخطر من كل قوى الرجعية متكتلة ..

لأن قوى الرجعية .. ساهرة أمامنا .. تعرف لماذا عارها .. وكيف عارها . أما الشيوعيون . فقد لبسوا لباس القومية .. وتناموا في غمطها .. ولدعوا أهدافها .

— ولكن ماذا تفعل موقفهم .. عندما يتجاوز نهجها نحو الوحدة ؟

— سيحاولونها بكل قواهم .

— ولكنكم يؤيدونها الآن .

— تقصد أنهم يتظاهرون بتأييدها . لأنهم لا يستطيعون أن يجاهرُوا

بمداوئهم لها .. حتى لا يكسحوا أنفسهم . وحتى تأييدهم لها قد يدعوا بصحون له اشتراطات معينة .

— تقصد مطالباتهم بالديموقراطية ؟

— ديموقراطية الأحزاب طبعاً .. ديموقراطية الموعى التي تسمح لهم بالتكثير والتوالد .. والتمسك والسيطرة . حتى يسكروا برمام الأمر ويستولوا على السلطان .. وتصبح الديموقراطية في يدهم . شر أنواع الديكتاتورية .

— معك حق . لا أشبهم بقبول الوحدة أبداً إذا كان فيها قضاء على

الأحزاب . إن الشيوعية لا تبدأ بالصدام وإنما تبدأ بالتسلل .. أنصار . ثم

حرب . ويفجر الحرب إلى الحكم . وينتهي بالحكم بالنتيجة الشيوعية . وعلى

الحريات الصماء .. وعلى الاستقلال السلام !!

ومطر « ساسي » إلى الساعة وهذا عليه الفلق .. وكان « سليم » لم يزل

يرتشف كويته .. ولم يبد عليه أنه في حيلة من أمره .

وكان « ساسي » قد شرب كوب الليمون . وثلثت حوله فأبصر قرب

« الكيس » جهاز تليفون .. فنهض واقفاً .. وقال لسليم :

— دقيقة واحدة .. سأدقق التليفون في مكنتي .

وانته « ساسي » إلى التليفون . وطلب رقم « هدى » . كان المفروض أن

تحدثه دائماً في مثل هذا الوقت ليتفقا على موعد اللقاء .

ودق التليفون .. وسمع صوت الخادم يجيب :

— آلو ..

— أين المدام ؟

وعمز الخادم صوته فأجاب :

— دقيقة واحدة .

ولم يدر ساسى « هل طالبت المدة قبل أن تحضر » هدى « أم أن وقتها المثلثة أمام الكيس » هي التي أوجعت بطول المدة .

وأخيراً ردت عليه « هدى » في صوتها الرقيق والحجتها الناعمة .

— أهلاً . أسي أنت ؟ لقد سألت عليك في مكيتك !!

— لم أذهب بعد . فقد دعاني سليم إلى مشروب قبل العودة إلى المكتب ..

ما أخبرك ؟

— كنت أريد أن أخبرك أننا لم نستطيع أن نلتقي الليلة .

وأخس « ساسى » بصيق من قولها .. كانت المرة الأولى أن تعتذر عن لقائه .

وقبل أن تستمر في الشرح له قطعها قائلاً :

— سأذهب إلى مكيتي وأطلبك من هناك .

ثم وصب السماعه ، وعاد إلى « سليم » ولم يستطع أن يخفى علامات التجهم

من وجهه فسأله سليم :

— ما بالذك ؟

— لا شيء .

— كأنك سمعت أنها مريضة ؟

وتصاحت « ساسى » قائلاً :

— ليس إلى هذا الحد .. العمل متأخر في المبردة . لا بد لي من العودة

حالا

— هيا بنا .

وجرع « سليم » ما بقي من كونه .. ثم دفع الحساب ، وخرج الاثنان

متجهين إلى المبردة .

وشرد ذهن « ساسى » .

لماذا اعتذرت « هدى » ؟

شيء خطير لا بد أن يكون قد حدث .. فلا يظن هاك أمراً استطاع أن يجمعها

عن لقائه .. منذ أن عرفها .

لقد كانت تجرب لقاءه ضرورة حيوية .. وعندما اصطره العمل إلى الاعتذار

بصع مرات ، أخس ما يصفها من الخذلان والحزن . مما جعله يهي عمله في

عجلة . ثم يسرع لمقابلة محصوره .. وأعددها بين ذراعيه .

ثم ترى مشاعرها قد تبدلت .. ولم يعد يرجعها كثيراً ألا تراه ؟

من يدرى !

إنه يجد بها في الأيام الأخيرة .. نوعاً من الشرود .. والحزن .. لا يدرى

سببه .

وعندما حاول أن يسأها عما بها ، هزت رأسها وتصاحت ، وأجابته بأنها

تفكر به .. وأنها حزينة لأنها لا تكاد تستقر بين أحضانها حتى تحس أنه يوشك أن

يفارقها .

ولكنه لم يفتح كثيراً بقولها .

لا بد أن شيئاً قد جد في حياتها .

وتذكر .. بعض وسوس سبق أن انتابه .. ثم أنهدها عن غلظه .

تذكر .. بصع رجالات من الصودا .. وحنها في التلاجة ، وعندما سأها

أبأنه أنها تفت من ولعة غداء لمقامتها لبعض زملائها وزميلاتها رداً على دعواتهم .

وتذكر سلة رهور .. وأها في القاعة . وأبأنه أنها هدية ركي بك ، أو على

بك .. أو إنسان لا يذكره من المصحين بها .

وتذكر تعاهات كثيرة .. كانت تدفع الوسوس في نفسه ، ولكنه سرعان ما

يعطرها .. أمام إحساسه بحبها الجارف .. وأمام تسليمه بأن ثقته فيها يجب أن تنسحب على إحساسه بها وبحبها .. أكثر منها على الدلائل والقرائن العادية .. لأنه لا يملك مراقبتها . ولا يملك أن يجرم ماداً تعمل في كل لحظة من لحظات غيبته عنها .. وهي الجزء الأكبر من حياتها .

وكان أكثر ما يثقله طريقة حياتها .. وطبيعة المحيطين بها ، من زملاء .. ومصعبين . واضطراره إلى أن يسلم بواقعها . لأنه لا يملك تغييره .. ولا يملك إلا وصح ثقته بها .. على أساس ما هي عليه . وأن يعتمد اعتماداً تاماً .. على حقيقة مشاعرها . وقوة حبها .

ووصل الإنسان إلى آخر الطريق . وعد ما أراد أن يعبره إلى الناحية الأخرى .. توقف سليم قائلاً :

— سأتركك الآن .

— له ؟

— لدى موعد مع بعض الأصدقاء في سمواميس .. إن بينهم بعض الصحفيين من مصر .. وكانوا يودون لقاءك .

وتردد سليم قبل أن يقول :

— لست أدري . هل يمكنك أن تقاهم الليلة بعد أن تنتهي من الجريدة ؟

وأجاب سامي .

— ولم لا ؟

وبدت الدهشة على سليم وقال :

— خجعت أن تكون مشغولاً ...

— لماذا ؟

— سهرتك الطبيعية .

— ماذا تقصد ؟

— لا داعي للإتكان . فالدينا كلها تعرف .

وحب سامي . ومد سليم يده مودعاً ، ولكن سامي استيقظ في يده وتساءل في إصرار :

— ما هذا الذي تعرفه الدينا كلها ؟

— علاقتك بهدي .

— قلت لك إنها علاقة غريبة .

— اسمع يا سامي . أظن من واجبي أن أصارحك بكل شيء .. مد بضعة أقدام .. دارت مدقشة عليّة في يدي الشرق .. كشفت فيها كل علاقتك بهدي ، كان يجب أن أروها لك من قبل .. ولكنني أكره أن أجرحك . إن مؤاد يعرف كل شيء عن هذه العلاقة .. يعرف أين تقابلها ومتى . وقد أنبأ رهاص عبد الدائم وهو ثمل أنه يصرف وأنت تستمتع .

وأحس سامي بأن شيئاً يطن في أذنيه .. وقال في صوت خافت ملؤه الصعق .

— أهذا كله جرى في الادي ؟

— أجل .. وحاولت جهدي أن أوقفه ولكنني لم أستطع

— ولماذا لم تقبل لي ؟

وأجاب سليم في غيظ :

— كيف أقول لك ، وأنت تصر على أنه ليس بينكما شيء

وعصت سامي .. وأحس بأن الموقف في الطريق لا يسمح بالاسترسال في مثل هذا الحديث الخطير .. فأمسك بلراع سليم قائلاً :

— سأحاول أن ألحق بك بسرعة . نقابل في سمواميس المصريين ، ثم نسلم حضرتنا .

وعاد سامي إلى مكتبه ولفيته غائرة يعطرها المتحفظة التي تعودت أن تقاه بها أخيراً . وبعد أن سلمت له بعض تجارب الجريدة .. قالت له :

— دق التليفون مرتين ولم يرد

ولم يبد سامي كثيراً من الاهتمام . وتجدد جلوسه على مكتبه ، ولم تكن

فايزة تغادر المكتب حتى أدار رقم « هدى » .
وبعد فترة .. ردت « هدى » .. وأحس من حولها أصواتاً .. وموسيقى
وعندما ميزت صوته .. قالت :
— دقيقة واحدة .
وبعد لحظة .. عادت تقول له في صوته الرقيق الباهم :
— أهلاً .
وأحس « سامي » أن الضجة قد خفت ، فقال في صيق وتشكك :
— ما الحكاية ؟
« أبداً » . كنت أفضل التليفون .. لأن عذتي ضيوماً
ورده « سامي » في لحظة صيق .
— ها
ثم لاد بالصمت .
وتساءلت « هدى » .. في لحظة يشوبها الحزن :
— ما بالك ؟
— لا شيء .
— لماذا لا تتكلم ؟
— وعاد أقول ؟
— أنا آسفة لأني لن أستطيع لقاءك .
— لا بأس .
— أنت تعرف أني لا أستطيع في هذه الدنيا شيء أكثر من رؤيتك ، ولكن
المنتج عبد الرحيم جودة طلب أن يروى القصة .. ليعرض على الاشتراك في
فيلم .. ومعه المخرج .. إبراهيم زكي .. وأنت تعرف أن هذه القرص لا تسح
كثيراً .
ورده « سامي » في برود :

— أجل .. أجل .. يجب ألا تركبها عمر .
— لماذا تخبرني بمثل هذه التهمة ؟
— أية تهمة ؟
— تخبرني كأني غريبة .. أنت تعرف لمحبك التي أحبها .
— لا أفضل الضجة التي حولك تسمح بها .
— إلى بعيدة هيم . لقد أخذت التليفون في حجره اليوم .
— لا داعي لأن تتركهم مدة طويلة .
وعادت تعجب به بلهجة ملؤها الألم :
— سامي .. لماذا تخبرني هكذا ؟ أنا لم أفعل شيئاً سيئاً . إلى عل
استعداد لأن أطردهم جميعاً .. إذا أردت .
وأوجسته لمحبها .. وكره نفسه لأنه آلمها ، وأجابها في رقة :
— أنا متأسف .. ولكنك تعرفين .. كم يصايقني عدم لقاءك .
— إنه يصايقني أكثر منك .. ولكن كان يجب علي أن أحمل
— ولماذا لم تتلقى سهم في أي وقت من النهار ؟
وترددت برهة قبل أن تقول :
— كان يجب علي أن أدعوهم للمشاء .
— ومن دعوت معهم ؟
— ثلثة الأصدقاء .. عليه .. وسامية .
— وشكري ؟
— سيجتهد بعد انتهائه من العمل .
— وأنت أين تذهبي إلى المسرح ؟
— لقد اختلرت .
وعاد « سامي » إلى الصمت .. وتساءلت هدى :
— ما بالك تصمت ؟

— ليس عندي ما أقوله .

— إنك لم تحدثني حتى الآن .. الحديث الذي أحبه .

— لا أجد في نفسي الرغبة في النطق به .. ولا أحب أن أصطعنه .

وأحست بوحرة أم . وقالت في صوت حزين :

— لم كل هذا ؟ إنك تغيرت !

— أنا لم أتممر .. لقد مصى عليك أسبوع . وأنت دائمة الشرود .. وكلما

سألتك عما بك . قلت لي .. إنك غيبسي وتكرهين فراق .

— وماذا في ذلك .. إني فعلاً أحبك وأكره فراقك .

— هذا شيء غير جديد عليك . فلماذا الشرود والحزن ؟

— وماذا تظن السبب إذن ؟

— شيء يفلتلك .

— من أي نوع ؟

— لست أدري .. ربما تغيرت مشاعرك . ربما يكون هناك إنسان آخر أو

يكون هناك ما ينقل صورك .

وصمتت هدى .. وأحست بأنها تكاد تنهاى في وقتها . وصعقت

على جيبها بأصابعها .

ما أشد ما ظلمها .. وأجابته في صوت هائس .

— أنت تقول هذا .. بعد كل هذا الحب الذي أحبه لك ؟

وأحس من غوها كأن سوطاً قد حوى عليه .. ونمى لو استطاع صمها بين

دراسه .. وأوقف الكلمات على شفتها يشفته . وهتف بها .

— أنا متأسف . ولكنني أحس أن هناك شيئاً يفلتلك ، ولا أستطيع السكوت

عنه .

وأحست هدى . أن من الخير أن تقول ما بها . بدل أن تترك ظنوه

تسلمها بالثهم الجائرة .

وصمت برهة .. وعاد هاسي يقول :

— ماذا لا تحدثني عما يشاقتك .. من يستطيع أن يشاركك متاعبك

وأحزانتك سوى ؟

وتردبت هدى هليلجاً قالت :

— لم أكن أود أن أضايقك بمطامعي . ولكي أكره أن تظلمني بظنونك ..

إنها مجرد ضائقة مالية أمر بها .. وسأجتازها قريباً . سأتعافى على هذا الصدم

وأفصح عربونه . وهناك حملات أخرى سأشترك فيها . و . .

وقاطعها هاسي هلالاً في لوم :

— ولماذا لم تنبئيني من أول الأمر ؟

— لم أرد إزعاجك .. بمثل هذه الأمور .

— أنت عجيبة ! من عوي يمكن أن تمضي إليه بمشاككتك ؟

— إني لا أريد توريطك . وأنا أعرف أن مولدك المالية محدودة . فمماذا

أحملك همومي ؟

— إن مولدي محدودة حقاً .. ولكنني لن أعجز عن معاونتك في ذلك

أزمك .. ولو بالاقتراس .

— لا أريدك أن تفرض من أجل .

— إن من حقني عليك أن أساعدك .

— أكره أن تحس أني كأقل لك .

وقاطعها هلالاً في ضيق :

— لا تكوني سحيقة .. إنني لم أعد في حاجة إلى أن أعرضك من خلال ما يقوله

عنك الناس .. إني أعرضك من خلال نفسي وتجربتي . أعرف جيداً بسل

أعلاقك وعفة نفسك .

— ولكنني سأعرف كيف أحل أزمي . إني معتادة على حبها وحدي

— ولكنك لم تعودى وحدك . إني أستطيع أن أساعدك لأنني ملجأ أحصل

عليه .. دون أن أرتكب خطأ ، وعندما أعجز ، مستشارك موارداً سوياً
حتى تسوّل مجاً .
وضحكك هدى قاتلة :
— يا حبيبى .. لن يصل الأمر بنا إلى هذا الحد .. أنا والقة أنى سأحلها
قريباً .. لا تضايق نفسك .
وصمت قليلاً وهى تحس أنها تود أن تضع رأسها فى صدره ، وهمت به :
— واحشنى .
— وأنت أكثر .
— كم كفى أن أراك !
— سأتى إليك عدداً
— أما راي على أن أنتظريوماً كاملاً ؟
— سأتى إليك فى الصباح .
— أحقاً تستطيع ؟
— سأتى لأوقظك
— كم أسعدتنى وما كفى فرحة وأمل
— لا تستعظمى قبل أن آتى إليك .
— سأترك باب الحجرة مفتوحاً وسأظل ممصصة عبي حتى أحضهما عن
وجهك .
— تصحبين على خير .
— أحيك .
— يا أهر إنسانة .. أنت سيدة الناس . أنت سيدة الدنيا .
— يا حبيبى .. يا أهر إنسان .. مع ألف سلامة
ووضع السماعة وصوتها ما زال يتردد فى أذنيه .
وأحس بالصيق الذى كان يملؤه قد تبدد ، وأقبل على الورق يكتب فى حاس .

لقد استطعت أن تحو بحديثها كل ما رسب فى نفسه من شكوك وريب .
وكل ما تركه سليم بحديثه من ضيق وقلق .
وانتهى من عمله ، وأقبل على « فائزة » ممارحتها .. وأبأها أنه سيذهب إلى
سميراميس للقاء بعض الصحفيين المصريين وأنه سيتأخر فى الصباح لأن لديه بعض
الواجبات .
ولقيه الإخوان المصريون فى حاس وترحب ، وجلسوا يتحدثون عن
الأحوال السياسية .. وأعصى إليهم بصراحة عن التيارات التى تتنازع الرأى العام
فى سوريا ، وأبأهم أن القومية العربية تحتاج إلى حشد صيخم لمواجهة هذه
التيارات .
وافترق الجميع فى النهاية .. عقب تناول العشاء .
وفى الطريق إلى بيته ، وقد جلس فى العربة . بدا كأنه قد تذكر أمراً .. فقال
على سليم قاتلاً :
— أمعت ألف ليلة ؟
— أجل .
— هانها .
— سأحضرها لك فى الصباح .
— أريدها الليلة .
— الليلة ؟؟
— أجل .
— إذن انتظر حتى أحضرها لك من البيت .
وتوقفت العربة أمام بيت سليم .. وغاب يصيح دقاتي ، ثم هبط ومد يده
بالقود إلى « سامى » ، وقد بدت على ملامحه الدهشة والتشكك ، وبعد أن
سميها إليه قال :
— لم تنعم حديثنا الذى بدأناه فى الطريق ؟

— فيما بعد .

— يجب أن تكون على حذر .. إنهم يحصون عليك حركاتك وسكناتك

وتهد سامي قائلا :

— ريثا يستر .

وأحس سامي بأنه أمام حالة مستعصية ، وشد على يد سامي ، وردد

قوله مختصا :

— إن خصومك كثيرون ، وقد كنت بلا عظامها ، ولكنهم استطاعوا أن

يجدوا لك مغزاً .. وقال الله عنهم ، ومن نفسك .

مذهب كفيف

كانت الساعة قد بلغت الساعة والنصف والشوارع ما زالت مقفرة ،

وحباب يوهي ما زال يرهب في الطرقات ، ولثة من الجند قد تجمعت في

انتظار إحدى عربات الجيش لتنقلهم إلى ثكناتهم .. ومشكوا المارة يلفون

أذانهم ويلسبون أهازيجهم في سراويلهم .. وإحدى عربات الأجرة تستعد لأخذ

آخر ركابها قبل أن تنجبه إلى بيروت ، وقد وقف سائقها يستحث الراكب ،

ويلتهم آخر لقمة من « الترويقة » في يده .

و سامي يسير في خطى سريعة بجوار سور يردى ، وقد ملأ نفسه

إحساس منع بكل ما حوله وما هي باطنه .. بالماء الجاري في النهار ..

والسمة الرطبة تدفع موجات الصباب من حوله .. والأميرة الحيوية تستقر في

دهنه ، وفي قلبه ، وفي كل حاسة من حواسه .

ووصل إلى باب البيت ، وانفتح يصعد الدرجات في خفة حتى وصل إلى

باب الشقة وصنط الجرس .

ومصت برهة دون أن يفتح أحد .. وطافت به موبة تأنب على تكبره

الأحقق وهم بالتراجع . ولكن يده امتدت مرة أخرى لضغط الجرس .

ولم يطل انتظاره هذه المرة .. وسمع وقع أقدام تقرب ، وفتح الباب .

وبدت أم حبيب تفرك عينيها ، والنوم ما زال يثقلهما .

وقال لها وهو يحس بشيء من الخجل :

— صباح الخير .

وأجابته أم حبيب : وهي تفسح له الطريق وترسم على وجهها ما استطاع

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

النوم أن يسمح به من علامات الترحيب :

— صباح الخير .. أهلاً وسهلاً .

ودخل « ساسي » مجتازاً القاعة التي تسلك إليها من شرعة البهو بعض الصباء ، واتجه إلى الممر الطويل المفضي إلى حجرة النوم ، بتلمس طريقه وسط الظلمة التي سادت التمسر بعد أن أغلقت أبواب الغرف المؤدية إليه .

وتوقف أمام باب حجرة النوم .. ومد يده وصعد على الأكمة فافتتح الباب ، ونسل في سكة إلى الداخل .

وعلى الضوء الخافت المتسلل من فتحات شيش الواجهة .. بدت « هدى » مشتتة في الفراش المكسو بالستار الوردي ، وقد انحسر العطاء عن وجهها وكتمها ، وبذا وجهها رالعا ، وقد استغرقت في النوم ، وأخذت أنعاسها تتردد في هدوء وانتظام .

وفي ثوان كان ساسي قد تسلك إلى جوارها تحت العطاء ، وضمها إليه في رفق ، فأحس بدفء جسدها وليونته ووضع شفتيه على شفتيها فأحس بهما تتحركان في قبلة رقيقة مهمس بها :

— لم أكن أود أن أوقظك .

وفتحت عينيها وضمته إليها وضمعت شفتيها معرجتين على شفتيه وأجابته هامة :

— ما أظنى أوقظت في حياتي بأمتع من هذا

ورفع شفتيه عن شفتيها .. وجذب رأسها في رفق إلى صدره قائلا :

— نامي .. لا أريد أن أوقظك .

ورفعت رأسها إليه وعلى ثغرها ابتسامة لذيذة وهي تقول :

— يا حبيبي .. يا غبي .. هل ظننتي حقاً نائمة ؟

ونظر إليها في دهشة فاستطردت تقول :

— لقد أحسست بكل حركة من حركاتك .

— لماذا أوهمتي إذن أنك نائمة ؟

— لكي أستمتع بإيقاظك ، بحسبك المريح وصمتك الممتعة .

— كنت تخدعيني .. لقد ظننتك حقاً نائمة ؟!

— آتاه .. وأنا أنتظر إيقاظك ؟ . أمعقول هذا !! لا أظنك أبداً تصور مرحي بك .

ومد أنفه لمس أنفها ونحس بشفتيه شفتيها قائلاً :

— بل أستطيع أن أتصورها .. لأني أحسست بمثلها .. إنني أستطيع أن أتصور كل مشاعرك .. بمجرد مطابقتها على مشاعري .. لقد استيقظت كالطفل في يوم عيد .. لم أسمع إلا لهما .. وكنت تشاركيني كل غفوة .. مرة حلمت أنا أسير في الطرقات حائرين . لا أجد مقراً أستقر به . ومرة حلمت أنني أتيت لزيارتك ، فوجدت البيت مردحاً بالياس . وقنمت إلي أحدهم على أنه روجك .. ووجدت نفسي أتسل مسحاً من البيت ، بالأسأ حزياً .. ولكني لم أكد أسير بصع خطوات حتى أحسست بك تبهمي . و ...

وقبل أن يتم حديثه مدت شفتيها لتلمس شفتيه وهي ممصة اللين ، وعصت في إيمان وإخلاص :

— سأتبعك أينما ذهبت .. إلى أي مكان . وفي أي وقت . لن تستطيع عشتي بأي إنسان أن تمنعني منك .

وضمت إليها .. ثم وضعت رأسها في صدره .. وتركت جسدها مسترخياً بين أحضانها .

وفجأة دق الجرس .

وأحس « ساسي » بأعضائها تشد .. وأساعها ترهف .. وفتحت عينيها .. وأنصت برهة .. ثم سأله :

— أسمع الجرس يدق ؟

وهز رأسه بالإيجاب ثم تسامى وهو يحس توتر أعضائها .

— أنتظري أحداً ؟

— لا .

ومع ذلك ظلت مرهقة الأديس ، مشمودة الأعصاب .

وبها فعلاً لم تكن تنتظر أحداً .. ولكنها كانت تحشى أن يكون الطائر راثراً

بلا انتظار .

وهي لم تتوعد هذا النوع من الزوار .. لقد كانت دائماً أحرص من أن تترك

فرصة لزوار الطواريء .. يتفنون بها نظام حياتها ، أو يسيبون لها موعاً من

الارتباك . كانت تعرف دائماً من سبورها ، وهي أى وقت .

* ومع ذلك فقد كسر « رباب » هذه القاعدة .. عندما أقبل عليها ذلك

الصباح . ليواجهها باتهامه .. وليقبلها بالقطيعة .

وليس يستبعد أن يكون قد فعلها ثانية . وأقبل .. ليحتدر أو ليكرر العتاب

والدوم ، ويطلب منها مرة أخرى أن تقطع صلتها بسامى

السحب !! . الأحمق !! . لشدة ما صاقت به وبقيوده وتدخله في

حياتها .

كان يمكن أن تحتصمه فيما مضى .. عندما كان يجعل من نفسه وصياً

عليها .. يسميها من هذا .. ويحرم عليها ذلك ، ويحصى عليها حركاتها .

وسكناتها .

كان يمكن أن تحتمل منه كل هذا لأنها لم يكن لديها ما تحرص عليه . لم

تكن تملك ما يهيمها بقاؤه أو زواله . ما دام يمكن أن تحوصه عنه إدارال .

أما الآن .. فإنها قد أصبحت تملك .. ما تحرص عليه ، وتصر على

التصكك به .

أصبحت تملك ما لا يحوز .. منه أو من سواه .

ومن أجل هذا .. باتت تكرهه من ومن غيره ، أن يدس ، بأنفه في حياتها

ليفسد عليها أجمل لحظات العمر .

وعاد انجرس يدق ثانية .. وكان واضحاً هذه المرة

وتغم سامى يحاول تهدئتها وهو يحس بتوترها داخل أحصانه :

— لعلة أحد الباعة .. أو الكوادة ؟

وهزت رأسها بالنفي قائلة :

— هذا جرس الباب الخارجى ، وهم يأتون من الباب الخصى .

وانصتت برهة ثم قالت وهي تسمع صوت الباب الخارجى يفتح ثم يعلق :

— ترى من يكون ؟ لعل أم حبيب لا تنصرف بمحافة .

وعادت تصمت لوقع القدم « أم حبيب » وهي تقترب من الباب وعبارة

بهتت بنصفها الأعلى مسائلة :

— هل أغلقت الباب من الداخل ؟

ومد سامى يده وهو يقول :

— أألى ذلك .

وأمسكت بمفتاح الباب فأداره دورة أخرى لتأكد من علقه

وبعد لحظة سمع طرقاً خفيفاً على الباب .

وصتت هدى لحظة . ثم ردت في بروت هادئة :

— ها .

وعادت « أم حبيب » تلدق الباب وردت « هدى » في هجة أكثر عصبية :

— نعم يا أم حبيب .

وألى صوت أم حبيب غافلاً من وراء الباب :

— لحظة واحدة يا سيدتى .

وبدا الصيقر والارتباك على وجه هدى ثم هست لسامى وهي تبهر من

العراش .

— دقيقة واحدة حتى أرى هذه الحمقاء التي ترقى في شبر ماء .

ووثبت من العراش وتناولت من الدولاب ثوبها الرمادى المتفصاض المصنوع

من الصوف : القانلا : وارتدته فوق القميص الحريري الذي كسفت ظهرها وأظهر تفاصيل جسدها .

وأدارت المفتاح في الباب بخفة ثم فتحته بما يكفى خروج جسدها منه وأغلقتة وراءها .

وبرعته ، وجد سامي نفسه بصمت إلى الحديث الخافت الدائر وراء الباب بين هدى وأم حبيب .

تسألت هدى في غيبظ :

— ماذا هناك ؟ .. ألم أقل لك ألا توقظي أبداً حتى أستيقظ . هل انطقت السماء على الأرض ؟!

وأجابت العجوز في هدوء :

— تكاد .

— ماذا تعني ؟! من الذي طرق الباب ؟

ورغم كرهه سامي : لعملية استراق السمع ، ورغم محاولته التشاغل عن الحديث الدائر خارج الباب .. وجد نفسه يزداد انتصافاً ، وملأه الوسواس

برغبة شديدة في معرفة اسم الطارق

وسمع صوت العجوز نجيب :

— الحاج ربيع .

وتسألت هدى في استكثار :

— ربيع ؟!

— أجل .. ربيع صاحب البيت .

— وماذا يريد ؟

— الأجرة .

— أجرة .. ألى الصبح يطلب الناس الأجرة ؟ .. هذا معنى فنة الذوق !!

— الرجل معذور .. لقد سبق أن طلبها في الظهر وفي العصر وفي المغرب وفي

المساء .. مضى عليه أسبوع وهو يطالب بها ليل نهار .. وأنا أقول له تعال عدداً . — الدنيا لم تطر .

— بالسببة له . تبدو كأنها قد طارت .. أنت تعرفين مبلغ بخله .. ولقد أصر على ألا يخرج الآن حتى يأخذها .

ومضت لفرة صمت وعادت العجوز تقول :

— وبقيّة الدائنين لا يكون صبراً قليل . لا بد أن تجد حلاً يا سيدتي .

— سأجد حلاً عن قريب .. إني أوشكت على التعاقد على الفيلم الجديد ..

قولي له إني سأرسل له الأجر على أقدم حذاء ، وسأترك له البيت .. اضربه الآن .. ولا أريد أي إزعاج بعد هذا .. فاهمة ؟

وسمع سامي وقع أقدام العجوز تتباعد وفتح الباب ودلت « هدى » إلى داخل الخجرة ، وهي تحاول جهدها أن تزيل عن وجهها علامات الصيق وترسم ابتسامة على شفتيها .

وقبل أن تنبس بكلمة .. قال لها سامي في طبخة آمرة :

— نادى أم حبيب .

— شبه ؟

— قست لك ماديا .

— لا تكن أبله .. أتردها أن تدخل الخجرة وأنت راقد في الفراش .

وكان سامي قد وثب من الفراش ومد يده في جيبه فأخرج النقود ودفع بها إلى

يد هدى .

وتسألت هدى في دهشة :

— ما هذا ؟

— أجرة البيت .

— ومن طلبها منك ؟

— لا داعي للنقاش الآن . أعطني النقود لأمر حبيب كي تعطىها للرجل .

— أي رجل ؟

— صاحب البيت . لقد سمعت كل ما دار بينكما .. أعطيه النقود وكفى ثمرته .

— لن آخذ منك نقوداً .

— لا تكون طمعة .. لقد أنبها هذا الموضوع في التليمون، يجب أن نعتك أزمك .. لم تتغير الأمر شيئاً .

وبدا الحزن على وجه هدى .. ومدت يدها وكأنها غلبت على أمرها وأمسكت بالنقود وتسايلت :

— كم ؟

— ألف ليرة .

— لأأريد أكثر من خمسمائة .

— استعيلي الباقي لتفكي بقية أزمك .

ووقف هدى مترددة ، وقد بدت عليها الحيرة والضيق ، وقبل أن تجيب سمع صوت لفظ في الخارج فعاد سامي يستحثها :

— ادهي بسرعة ، حتى لا تتركب المعجوز إحدى حماقاتها .

وهزت هدى رأسها وشردت نظراتها وتتمت قائلة :

— لا أظن المعجوز أكثر من حماقة .

ثم نظرت إلى سامي ، لتقول مؤكدة :

— سأعتبر المبلغ ديباً أرده لك بمجرد أن أحصل على نقود .

— اعتبره كما تشالي .

— لحظة واحدة .. لن أغيب عليك

وخرجت هدى من الغرفة وأغلقت الباب خلفها .

ومضت برهة و سامي نهضت إلى وقع أقدامها تتابع .. وتضائل صوت الأقدام .. وعلت همسة ما لبثت أن خفت .

وساد الصمت من حوله .. إلا من دقات الساعة الصغيرة الموضوعة على الكومودينو ، والتي تعمود أن يقوم بإصلاحها كلما خلع إطارها .

وتنقل بصره بين اللوحات المعلقة على الحائط وزجاجات العطر الموضوعة على التريكة وأحد المقاعد الذي وضعت هدى عليه ملابس الليلة الماضية .. الجوارب .. و « الجهم » .. و « الشبان » . وأشياء أخرى داخلية .. ملقاة على مسند المقعد .. والخلاء ملقى على الأرض .

والخلفية مفتوحة نصف فتحة فوق الشفويير وبجوارها دورق مياه وكوب .. والولاعة وعلبة سجائر ل . م . وظرف أزرقي خفيف للبريد الجوي .

وواصلت الساعة دقاتها الخافتة .. وترك « سامي » حافة الفراش البديستفر عليه .. واتجه إلى باب الشرفة الزجاجي المعلق . وألصق وجهه بالزجاج فأحدثت أنفاسه دائرة من الصباب ما لبثت أن حجبت عنه منظر الخارج .

وعاد يستقر على المقعد الجوارب لباب الشرفة المواجه لتقطع الملابس المبعثرة في إهمال على المقعد الآخر .

وأحس كأن دائرة الصباب التي أحدثتها أنفاسه على الزجاج ما زالت تحيط به .. وتحجب العالم عن بصره .

وبدا له كأنما يسير من دياه في ضباب كثيف . لا يكاد يره شيئاً من الحقائق المحيطة به .

رماها بها صاحبه سليم .. وكان هو رغم ضيقه بهذه المبالغة .. ورغم إحساسه بأنها أسلوب غير طبيعي في تعامل الأحباء .. إلا أنها كانت تختلف في نفسه مع الأيام إحساساً بالراحة والطمأنينة .. لا لأنها توفر عليه نفوده .. بل لأنها كانت تمتلئ به بصدقها .. ويعلمها من كل ما تهتم به .

أما الآن .. فهو يجد النفود قد بدأت تدخل في علاقتهما .
لا جدال في أنها لم ترد إدخالها .. ولا جدال في أنها بدلت كل ما تستطيع من أجل ألا تحتاج إليه .
ومع ذلك فقد احتاجت .

وعلى حين غرة .. ودون أن يقصد .. وجد نفسه في وضع لم يكن يتصوره . وصبح عاشق الغاية الذي يدفع لمن الحب نقلاً .. بدل أن يكون محباً يبحث الحب ليأخذ الحب .
ولم يتصور كيف يمكن أن تستقيم حياته بعد ذلك .. إذا تحتم عليه أن يعيش في حياتها بصمة دائمة .

وحياتها .. بهذا السكن الفاخر . والأثاث الأنيق .. حياة بدخ وترف .. لا يمكن لدخله المحدود أن يتكفل باستمرارها .. وكأثر دليل على ذلك اضطرده عملاً إلى الاستئذان ليعلم ضيقه .. وهو لا يعرف كيف يسد فيه .. ولكن الذي يعرفه هو أنه على استعداد لأن يستدين مرة أخرى لكي يعيشها إذا نزم الأمر .. لأنه يكره أن يراها في ضيق .

وهو لم يحاول من قبل أن يفكر كيف تكفل لها مواردها حياة الترف التي تحياها .. كان يعرف أنها تعمل .. وأنها تأخذ أجراً .. وحدته ذات مرة عن عقار ورثه من أبيها .. يدّر عليها بعض النفود . ولم يعرف كم يبلغ هذا وكم يبلغ ذلك . ولكنه لم يجدها مرة واحدة تشكو شيئاً .. أو تعاني أزمة .. وكان يستريح من ذلك أن يدخلها لا بد أن يعطى مواردها .

أما الآن .. وقد أخذ الصيق المالي يمسك بحياتها .. وهو لا يملك أبداً أن

أغلق الباب

مصبت برعدة و « سامي » مستقر في مقعده والضباب الذهبي .. مخيم من حوله .

وفجأة .. برق البرق الذي يضئ أذهاننا لحظة .. ليرى معالم الطريق .. الذي يسير فيه .

من نحن ؟ وماذا تفعل ؟ وإلى أين تسير ؟
ولم تد معالم الطريق مريحة لنفسي . وتملكه نوع من الصيق واليأس ، جعله يمسى لو انطلق هارباً من حياته الجهنمية .

في الصباح .. على فراش امرأة . لا يمكن أن يقر مجتمعه أي نوع من أنواع الروابط بينهما . شرعياً كان أم غير شرعي .

ونقد كان تجرد العلاقة التي تربط بينهما من كل ما يصعب بالنعمة أو الاستغلال . يمسحها نورا من السمو يميزها عن أمثالها من العلاقات .

لم يكن ما يربطهما سوى شعور مجرد بالحب .. ولم يكن واحد منهما يحتاج من الآخر غير الحب .

وكان هذا في حد ذاته .. يصح على علاقتهما حالة من الأشراف ومن أجل هذا .. كانت حرية كل الحرص على ألا تجعل احتياجاتها المادية تلقى صلالاً من الشك على الهالة المشرقة من الحب .. دقيقة كل الدقيقة في أن تقف معه على قدم المساواة في تبادل الهدايا .. وفي كل ما له علاقة بالنفود .

وكان يشعر بفرط مبالغتها في إبعاد تهمة الاستغلال عن نفسها . بعد أن

يتركها في ضيق دون أن يعيها عليه .. فهو يحس أنها باتت جزءاً منه وأنه مسئول عنها . وعى دفع كل ما يلزم بها من ضيق أو حيق بها من شر .

بل هو يحس أنه هو نفسه .. بمجرد دخوله في حياتها . وارتباطها الوثيق به .. قد يكون السبب الأول لهذه المرأة التي تعانها .. بعد أن عزلها عن حياتها الأولى وجردتها من كل معارفها وأصدقائها .

وقد يمنحه هذا إحساساً مباشر بالراحة والطمأنينة .. والثقة في إخلاصها له .

ولكن !!

هل تعاقبه إمكانياته الساذجة .. على مواصلة عملية العزل التي صحتة شعور الراحة والطمأنينة والتي قد تكون أدت بها إلى الصيق الذي باتت تعان به والذي يحس أنه المسئول الأول عن إزالته ، وعى تحقيق استقرارها وراحته في حياة العزل التي عرضها عليها بحبه لها ؟

ولا جدال في أنه لم يطف بذهنه قط أن يدفع عنه إلى هذا النوع من الحياة . وحتى بعد أن أحبها .. لم يحاول أن يصور لنفسه أن علاقته معها يمكن أن تتحول إلى شكل معين من الاتكليات والواجبات .. ومع ذلك . وبعد أن وجد نفسه قد ارتفق برغمه ورغبتها إلى هذه الاتكليات .. يحس أنه لا مفر له منها .. لأنه يحبها . ولأنه وثق أنها لم ترد قط أن تدفعه إلى هذا الوضع من الاتكلام .. ولأنه — كما اعترف لنفسه — يحس أنه هو المسئول عنه

ورغم تسلسل أفكاره إلى التسليم بالأمر الواقع ، وإلى قبول الوضع البدهي الذي أدت إليه العلاقة التي عرضها عليه الحب .

ورغم هذا التسليم .. لم يستطع التخلص من إحساس القلق والصيق .. الذي دفعه في نفسه . حدائق عهده بمثل هذا الوضع ومثل هذا النوع من العلاقة . وسابق موره من إنكاره .. له . فضلاً عن أن موارد له تنمي بالترامات الجديدة حيالها ، ولا شك في أنه سيعجز عن الاستمرار في منحها ما يمكنها من

المحافظة على مستوى الحياة الذي تعيش فيه

اللهم إلا إذا اختلس ، أو ارتشى .. أو ..

وأحسن بشيء يلتوى في أمعائه .

ومرة أخرى جرته موجة من الأوهام المظلمة .

أترى قد أصبح عيه أن يختار بين حبه .. وبين مصير أسود مظلم ؟

ولكن لماذا لا تحاول هي أن تحيا حياة أكثر تواضعاً .. حياة .. قد يستطيع

هو بشيء من الضغط في مصروفاته أن يوفرها لها .

وقبل أن يواصل دمه الاستمرار في التكبر . أحس بوقع أقدام تقترب من

الباب .. ودارت الأكرة .. وفتح الباب .. وعطت هدى إلى الداخل

وأغلقت الباب خلفها .

وكأن ساسي ما زال يجلس على أحد المقعدين المجاورين لباب

الشرفة . وحول بصره الشارد في أطراف الشجرة التي سرت بين أوراقها

أنعاس الصباب إلى وجه هدى .

ومدت هدى يدها بنهاية القود وقدمت بها إلى التولاب الصغير بجوار

العرش . وبعث ساسي في وجهه علامات بأس وصيق .. لم تكن به تلك

السعادة التي تعود أن يراها تشيع دائماً في ملابسها عند ما يكون بجوارها

واستمر ساسي جالساً في مقعده وهو يتوقع أن تظل سائرة حتى تستقر

في حجرة ، وأحسن بشوق شديد إلى جسمها . وتبددت كل إحساسات القلق

والصيق التي حلفتها الأوهام المظلمة التي تلبدت في ذهنه .. ولم يبق في نفسه

غير إحساس الحب الخالص لها .. الحب الذي يجردتها من كل ما حولها من

أوضاع معقدة ، ولا يبقى له منها غير المخلوقة ، الحرقة الحلوة ، المحبة

المخلصة .

ولم تقدم هدى إليه ، ولم تستقر في حجرة . ولكنها هيئت في بأس

على حافة الفراش . وشرد بصرها برهة من رجاء الشرفة . وبدأ صدرها يعلو

ويبسط ، كأنها تلتهب .

وفجأة ارتجت على الفراش .. وتلكتها نوبة بكاء عنيفة .

وقفر « سامي » من مقعده واستقر بجوارها على الفراش ، وضمها إليه ورفع وجهها المدفون في الوسادة .. ومست شفتاه دموعها الساعنة ، وهي تتنقل بين عينها وشفتيها .. وهسى بها :

— ما بالك يا عدي ؟

وهزت رأسها بالنفي ودموعها ما زالت تنهمر .. واستمر يسألها في توسل :

— قولي ماذا حدث ؟

— لا شيء .

— كيف لم يحدث شيء ؟! لماذا إذن تبكين ؟

— لا شيء .. أنا متأسفة .. سأعود إلى نفسي بعد برهة .

— ولكن ما الذي يبكيك ؟

وأحس بها ترتجف بين يديه ، وضمها إليه في حرارة .. وعاد يسألها :

— قولي ماذا بك ؟

— أحس بخوف شديد .

— م م ؟

— من أن أفقدك

— تفقديني أنا ؟

— أجل .. لم أكن أود أبداً .. أن آخذ منك شيئاً .. إلى أكره أن أفقد ذرة من نفسك أو من حبك .

— من قال إنك ستفقدني حتى ؟

— لأنني أحس أني وضعتك في مأزق .

— كيف ؟

— لأنني أعرف أن مواردك لا تسمح لي بأن أكون عائلة عنيك .. أنت لست رطباً .

— ولكن لن أصجر عن فك ضيقك .

— بالدين ؟

— ربما .

— أي تلك صيتي بصيقتك ؟

— سأستطيع أن أسويه فيما بعد .

ونظرت في عيني نظرة وله .. ومست طرف أفتة بأنفها وعلوت الحديث في صوت هامس :

— لم تعد لي أمنية في الحياة إلا أن أحفظ بحبك .

وضمها إليه وهو يمس شفتيها بشفتيه هامساً :

— لا أظن أمنية يمكن أن تحقق لإنسان قدر ما تحققت أسيثك .

— أحسني الرمس .. والظروف . أحب دائماً أن أحفظ بك بعيداً عن

المتاعب والمضايقات . إنني أحس أنك أكثر ما حصلت عليه في هذه الحياة ..

ولست على استعداد لأن أفقده بأي ثمن . كنت أريد أن أبيع ملابس قطعة

قطعة . قبل أن أمد إليك يدي ، وأعرضك للصيق أو للتقيل والقال .

وأحس من قولها شعاعاً صهراً كل أوهامه ووساوسه . ونظر إلى عينيها فإذا

بطيخة الدموع ما زالت تكسوها ، وأحد يداها في شيء من العجب .

لم يخطر بباله أن مخلوقاً يمكن أن يبه مثل هذا الحب .. بل لم يخطر بباله أن

سحب يمكن أن يكون بهذه الصورة .. الحارة العيفة العفيفة

وبدا له أن الضباب الذي أحاط به لمعه قد تبدد . وبدت أنفاس الحب الحارة

التي أحاطته بها .

لم تعد بنفسه حيرة ولا قلق .

لقد بدا واضحاً لنفسه .. أنه يحبها .

وسيضمها دائماً في الأحبار الأول .

أجل .. لن يدع تيارات الظنون وتقاويل الناس تعصف بحب أبداً .

إن المسألة تبدو على هذا الوضع أبسط مما تصور .
 إذا كانت هي على استعداد لأن تبيع كل ما تملك لكيلا تسبب له ضيقاً .. فهو
 أيضاً على استعداد لكي يمحها كل ما يملك لكي يبيع ذلك صيقها .
 والمسألة بعد هذا لن تحتاج لأن يبيع أحد منهما كل ما يملك .
 تستطيع أن تحيا الحياة المتواضعة التي تحبها من التكفل بها .. لا ضرورة أبداً
 لهذه الشقة الفاخرة ، ولا ضرورة لهذه الولايم التي تقيمها ، وهو يستطيع أن يوفر
 من مرتبه ما يجعلها في غير حاجة إلى أحد .
 واستراح إلى هذا الحاضر .. وأحس بعده بالاستقرار .. وصحبها إليه قاتلاً :
 — إننا سندبر كل شيء .. لا حاجة بنا إلى هذه الشقة المتسعة . هناك أشياء
 كثيرة يمكن احتصارها في حياتك .. وأنا أستطيع أن أوفر مبلغاً أعتقد أنه يمكن أن
 يكفي مصروفاتك .
 وبدأ عليها الشرود .
 لقد أحسنت من قوله دقائق الخطر .
 لا .. لا .
 لن تكون أبداً بحاجة إلى أن تترك شقتها ، ولن تكون في حاجة إلى أن تحمله أي
 عبء مهما صَوَّل .
 يجب ألا تشمت فيها ، رياص .. إنها ستعاهد مع شركة الأفلام المتحدة .
 على هذا الفيلم الذي عرضوه عليها .. إن « عبد الرحيم » صاحب الشركة .. لم
 يخلع إعجاباً بها في كل مرة الشقا .. وهي تستطيع أن تربحه .. دون أن تخسر
 شيئاً ، أو تفعل ما يمكن أن يعتبر حياة لاسمي .. وهي تستطيع أيضاً أن تفعل
 الكثير من المفرد الأخرى التي تعرض عليها .. سواء في الأفلام أو المحطات ..
 بشيء من التساهل في المعاملة والتساهل في الأجر .
 يجب أن تكف عن هذا التوسل وتخرج من هذه العزلة .
 من أجل حبها .. هجرت الناس . وتركت الفرص التي يمكن أن تمنحها

الكثير من النقود .

ومن أجل حبها .. يجب أن تعاود علاقتها بالناس .. وتحاول أن تحسك
 بتلابيب الفرص .. فلا تدعها تفلت منها .
 إن الأمر لن يصل أبداً إلى حد الحياة .
 وهي لا يمكن أن تكون سلمي . لأنها لا تستطيع ذلك ، لسبب بسيط .. هو
 أنه قد بات يسرى في كيانها .. فهو دائماً معها .. في ذهنها ، وفي عينيها .. وعلى
 طرف لسانها .
 فالحيانة إذن . بمنعها الحقيقي الذهني والجسدي .. قد باتت .. شيئاً ..
 خارج نطاق التفكير .
 ومع ذلك فهناك أشياء قد تعيدها . دون أن تحسح حبها
 ابتسامة على الشفتين . أو كلمة رقيقة .. أو حديث مصقول .. يمكن أن
 تمنح لها أنوباً موصدة ، ويمكن أن ترهب دخلها ... وتلك صيقها ، ولا تجعلها
 تمد يدها إلى ساسي .. ليعقد ثقته فيها .. أو لتدعيه معها في مشكلات مادية ،
 ومناعب يمكن أن تعرض حبه بتلابها على مر الأيام .
 إن دقتها في الإحلاس له واندهاعها للارتقاء بين أحصانه كاد يفقدتها توارثها ،
 ويعرض حبها للخطر من جانب آخر ..
 وضمت برهة .. لم يسمع خلالها تعليقاً على قولها . وأحس بشرودها
 صاعداً :
 — إلى أين ذهبت ؟
 — كنت أفكر فيما نقول
 — وما رأيك ؟
 — لا أظن المسألة ستأرم إلى هذا الحد .. لا ضرورة أبداً هذه الإجراءات
 الحادة . إنها أزمة تمر ، وسيعود كل شيء إلى طبيعته .. إن هناك أفلاماً معروضة
 على .. وكنت أأمل في قبولها لأي سبب من الأسباب في القاهرة .. وأنا أكره

البعد عنك .. ولكنى سأحاول أن أوفق بين موايدها بحيث لا تبعثنى على
كثيراً .

وكانت شفته تلسلان إلى عنقها .. ويده تنزلق إلى صدرها ، وأغمضت
عينها وأحسّت بجسدها يرتجف .
وضمها إليه .

وأحسّت بنفسها تلذّب بين أحضانها فهمت به :

— أخلق الباب .

ومد يده فأدار المفتاح دورتين .

ليست بلهاء

بدعت الساعة الثانية عشرة صباحاً و « رياض عبد الدائم » ما زال راقداً فى
فراشه .. وقد بدأ عليه الضيق والألم واليأس .
كان يشعر منذ قطيعته « لهدى » أن شيئاً كبيراً قد ضاع منه .
شيئاً لا يمكن أن يعوّض .

ولم يكن هو — عندما أقدم على القطيعة — يعتقد غير ذلك ، فقد كان يعلم
جيداً قدرها فى نفسه . ولكنه لم يظن قط أن القطيعة ستطول ، فقد كان
واقفاً ، أنها ستعود إليه .. كما كانت تعمل دائماً عندما يماقها بالقطيعة أو
الخصام .

كان يشعر أن لا بد أن يستعيدنها .. بطريقة أو بأخرى ، وأن الروابط التى
بينهما متعددة متشابكة .. بحيث لا يمكن لقطيعة ما أن تقطعها كلها مرة
واحدة .

فلن قطع كل ما بينه وبينها .. فلا بد أن تبقى على الأقل صلتها بابنته .. إنها
لم تكف قط عن رباتها .. ولا بد أن يصادفها فى إحدى تلك الزيارات .. ولا
بد لرقبتها وطبيتها أن تزيل الجفوة التى بينهما .

ولم يدفعه إلى هذا الأمل مجرد تفاؤل .. وإنما التجارب الماضية .. التى
كانت تجعل خصامهما .. دائماً فى حدود خصام أفراد الأسرة التى لا يمكن
لواحد فيها أن يستغنى عن الآخر .

ولقد حاول أن يكف عن تتبع أخبارها .. وأن يتناساها فلم يستطع ..
وحاول أن يستعين بالصبر والزم - ولكنهما لم يزيلا أعصابه إلا توتراً ، وكان

كل يوم يمر به يملأ نفسه بهريد من حقد ومرارة .. وأمسى وبأس .
ولقد بدا كأنما يحاول أن يمس في تعذيب نفسه بمشائره على تتبع خطواتها
ومراقبتها .
كان يعرف ، في كل ثانية ، ماذا تفعل ، وإلى أين تذهب ، وكان يحرص
من بعيد حركاتها وسكناتها .
ولم يكن يحذه شيء .. فسر هذا الطارق الجديد الذي قلب حياتها رأساً
على عقب .
كان يمسى نفسه دائماً .. بأنه عارض رائل .. أو صحابة صيف .. تمر كما
مرت غيرها من صحابات الصيف .
ولكنه كان يحس أن الأيام تنزع به في حياتها .. أعمق وأعمق .
وبعبر وعى — وكما تعود أن يفعل دائماً — مذكراته يده إلى التلويح على
« الكومودينو » الصغير بجواره .. ثم أدار القرص .
وسمع صوت « أم حبيب » تجيبه متسائلة في صوتها الأجلج .
— آلو .
وكما يفعل العاشقون من الفتية ، عبر صوته وتساءل .
— أين المدام ؟
— نائمة .
ولم تمر العجوز الغبية صوته .. فبدأ يتساءل :
— متى تستيقظ ؟
— لا أعرف .. من حضرتك !
ووصح رياض السامحة ، وهو يحس بالدم يعلو في عروقه .
لقد كانت هدى لا تبقى في فراشها بحال من الأحوال بعد العاشرة .. لكن
يوم الضحى قد طال بها هذه الأيام .
لسبب بسيط . هو أنها بين أحضانها .

لقد أبصره منذ بضعة أيام وهو يتسلل من بيتها في الظهيرة ، ولقد حاول أن
يفتح التلويح قبل هذا .. فسم يرد عليه أحد .. كانت قد مرعت « بريرة »
التلويح من مكانها . كما تفعل دائماً عندما تحاول مع الناس عن إزعاجها .
وأحس « رياض » بمرارة المجر .. وبأس الفشل .
لقد كان أحرق .. عندما أعساها بالقطعة ، لقد ترك الميدان لصاحبه .
يرجع كما يشاء .
مفعل كبير .
وهو لا يعرف كيف يتراجع ولا كيف يعاود طرق بابها مرة أخرى .
أترأه يحشى على كرامته ؟
لا يظن .. فلو أن المسألة .. مجرد كرامة . لهانت .
ولكنه يخشى أن تصده
وإن لا ؟ .. ألم تستقر مع صاحبها الجديد .. استقراراً يذكرك أنه أبدي !
والحمقاء .. أنته
لماذا لا تحاول أن تفعل شيئاً ؟
لماذا لا تسأل .. عما حدث ؟!
أترأها تحاول ألا تحرجه ؟ ولكن أى حرج في ذلك ؟ إنها صديقتها ..
فماذا لا تسأل عليها .. وتدعوها ؟
ألم تراها كانت تترك حقيقة ما يبهما .. وأن القضيعة التي حدثت قد وافقت
مرامها ؟
الصعوت الخبيثة .. لشدة ما تذكره بأمرها .
ترقب كل شيء في صمت .. وتبدو كأنها لا تفهم . وهي تفهم كل
شيء ؟
وأقبلت هاء .. بحبيها الراسخين وألفها المحقوف كأنف أبيها . وكانت
تحمل مجموعة من زهور الجلادبول في يدها .. لتضعها في الزهرة وحيث

أهاها باسمه :

— صباح الخير .

— صباح الخير .

— أكرم بحس بعد وقت استيقاظك .. لقد بت كمسولا .

— أشعر ببعض الصناع .

— لأنك تخالف أمر الطبيب . لقد معك من الشراب .

— سخافة .. لقد تعودت أن أشرب طوال حياتي .

واقربت هاء منه وانحنى عليه تقبله وقالت ضاحكة :

— مكبرت يا أستاذ ، والسن .. لا بد أن

وقاطعها أبوها وهو يصمها إليه :

— الشباب . شباب القلب .

— هذه حجة الشيوع دائما .

وأخذت هاء ترتب الزهور في الزهرة ، وحاول رياض أن يسترجعها إلى

التحدث عن هدى فسألها :

— ما أعبارك ؟

— الأتراك يحسبون جنودهم على الحدود .

— أعرف هذا .. أريد أعبارك الخاصة .

— سأطوع في المقاومة الشعبية .

ونظر إليها رياض في دهشة قائلا :

— غير معقول .

— ولله ؟

— لأنك تكرهين هذه المظاهرات السخيفة .

— عندما تهدد حدودنا .. لا أظن المقاومة الشعبية . تصبح من المظاهر

السخيفة

وصمت الرجل برهة .

ونظرت هاء إليه متسائلة :

— أفضاقتك هذا ؟

— إذا كان الأمر يبحث عن تسليط غايل أسلم به .

وكانت هاء قد انتهت من ترتيب الزهرة .. ومدت يدها لجذب هـ حول

الستارة هـ التي تجذب رجاء الباعدة للطلقة على الحديقة ، وكانت السحب تتواتر

على وجه الشمس . فنفذ شعاع من بين سحابتين واعترق الزجاج وانعش

السحادة الثمينة المبروشة على الأرض .

وعاد الأب يسأل قلقاً .

— أهذه كل أعبارك ؟

وردت هاء في غير اكتراث :

— عيد ميلادي بعد غد .

— حقاً ؟ ولماذا لم تخبريني من قبل ؟

— كان يجب أن تذكره دون أن أعيرك به .. ومع ذلك فقد كنت أنوي أن

أذكرك به الآن .

— ومن ستدعي ؟

— لا أريد أن أدعو أحداً .

— له ؟

— ظروف البلد لا تسمح بالتعارف .

— ولكن ظروفنا تسمح ، هذه عادة يجب ألا تنطبقها .. ادعي جميع

صديقاتك الثلاث تعودت أن تدعيني في الأعياد الماضية .

— لا أظن استطعت أن أعتز عليهن .. لقد تزوجن وشغلن بأرواجهن ..

وأطمان .

— كنهن ؟

— بعضهن .

— والبعض الآخر ؟

— مشغولات بما هو أهم من عيد ميلادى .

ولم يعرف رهاص كيف يقودها إلى الحديث عن هدى . إن احتفال عيد ميلادها يمكن أن يكون فرصة ذهبية لإعادة العلاقة بينهما ، ولكنه يجب أن يكون حريصاً على حديثه .. حتى يعرف مدى فهم هاء هـ لحقيقة الموقف بينهما ، ومدى استعدادها لدعوتها .

بل .. أكثر من هذا مدى قدرها على تحقيق قدامها .

وعاد رهاص يسأل فى غير اكترات :

— من دعوتنا فى العام الماضى ؟

وكررت هواء بضع أسماء لصديقاتها .. ولم تذكر هدى .

ولم يعرف الرجل ماذا تقصد الخبيثة بتجاهلها الاسم ، ولم يجد بداً من أن يأخذ أقصر الطريق إلى الهدف فقال مستدركاً :

— وهدى ١٩

— أجل .. وهدى .

— ألا تنوب دعوتها ؟

ونظرت هواء هـ إلى أبيها تحاول أن تسير غوره .. أنراه حقاً يريد دعوة

هدى ١٩

إنها ليست بهاء .. ولكنها لا تحب أن تبدو للناس أنها تعرف كل ما تعرف .. إنها تحس أن ذهنها يجرد الناس أسياً من كل ما يسترون أنفسهم به . ولكنها تذكره أن يعلموا هذا .. حتى لا تقيد تصرفاتهم .

لقد كانت تعلم أن ثمة شيئاً بين أبيها وبين هدى هـ .. أكثر من كونها صديقة لابتنته .. وهى لا تستطيع أن تحدد هذا الشيء .. ولا تحب أن تترك للذهاب أن يتبادى فى الاستنتاج . ولكنها مع ذلك وثقة — من طريقة تصرف أبيها حيالها — أنه شديد التعلق بها .. وتعلم من مدى حرص هدى هـ على إرضائه .. أن له

عندما منزلة خاصة .

وكانت هاء هـ تحرص دائماً على ألا تجعل هذا التعلق من جانبها والإرضاء من جانبها .. يفرض وجوده بأى شكل من الأشكال فى البيت حيث تعتبر نفسها السيدة الأولى بعد أن ماتت أمها .

ولم تجد صعوبة قط فى الوصول إلى هذا .. بل هى تعلم أن الأمر لم يتجسج منها أى جهد .. لأن هدى هـ نفسها كانت أكثر وأفضل من أن تدع هذا الشعور الذى يخلصها به رهاص هـ .. يعربها بأن تحشر نفسها داخل بيته ، بل استمرت حريصة كل الحرص على أن يكون موضعها الحقيقى فى البيت هو صديقة هاء هـ .. ولا شىء أكثر من هذا .

ومن أجل هذا كانت مشاعر الحب التى تكنها لها هاء هـ .. أغلب على أية مشاعر أخرى يمكن أن يثيرها فى نفسها الوضع الآخر الذى يمكن أن يكون بين هدى هـ وأبيها .. والذى لا تستطيع أن تحدد معالته بالضبط .

ومن أجل هذا .. لم تحاول أن تتدخل فى تلك الخصومات التى تنشأ حفية بين هدى وأبيها .. بل لم تحاول أبداً أن تشعر واحداً منهما بأنها تعهم إلا ما يرد لها أن تعهم .. ولم يكن من بين هذا .. الخصومات .. لأنها تتجسج دائماً من الوضع الآخر الذى لا يحترف واحد منهم بوجوده صراحة .

وفى جميع الخصومات التى قامت بينها وبين أبيها .. لم تكن هدى هـ حظة عن رهاصها .. إذ لم يكن قطع الزيارة مظهراً من مظاهر الخصومة .. لأنها كانت صديقتها .. وكانت الزبارة لها هى .. وكانت كل مظاهر الخصومة التى تحس بها .. لا تتعدى الطريقة غير المكترفة التى يقبل عليها بها أبوها .. أو تجسج هدى هـ السؤال عنه أو ذكره فى حديثها .

أما هذه المرة فتمت شىء جديد قد حدث .

وهى تستطيع بدكايتها أن تربطه .. بهذه الشائعة .. التى سمعت تدور حول هدى هـ .. والتى ربطت اسمها بشخص ما .. ذى أهمية سياسية

ومع ذلك لم تحبر هي أن هناك خصومة .. فقد كانت تنفد دائماً بعيداً عن هذه الخصومات . وتضع صداقتها لدى بمنزل عن غيرها من المؤثرات .

وكانت تتوقع أن يسأل أبوها عنها ، وعن سبب تقيها ، ولكنه لم يفعل . فاستنتجت أن هناك قطعة .. ولما طال تركه للسؤال عنها .. أحسّت أنه لا يريد أن ينهي القطعة .

ومع ذلك فهو يسأها عما إذا كانت تنوي أن تدعوها ولا تعرف بالضبط ماذا يقصد بسؤاله !

أهو يريد فعلاً أن يدعوها .. أم يريد أن يحضر من دعوتها ؟!

وتفكر أن تجيبه على جرس الباب الخارجى .

وأطلت « هاء » من وراء رجاج النافذة فأبصرت بمرربة « فؤاد » المرسيد من تنفد بباب الخديفة .. ثم أبصرته وقد اجتاز عمر الخديفة .. ووقف أمام الباب الداخلى بضبط على الجرس .

وهرولت « هاء » إلى القاعة وهى تحف بأبيها :

— فؤاد بك .

— دعيه يصعد .

ونظرت إليه « هاء » فى استكثار قاتلة :

— كيف يصعد .. وحسرتك لم ترتب بعد ! أأدعه يصعد ليرى هذه

القوضى ؟ ماذا يقول الرجل عا ؟ إنه نائب محرم .

وضحك « رياض » ساخراً :

— ولا محرم .. ولا حاجة .. دعيه يصعد .. لا أظن بينه أكثر ترشياً من

هنا .. إنه شيوخى .

— أتصدق هذا ؟ .. إن قصره فى المهاجرين . أحمل من بيتنا مائة مرة .

— أعرف هذا .. ولكن ذلك لا يمنع من وجود القوضى فى داخله .

ورفع « رياض » المعطاء عن جسده ، ثم هبط بساقيه إلى الأرض قائلاً .

— على أية حال .. لا داعى لإزعاجك .. سأترك له .. أدخله فى القاعة ، وقدموا له القهوة .

واندفعت « هاء » تهب من السلم الرخامى ، وهى تحف بالقدم قاتلة :

— إبراهيم .. أدخل فؤاد بك إلى البهو ، وقدم له القهوة حتى ينزل سيدك .

ووجد « رياض » أن المحاولة التى استطاع فيها أن يذكر اسم « هدى » .. قد أنشئت .. وتلكه نوع من الضيق .. لقد كان فى مجرد الحديث عنها والأمل فى رؤيتها .. نوع من العزاء .

ليس هذا أقصر طريق إلى الشهرة .

بل هذا الخبيث طريق إلى الفقر .

يجب أن يمسك العصا من الوسط .

إن المبادئ الشيوعية .. على العين والرأس .. لقد سمعته الشهرة في لمح البصر .. وهو يستطيع أن يمارى بها .. متحدثاً بين الناس موقف البطول .. بين المشجعين الذين يقرعون ويكبكون عن الشيوعية .. دون أن يعرفوا شيئاً عن البلد الذي يعيشون فيه .. والناس الذين يحيطون بهم . دون أن يدركوا المشككة الحقيقية لعقده .. أو يحاولوا استبعاد العلاج الحقيقي من مبعته . ومن طبيعته ، ومن طريقته في الحياة .. وفي التعبير

وهو ما زال يذكر بصعته الشبان الذين التقى بهم أول ما بدأ يمارس الشيوعية . سألهم عما حدا بهم إلى اعتناق الشيوعية فقال أحدهم — لم يعرف ماذا يفعل . كنا نعيش فراغاً طويلاً عريضاً .. وكنا نجتمع في بيت أحداً .. لشرب الخمر .. ونلتفت إلى إحدى فتيات الليل لتشاركنا لينا المخمور .. واحتقرنا أنفسنا وكرها مجتمعنا . وحقدنا على كل من حولنا . والتفتطنا الشيوعية . لتجعل منّا ساسة وتملأنا بالأوهام والأحلام . وتنتشر أمامنا هور الأمانى .. وتؤكد لنا أبا رعماء المستقبل . كانت رعاية المستقبل .. هي أهم ما يجمع ذلك الخليط المصحب من الناس .. وكانت الشيوعية في مظهرهم .. طريق الحق .. والمجد .

ووسط هذا الخليط الحاد كان يحد بعض المؤمنين فعلاً .. بأن طريق الشيوعية هو طريق الخلاص .. وكانت عقيدتهم عقيدة تقليد وغماء وتطبيق أعشى . لا إيمان مفكر . مبتكر .. مدع . ومع ذلك فقد كان يحس أن مجرد إيمانهم بعقيدة ما . نوع من السداجة والغباء إذ كان يعتبر المسألة مجرد مظاهرة لا يمكن أن تنتهي إلى ما يتصورون . وأنها لو انتهت إلى ما يتصورون . لكانت مهزلة كبرى

اعتبروه زوجاً !

وقف « فؤاد » في البهو يتأمل الحديقة من وراء الباب الزجاجي المرصع القاتم بحرص الحجر والمطل على الشرفة الفسيحة الملاصقة للحديقة .. ووصل إلى أذنيه خبر عزم المياد المتدفقة من الجدول الذي يتخلل البيوت القائمة في طريق برمانية .

ونمت دحان السجارة . ثم عاد إلى مقعده بجوار جهاز التدفئة ، واقترب الخادم منه بحمل صينية القهوة فوضعها على المصيدة ، ثم تمتص بصح كلمات استمتع منها « فؤاد » أن سيده سيأتي حالا .

وأخذ « فؤاد » يتأمل الألواح المعلقة على الحائط .. وقطع « السمر » والزهرات الكرستال المتناثرة على المناضد .

وسأله نفسه :

أمفروض عليه أن يقص على كل هذا البذخ والترف .. إن أية قطعة من هذه القطع التي ترص بلا فائدة على المساند ، يمكن أن تطعم أسرة بأكملها .. من هذه الأسر التي فيها في طريقه ذات مرة من حمص إلى اللاذقية ، والتي التقط أحد أطفالها قشرة البرتقال ليشتمها في نهم .

ولكنه يملك في داره مثل هذه القطع المروصاة بلا فائدة .. فلماذا لم يكره في أن يحولها إلى أطعمة يطعم بها هؤلاء المحتاجين .

والنتيجة !

أن يقعد على غارعة الطريق .. كيفية الصمر الحادق الذين يلتصقون حوله . لا .

على أية حال . ومهما جرى .. فسوف يكون من الزعماء .
والزعماء بلا جدال .. سيمتعون بترويع من البدع والترف لا يظنه يقل عما
يستمتع به الآن .
فهو إذن .. كاسب .. كاسب .
وهو قادر على أن يعيش في كل بيئة .. وفي كل نظام .. وفي كل زمان ..
وكل مكان .
وهو يظن أنه قادر على أن يمدح كل من حوله .
عليها إنسان واحد .. يخشى دائماً أن يتصالح أمامه .. وهو من أجل ذلك
يكبره ويحقده عليه .
ولقد كان أكثر ما يضايقه .. أنه لا يجد له مغزياً .. ولا زلة .
ولكنه الآن .. قد بات في نظره فرصة سهلة . إن اصطفاه لم يعد
معتدراً .
لم يعد يستطيع أن يربيع وحده في القصة .. لينظر إليه الناس نظرهم إلى
القديسين الأبرار .
لم يعد وحده بلا عطفة .. يرحم الناس بحبجارته دون أن يجسر واحد منهم
على رجمه .
أجل .. لقد « طب » ساسي .
نرى ما هي أخباره .. لعل « رياض » قد بات يعرفها أولاً بأول بعد أن
كشف له عنه .
لقد مضت مدة دون أن يحضر إلى النادي .
ونظر « فؤاد » إلى الساعة . وارتشفت آخر رشمة من فنجان القهوة ،
وأحس بالقلق .. لقد طال انتظاره .
لعل المفروض أن يصعد إلى أعلى . لماذا تركه هذا الخادم الأحقر إذن
يتنظر !

وبعض من مقعده يتمشى في قلق ، ويظهر من الزجاج إلى الحديقة .
ويستمع إلى خرير المياه .
وسمع صوت الباب يفتح والتفت ليجد « رياض » يقبل معتدراً :
— آسف يا فؤاد .. لقد كنت في فراشي عندما أتيت .
— ولماذا لم تدعني أصعد إليك ؟
— لأن « هاء » كرهت أن ترى عوضى الحجر ، ولأنني شخصياً أردت أن
أنتهزها فرصة وأرتدي ملابس وأخرج معك .
— إذن هيا بنا .
— اجلس هنيهة .. ما أخبارك ؟
— لا جديد .. التفت كلها تفتنك . ما هذه العبة الطويلة ؟
— ألفت بي وعكة
— وعكة ؟! لقد سألت عليك أمس صباحاً ، وأول أمس بعد الظهر ، فقبل
لي إنك عرجت .
— جاز .. لقد كانت هناك بعض أعمال لا بد من قضائها .
— أي نوع من الأعمال ؟
— أعمال خاصة بالأرض ، والبلد .
— ليلا !
وقهقه « فؤاد » ، وابسم « رياض » في شيء من الضيق .
وعاد « فؤاد » يقول :
— على أية حال لقد توقعتنا جميعاً .. أن تغيب عنا فترة ، لأن المسألة تحتاج
إلى بعض التفرغ .
— أية مسألة ؟
— مسألة هدى .
ونظر « رياض » حوله ثم قال لفؤاد :

— اضبطي صوتك .. ما لها هدى ؟

— أكم ينادي لك صحة ما قلته لك ؟

— جاز .

— وهل تنوي أن تتركه هكذا .. يستعلك ؟؟ إنه إنسان سافل .. إنه يذهب

إليها .

— اسمع يا فؤاد .. لا أريد أن أسمع عنها شيئاً .. لقد قطعت كل علاقتي

بها .. لم يعد لي بها شأن منذ تلك الليلة .

وبدت الدهشة على وجهه : فؤاد : ورد قائلا :

— مغفل كبير ! ألعنكدا سمعت بالهريمة .. وهربت من الميدان !

— سيجعلها الزمن تندم على ما فعلت .

— لن يجعلها الزمن تندم على شيء . كنت أظنك أقوى من هذا .. لم

يحضر عني بالانقضاء .. أن يهلك هذا العصى على أترك .. أنت الرجل المبحك

المجرب .

— إني لم أعذب على أمرى ، لقد مللتها .. إني أستطيع أن أشترى مثلها

عشرات .

— أنت كاذب .. إنك لم تمنحها أبداً .. إنك تعيش معذباً بعد أن طردتك شر

طرده من بيتها .

وأحسب : رياض : بالدم يعني في عروقه ، وحاول جهده أن يكبت غضبه ،

وقال لفؤاد :

— أنت تعرف أن ليس هناك من يجسر على طردى .. كنت أستطيع أن

أحتفظ بها لو أردت .

— ولماذا لم ترد ؟ لا تقل لي إنك مللتها .. لأنني أعلم أنك كاذب .

ووقف : رياض : وهذا من أخصابه التي جعلت تردد توتراً وقال لفؤاد :

— اسمع .. إني أفضل أن تناقش الموضوع في الخارج .

— هيا بنا إذن نذهب إلى النادي .

وهم : رياض : بأن يطلب من السائق إخراج عربته .. فقال فؤاد :

— لا داعي لإخراجها .. إن عرشي في الخارج .. وستناول العشاء في

النادي .. ثم أعيدك إلى هنا .

ودخل : رياض : إلى القاعة وصاح بهناء :

— سأتناول العشاء في النادي .. وإذا سأل عن أحد فيطلبني هناك .

وصاحت به هناء :

— خذ المعطف معك .

— الجو لا يحتاج إلى معطف .

وحطت : هناء : بمسكة بالمعطف ، وهي تلبسه له :

— الجو بارد ، وأنت مرهق هذه الأيام .. لا تكن عيذاً .. كالأطفال

الصغار .

ووقفت : هناء : ترقبه ، وهو يسير إلى الخارج . وأحس كأن العاصفة

ظاهرة قد زادت .. وكأن شيئاً يثقل كاهله .

ولم تشك أن العاصف هو : هدى .. أو يصير أصح .. قطعة : هدى .

إنها تعرف جيداً .. ما تستطيع أن تفعله : هدى : به .. ولقد كانت دائماً

تخس .. بأنها باتت من ضرورات حياته .

ولقد حاولت أن تطلبه عدة مرات . ولكن التليفون كان يدق ولا يجيب

أحد .. وفي المرات التي ردت عليها : أم حبيب : بأنها أنها مائة .. حتى لقد

خيل إليها أن : هدى : تعدت أن تنكر وجودها .

ولم تعرف إلى أي مدى وصلت الخصومة بينهما .. ولا هي تدري ما إذا كان

يريد منها أن تدعوها أم لا .. لقد قطع جميع : فؤاد : الحديث بينهما

وهي تعرف مدى عناده .. تعرف جيداً .. أنه لم يحاول قط أن أي حصام

بينهما .. أن يطلب منها العون .

وكانت العرب تخرق طريق برمانه متجهة إلى « نادى الشرق » وقد جلس
 « رياض » بجوار « فؤاد » وساد الصمت بينهما حتى قطعه فؤاد بقوله :
 — اسمع يا رياض .. إذا كنت تكره أن أ تدخل فى موضوع « هدى » ففن
 أتيس فيه بكلمة . إلى أكره أن أحشر نفسى فيما ليس لى فيه .
 ولم يكن « رياض » يكره أبداً أن يحدله أحد عن « هدى » ، مهما كان نوع
 الحديث .. بل لقد أحس أنه يود أن يترك الحديث عنها مع أى إنسان .. فأجاب
 قائلاً :

— قل ما تشاء .

— لماذا تركت هدى ؟

— لأنى تأكدت من علاقتها بهذا الحيوان .

— أما ريت نجها ؟

— طبعاً

— إذن فأكبر غباء تفعله .. أن تترك له المرحى . يرح فيه كما يشاء .

— ماذا كنت تريدنى أفعل .. أصرف ، وهو يستمتع كما تقول .

— كلا .. كنت أريدك أن تصمد أمامه .

— أدخل معها فى معركة كل يوم من أجله !!

— أبداً .. إنه لا يستطيع الصمود أمامك أبداً .. إنه يمشى على نفسه .. هل

يجرؤ أن يزورها علانية كما تفعل أنت ؟

— لا .. إنه يمشى إليها تسلياً للتأثر .

— هل يجرؤ على أن يخرج معها .

— لا

— هل يستطيع أن يتزوجها ؟

— لا أعرف

— ولكنى أعرف أنه لا يستطيع أن يربط مصيرها بمصيره . ويوم يمس ..

يكون قد قضى على نفسه . ويوم يحس أنه مهدد بالمصيبة .. سيقطع كل ما
 يربطه .

وكانت العرب قد وصلت إلى باب النادى .. وعبط كلاهما إلى الداخل ..
 ولحق « رياض » بعض الأصدقاء يلتصون حول إحدى الموائد فى القاعة
 الداخلية .. فقال فؤاد :

— إلى أفضل أن نجلس وحدنا .

وانعما يسيراً حيث اتخذتا مكانيهما فى ركن منزل .

وأقبل الساقى بحبس « رياض » فى وحشة .. قائلاً :

— أهلاً وسهلاً رياض بك .. مضت بضعة أيام لم تترك .. بماداً تأمر ؟

ونظر إلى فؤاد فقال فؤاد :

— هات لنا زيباً مع تشكيلة مرآت . ثم جهز لنا .. دجاجتين مشويتين .

— تكرم سيدى .

واستدار الساقى ، وعاود الصاحبان حديثهما الذى بدأه فى العربى .

تسأل رياض :

— تقول إنه يوم يحس بالمصيبة ، سيقطع كل ما يربطه ؟

— أجل .

— ولكنك تعمل كل ما تستطيع لكي تستره .

— وأنت تريد أن تساعدنا بالطبع .

— كيف ؟

— بتركك لها .. حرة فى أوقاتها وفى تصرفاتها .

— ماذا تعنى ؟

— أعنى .. أن إحتلاك الميدان له .. يجعلها أقدر على التصرف فى أوقاتها .

حسب مشيئة .. إنها تستطيع أن تقابله وقتها يشاء .. يربط وجودك فى حياتها بعصية
 عليها الخناق .

ولم يبد على « رياض » الانصاع التام وتغم قائلها :

— جازر .

— ليس جائزاً .. بل هو أكيد .. وأكثر من هذا أنت تستطيع مع وجودك في حياتها أن تتمكن منه .

— ماذا تقصد ؟

— أقصد أن تدبر لنفسهته بطريقة مؤكدة .

— كيف ؟! هل تظنها ستطعنني على كل علاقته به ؟

— إلى حد ما .

— معنى هذا أني سأسلم بوجوده معها ؟

— ولِمَ لا ؟! أليس هو الأمر الواقع فعلاً ؟

ونظر إليه رياض في غيظ :

— تريدني أن أسلم بعشيق لها ؟

— اعتبره زوجها .

— ولكنه ليس زوجاً .

— قلت لست اعتبره كذلك .. هل تستطيع أنت أن تمنعها من زواجه ؟

وتردد رياض برهة ثم أجاب :

— لا .

— ماذا كنت داخل إذاً لو أنه تزوجها ؟ هل ستقطع علاقته بها ؟

— سيقطعها هو .

— إذن احمد الله .. هل أن هذا لم يحصل .

وتصور رياض أن علاقة « هدى » قد باتت محرمة عليه ، وأحس بشيء

يشق في باطنه .

إذ حيط المرء الوحيد الذي يصب عوده هو إحسانه بأنه يستطيع أن

يراه ، وأن يعاود علاقته بها ، بطريقة ما .. أما أن يحرم منها نهائياً ، فذلك هي

النيكارة الكبرى .

وعاد فراد يقول :

— عاود إذن علاقته بها ، وأحرص أن هذا الحبش قد تزوجها ، ورائبه جيداً ، حتى تحصل على دليل لعلاقته .

— وبعد ذلك ؟

— وبعد ذلك اترك الأمر لي . سأحصلك منه ، وأقضي عليه نهائياً .

وأحس رياض بشعور من الارتياح يملأ نفسه لأول مرة منذ ترك هدى .

لم يكن يشري .. أي دليل هذا الذي يمكن أن يفضح به سامي

بل ولم تكن هذه التفصيحة مهمة في هذه اللحظة .

إن كل ما يريده هو أن يعود إلى « هدى » أو يعيدها إليه .

ولقد وجد مبرراً .. يحفظ عليه ماء وجهه .

ليفرص أنها تزوجه .

أجل . ليخبره زوجها .

ليكن ما يكون .. ما دام سيعود ليراه كما كان يرأها .

قاتل الله حماقة التي دعته إلى أن يقطع علاقته بها .

إنه يكاد يخن شوقاً إليها .

ويحس لو عاد إليها كالأطفال .

ولكن ترى هل تقبل هي عودته ؟

إنها كانت دائماً رقيقة لطيفة ، وهي لا جدال تحس بحاجة إليها .

ولكن هب ذلك الطارق الجديد قد تحكم في حياتها .. ومعها مه !

ومرة ثانية أحس بذلك الشيء الذي يشق في معدته .

لا .. لا . غير معقول .

إنها هي أيضا تحتاج إليه ..

سيعود الآن إلى بيته ليطلب من « هاء » أن تدعوها إلى عيد ميلادها

ليلة أنس ..

وصعت « هدى » الساعة عقب انتهائها من حديث طويل مع « سامي » اضطرت خلاله أن تحتلر إليه عن لقاء الأيلة .
وقد بدا الصيق في بركاته خلال الحديث .. ولم تكن هي أقل صيقاً .. إذ لم يكن يستعها في حياتها .. كساعات لقاته .
كانت تحس في جوارها بالسكية والاستقرار . وكانت تكره كل ما يعرض عنها .. بعده أو مرته . وكانت تملص من كل ما يحول بينها وبينه .. من موعيد . ودعوات .. وسهرات .. وولائم .. وكانت لا تكاد تنهي عملها في المسرح حتى تعدو لترتقى بين أخصائه ، وعد ما كانت تكرهها الظروف على قبول وليمة أو رد وليمة .. كانت تفعلها مكرهة .. وكانت تجلس طوال الوقت شاردة لا تكاد تحس بمن حولها حتى كف الأصحاب عن دعوتها وانتهت بعسها إلى نوع من العزلة أبعدتها عن محيطها الطبيعي .
ولم تحس هي بأنها فقدت شيئاً بحياتها . حتى وجدت نفسها تمد يدها إليه ، وأحسست بأنها تكاد تنقل عليه بالترامات لا قبل به بها . التزامات قد ترسب مع الأهم شوائب تكدر صغر حبهما ، وهي التي باتت لا تحرص في حياتها على شيء فدر حرصها على أن يظل حبهما نقياً متدفقاً .
ووجدت نفسها مكرهة على أن تضحي ببعض ساعات لقاته وأن تحضل بعده بين ليلة وأخرى .. لكي تلقى هؤلاء الذين يملكون أسباب رزقها ، وفرض صبورها وعملها .

وبالأمس لقيت في المسرح « عبد الرحيم جودة » صاحب شركة « الأعلام المتحدة » و « شلته » ، وكان قد عاد مرة أخرى من القاهرة وأقبل عليها

وهو يعرف أنها لن ترد دعوة « هناء » .
وعندما بلغها في بيته .. سهرت كيف يعيد كل شيء إلى ما كان عليه .
وأقبل الساق ويده كتوس الزبيب وصحاف الميثلات .
ورشف « رياض » رشلة من كوب الخمر الشببية بالليس ، وأطلق تبيدة أحس بعدها بشيء من الراحة .

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

قبل أن تبدأ دورها بحبيها في شوق وبمازها بقوله المعتاد .

« إمتنى الزمان بسميح يا جميل » ١٩

وكانت ترد عليه دائما وهي تضعك قائلة :

« كما يقولون عندكم في مصر » هي المشمش .

ولكنها لم ترد عليه بقوله المعتاد بل أجابت :

« هند ما تمضي المقدر .

« المقدر جواهر تحت أمرك .

« مصى عليك عام وأنا أسمع منك هذا .

« لأنك لا تربدين أن تسحيننا فرصة لإمضائه .. إننا لا مكاد نراك حتى

تختصن كأنك » نص ملح وحاب » .

وقبل أن ترد عليه تدخل صاحبه إبراهيم ركي « المحرج بقوله :

« لأنها تعشى أن تدعونا للعشاء .

وتسأل ثالث من القلة وهو « محمد عبد الحمى » .. وهو غليظ من شاعر

وملحن ومهرج وعلير دعاية :

« أهى بخيلة إلى هذا الحد ؟

وأحست هدى بصدرها يصيق بتعليقاتهم السيئة وتمت لو استطاعت أن

تفر منهم ومن المسرح ومن المتفرج حين ترمي في أحضان « سامى » . ولكن

كان عليها أن تحتل ، وأن ترد مازحة :

« أنتم كالتقط نأكل وننسى . ألم يشر فيكم عشاى في المرة السابقة ؟

ورد عبد الرحيم بقوله :

« نحن لا نريد عشاء » حائل « .. نريد ليلة أنسى .

وقال إبراهيم المخرج :

« العشاء يستطيع أن تناوله في أى مكان .. ولكننا نريد سهرة لطيفة

مصى ورتقى

وكانت الراقصة « علية » قد اختلت عشبة المسرح ، فأجابت هدى وهي

تشير إليها :

« رقص .. أكثر من هذا ؟

ورد عبد الرحيم قائلا :

« نريد شيئا » على الضيق « .. لا على المشاع .

ومرة أخرى أحست هدى بصدرها يضيق .

لقد كانت تعرف ما يريدون ، وكانت تعرف أن الكثير من عقود السينما ..

تبرم في ليالي الأس الصائبة .. وأنها — فيما يبدو — لن تكون موضع استئثار

من بين أصحاب هذه العقود .

وكانت تدرك أن « سامى » لا يقر هذا النوع من السهرات .. بل هي

بمسها .. بعد أن وجدت ملاذها بين أحضان الهادئة .. بالت تضيق بهمة

السهرات وبأصحابها .

ولكنها مع ذلك تجد نفسها مرغمة على قبولها ، والتسليم بها .. لأنها

سييلها الوحيد إليهم .. ولأنها الميدان المصمون للتعايش معهم

وهي تعرف كيف تحوذه .. دون أن تفعل حقيقة .. ما يمكن أن تعتبره

خيانة لسامى .

وأجابت عبد الرحيم بقولها مبسطة :

« إذن لنكن السهرة عدى غدا .. ما رأيكم ؟

وأجابت القلة في صوت واحد :

« موافقون .

وقبل أن يتصرفوا قال عبد الرحيم :

« لا تنسى حنة المسجوسة .

وقال إبراهيم :

« ولا تنسى الكبة النية .. والفراخ المشوية .

وقال عبد الفتى ضاحكاً وهو يشير إلى المسرح :

— ولا تنسى الست « علية » .. نية أو مشوية .. أحبها على أى حال .
واستيقظت هدى مبكرة فى الصباح ، وبادت أم حبيب والطباخ .. وبدأت
تملى أوامرها الخاصة بدعوة المساء .
وتلفت أم حبيب الأوامر .. وانصرفت وهى تهز رأسها فى حيرة من أمر
سيدتها .

أى طريق تنوى أن تتخله فى حياتها ؟

أمرى حقيقة ستخلص لهذا المخلوق الذى لا يسمح سوى بضع ساعات من
الأحضان والأوهام ؟

يدو لها هذا .. وإلا لما سلمت — من قبل — بقطعة رصاص بك . الرجل
الذى أشب مغالبه فى حياتها بطريقة سدت أمامها كل منفذ للتخلص منه .
وقد قاطعت السهرات والولائم .. وانكسحت بين أيدي ساحرها الجديد .
ولكنها تبدو اليوم ، وكأنها تهيم بالانطلاق .. هذه الزباجات التى أخذت
ترصها فى البار ، والحشيات التى أعدتها فى غرفة الجلوس الداخلية .
ومتضدنة الثلب التى أمرت بإغلاقها منها عليها .. كل هذا لا يمكن أن يتم إلا
عن سهرة صناعية .

ثم .. الاحترار الطويل لسامى .

أمرها بدأية حياة ؟

ولكن لماذا لا تعود إلى رصاص بك ؟

وعادت المحوز تهز رأسها فى حيرة وهى كتمت قائلة :

— حكم

وهى الظهيرة . استقبلت المحوز أول هدفة .. صلتوقاً من الملتحجو
المصرى . وبعد نصف ساعة وحصل صندوق من الويسكى .. ونصف ساعة
أخرى .. وصلت علية بطولخ وصندوق من الخضاح .. ثم سلة رهور .. ثم

صديقة عمل .

ولم تكن « أم حبيب » وحدها هى التى هزت رأسها فى دهشة .. بل لقد
كانت « هدى » أسبق منها إلى الدهشة والحيرة . ووجدت نفسها تهتف
قائلة :

— السخفاء .. ما الذى يعونه من كل هذه الهدايا .. وماذا يتوقعون
أعده .. ثمناً لها !!

ووقفت « أم حبيب » تتساءل :

— أين أضاع كل هذا ؟

— ضعى فى الثلاثة قنار ما تحتمل وضعى الباقى فى الحجر الصغيرة .

ووقفت أمام المتصدرة ترتب الرهور وهى تسأل نفسها :

— ماذا يمكن أن أقول لسامى عنها ؟! غير مغلول أن أكون اشتريت كل هذا
مرة واحدة .

وهى الليل .. أنهت دورها مبكرة . ثم عادت إلى البيت .

وألفت نظرة سريعة على المطبخ لكى تتأكد أن « أم حبيب » لم تقم بعمل
مماحى ؟ تلف لها الوليمة .

ثم اتجهت إلى حجرتها .. لتبذل ملابسها .

ولم تكذب تنهى حتى ذق الجرس .. وبدأ ضيوفها يتوغلون .. الواحد بعد
الأخر .

ووقفت تحييمهم وقد رسمت على شفتيها أوسع ابتسامة .

ونزل عبد الرحيم بجسده الضخم الممتلئ ووجهه الأسمر ورأسه الأصلع
بحرس حلال البيت كأنه صاحبه .. وسألكها :

« هل وصل قصص المانجو وعلبة الطارخ ؟ » ومد ذراعه الطويلة محاولاً أن
يحيط بها فى غير كلفة .. ولكنها تملصت منه ببساطة وبغير كلفة أبداً .
ودون أن تعرب حركتها عن صد لمحاولة غزله ، ووقف عبد الرحيم .. أمام

صورة زبينة معلقة فوق « البوابة » في حجرة السهرة وقال في استحقاق :
— لا . سأرسل لك صورة اجتماعنا من مرادات القصور ، بثلاثة جنيه .. إنها
لا تستحق غيرك .

— مشكورة .. لا داعي .. لأن تكلف نفسك

ورد عبد الرحيم في لحظة تأنيب :

— وبعدن !! لقد أصبحت حد الآن بظلة أفلامى ، وأنا مسؤل عن كل
شيء عندك .

— حتى أثبت بيني ؟!

وهب إبراهيم وهو يجلس على مقعد عال أمام البار وقد أخذ يفرغ من رجاجة
الويسكى في كأس :

— حتى ملايك .

وصاح عبد الغنى وهو يلتقط بصح حبات من القسطن :

— مسؤل عن خطيها .. أم ليسها ؟

وعلت فقهقات من ها وهاك ، ولم تجد « هدى » بداً من أن تشارك في
القهقهة

وتسامل عبد العلى وهو يخلطو ، بساقيه الرقيعتين وشره المتعوش إلى خارج
القاعة ويدوز بعينه كأنه يبحث عن شيء :

— أين علي ؟

وأجابته هدى :

— مستحضر بمجرد أن تنتهي من دورها . وسيأتى معها شكرى وعبد الله
وحسين .

وصاح عبد الغنى :

— كل هؤلاء سيحضرون ؟ نحن نريد « علي » فقط .

ورد على من فوق البار :

— يا عى .. علي .. وحدها لا تساوى شيئاً .. لا بد لها من تحت يسدها
وأجاب عبد الغنى صاحكاً :

— سأستدها أنا .

ودق الحرس وكان الطارق . بقية الضيوف .. ألفريد ورق الله المورع ،
وزوجته وابنته الكبرى .

وتلقته « هدى » بالترحاب ، وتوزع الثلاثة في المحمرات . الأب على
البار . والروحة على مائدة الثعب ، ووقفت الابنة الكبرى تدبر جهاز التسجيل

وهي تصيح :

— ما لكم تهللون هكذا كأنكم في معزى ؟!

وعلت من الجهاز موسيقى التشانسا .. وصاحت جانب ذات العيون السود
والجسد الطويل والنحيل . وقد بدت كأنها صورة مصغرة من أبيها :

— هل من رقص ؟

وصاح إبراهيم .

— قم يا عبد الغنى .

وقبل أن يهسى عبد الغنى جديته جانب من يده ، وأعدت تدور به في
حركاتها النطاطة في أنحاء الغرفة .

وأقبل « السفرجى » وسط هذه العاصفة من الموسيقى والرقص والقهقهة
يسأل « هدى » هامساً هل سيقدم الطعام .

ونظرت « هدى » إلى الساعة وكانت قد بلغت الثانية عشرة .

— سأخبرك عندما يحضر بقية الضيوف .

وعاد الرجل إلى المطبخ ليحد « أم حبيب » جالسة على مقعدها تفرك عينيها
وتسأله :

— ماذا قالت لك ؟

— قالت انتظر حتى يحضر باقي الضيوف .

ومضت « لم حبيب » تتحامل على سالفها قائلة في بأس .
 — انتظر أنت حتى تقدم الطعام في الفجر إن شاء الله .. سأذهب لأبام ..
 حتى أستعد لإيقاظ . عبرت الصباح الذي يأتي من النجمة .. إسا يعيش مع
 جباتين .. ربنا يهديهم .
 وقبل أن تأوى العجوز إلى الفراش .. دق جرس الباب ، وأقبلت « عليّة » ،
 وشكرى .. وبقيّة أفراد البيت .
 وعلت ضحكة عند وصولهم .. كان مصدرها الأول عبد الغنى الذي أقبل
 عليها مصفقاً بكلمات يديه صالحاً :
 — أشرفت الأنوار
 وحاولت « عليّة » أن تغلق معه ، ولكنه حاصرها في ركن العرفة قائلاً .
 — لا يمكن .. بالحصن .
 وقطع ذراعيه .. وضمها إليه .
 واتجهت « هدى » إلى المطبخ وهي تقول :
 — تفصلوا .. إلى المائدة .
 وجره شكرى « مقفلاً وجلس أمام المائدة وهو يقول :
 — أكاد أموت من الجوع .
 وكانت « عليّة » قد أفلتت من ذراعى عبد الغنى ، وأقبلت على المائدة
 تقول :
 — إذا أكلت .. فلن أستطيع الرقص .
 ورد عليها شكرى :
 — كل قليلاً .
 — لن أستطيع .. لأن إذا بدأت الأكل .. لا أشترك المائدة إلا وقد أعجزتني
 الحركة .
 — إذن لا داعي للأكل .

— ولكنى مثلك أكاد أموت جوعاً .
 وأقبل عليها عبد الغنى يصيح :
 — كل .. ولا يسمك .. سأرقص أنا بدلاً منك .. اجلسي ها بجوارى ..
 حتى أطعمك .
 وأقبلت « هدى » .. وقد وضعت الأبناسمة المريضة على شفتيها .
 ونظرت إلى المائدة ولم يكن المدعوون قد انتظموا عليها بعد . كان بعضهم ما
 ربل ملتغاً حول البار والبعض في الشرقة الرجاجية يتسامرون حول مائدة
 صغيرة وضعت عليها الككوس ، والبعض الآخر قد التفوا على مائدة اللب حول
 مدام القفريد .
 وصاحت « هدى » تدعو المدعوين إلى المائدة بقولها :
 — هيا يا جماعة .
 وألقت « مدام القفريد » ورقة « كوتشينة » من يدها قائلة :
 — سنسعى من الدور حالا .
 ونظرت « هدى » حولها فلم تجد عبد الرحيم .. فصاحت متسائلة :
 — أين عبد الرحيم بك ؟
 وعصرت « مدام القفريد » بعينها وهمسرت لعبد الله عزوف الكمان :
 — هذا هو بيت القصيد .
 وأجاب عبد الله هانساً :
 — أحقيقة تركت رياض عبد الدائم ؟
 — أجل .
 — مغفلة .. لماذا تركته ؟
 — هو الذي تركها .
 — له ؟
 — لم يقل أن يظل معها هي وعشيقها الجديد

— عشيقها الجديد أم ؟

— سامي كرم .

— الصحنى ؟

— الصحنى .. والسياسى .. ورئيس وزراء المستقبل .

— وماذا لها عليه ؟

— يحيا .

— وهى ؟

— يقال إنها تحبه .

— إذن لماذا تريد من عبد الرحيم ؟

— بدلاً لرياض عبد السلام .

— وهل وقع ؟

وبدا « عبد الرحيم » خارجاً من غرفة الجلبوس الداخلية ، والتقرب من « هدى » ووضع ذراعه في ذراعها ثم سار بها إلى المائدة وجلس بجوارها

عقود العشق !

اجتمعت الثلاثة حول المائدة . وبدأ « عبد الرحيم » يلغز من زجاجة الويسكى التى وضعها أمامه فى كأس « هدى » .. ومذت « هدى » يدها تدفع الزجاجة بعيداً عن كأسها قائلة :

— كلى .. هذه كأس مضاعفة .

ولكن عبد الرحيم أصر على أن يستمر فى إخراج الزجاجة قائلاً :

— هذه نصف كأس .. انتظري حتى آتتها لك .

وبدأ الخادم يدور حول المدعوين بالطعام .. وتعالى الككات والضحكات .

واحسنى عبد الرحيم كأسه الأولى .. ونظر إلى « هدى » فإذا بكأسها مازالت مليئة .. فقال مؤنناً :

— ما شاء الله . أنتمين للكأس .. لماذا لا تشربين ؟

واجتمعت « هدى » قائلة :

— أنت تعرف أنى لا أنتحمل الويسكى .

— اشربي من أجلي .

ورفع كأسه يده قائلاً :

— فى صحة بطيعة أعلاسى

ورفع إبراهيم يده بكأسه معقياً :

— فى صحة مثلتنى الأولى .

ومد عبد الرحيم ذراعه وصم « هدى » إليه .

وتسلمت هدى .. وخلعت نفسها من ذراعه في سكون .. وبدأ على شكرى الامتناع .. وهو يرقب حركات عبد الرحيم .

وعاد عبد الرحيم يلح على هدى قائلا .

— اشربى يا هدى .. غير معقول أن تكون صوفك وتركيب مشرب وحدا ؟!

ورفعت هدى يدها بالكأس إلى شفتيها .

ولم تكن هدى تفرط في الشراب . ولا كانت تكرهه .. ولكنها كانت تحب أن تشرب بمراج .. كأساً .. أو كأسين .. وليس أكثر من ذلك . وكانت تحس من الكأس أو الكأسين تأثيراً مبعثاً مبهجاً

ولم تكن تحس وقتئذ رغبة في الشراب . فقد كانت اجتسامتها المشلوبة على شفتيها تشد معها أعصابها ، وكانت تعتبر نفسها في مهمة دقيقة فاسية لا بد أن تنتهى بها .

كانت حريصة على أن ترضى عبد الرحيم .. دون أن تفرط معه فيما يحبه على الإحساس بأنها قد أساءت إلى حبيبها .

ولم تكن المسألة مهمة . لا سيما وهي تحس بفرط الصيق من كل ما يحيط بها من جو وأشخاص .

ولم تكن يطرحها تحس بمهفة على هذه الأجواء ، ولكنها كانت تستطيع احتمالها .. كشئياً بلهيبها وملأ فرأها .

أما الآن . وليس من دعها أو من قلبها أو من وجهها قيد أنملة لم يملأه حبيبها .. أما الآن . وهي تبصره في ما ترى وتسمع .. في كل هسة تطوف بمسامعها ، فقد أحست أن هذا الجو يحتم على صدرها ويحكم أنعاسها .

وعندما وضعت الكأس إلى شفتيها .. تخملت كل هذا الصبح الذى يحيط بها قد حفت . وتحملت ساعى . يجلس بجوارها فوق قمة جبل أو على شاطئ بحيرة . وسرت إلى مسامعها موسيقى وثيقة حالمة . ومالت برأسها

كانما تسندها إلى صدره .

ورسخت من الكأس رشمة طويلة وهي مقبضة العينين ، ثم هبطت بالكأس على المائدة وأطلقت رغبة طويلة .

وانطلقت أفئدتها من حولها لتوقظها من حسمها البهيم ، وصاح عبد القنى :

— حريفة .. فى الشراب والله .. تعرفين كيف تستمتعين بكأسك .

وملأت النشوة عبد الرحيم ، ومد يده بالرجاجة يعاود ملء الكأس وهو يقول :

— اشربى .

وأحست هدى أن الكأس تبعدها عن كل هذه السحافات التى حولها وتجعل المهمة الثقيلة أسعف وطأة .

ومرة ثانية رصت الكأس إلى شفتيها ورشعت منها رشمة أطول ثم هبطت بها إلى المائدة .

وأحست بشدة أعصابها تخف .. وبالبسة المتوترة التى علت شفتيها تسترخى .

وضحكك .. وضحك الكل من حولها .

وانتهى الطعام .

وبهضت اللفة لتتجه إلى حجرة الجلوس . واسترعى الجميع على المقاعد المنخفضة التى تحيط بالحجرة كلها ، وطاف الخادم بمناجيس القهوة .

وقال عبد الرحيم وهو يمد ساقيه ويحاول أن يحيط هدى بدرع .

— ألا تنوين أن تسمعين شيئاً ؟

— طبعاً .. ملأنا ترون أن تسبحوا ؟

وصاح إبراهيم :

— اسمعيا : شجون .

ورد عليه عبد المصطفى :

— لا تريد أحراراً .. أنتدبها شيئاً مفرحاً .. ترقص عليه عليه .

وأجابته عليه :

— أنا لا أكاد أحرك أطرافى .

— لا ضرورة لتحريك أطرافك . يكفينا جداً .. أن نحركى أردالك .

وانطلق بفتحه على نكتته .. وفهقه الجميع بالثبوة .

وبدأت هدى : الماء . وأسكت شكرى بالعود . وعبد الله بالكمان ،

وأسكت آخر بالناى ورائع بالدف .

وأصر عبد المصطفى على أن ترقص عليه .

وأعد المكان بوضوح بخليط مصطرب من الأصوات والآهات والدقات .

وسرت بشوة السكرارى . بين المدعوين .. وانطلقت الصحكات على

كل شيء . وعلى لا شيء .

ووقفت عليه : وسط الحجرة رافعة ذراعها مادة إحدى ساقيها .

وأخذت تحرك وسطها فى تناقل وبطء وهى تغمز بمبهيها صاحبة ، وقد رجع

أمامها عبد المصطفى يديه مطلقاً من حجرته آهات طرب مرعجة .

وضاع صوت هدى : وسط صرخات الحناجر ودقات الأقدام وصفقات

الأكف .

وصاح عبد الرحيم محتجاً وهو يصيح رجاجة الويسكى بين قدميه :

— يا خضر .. هذا ليس طرباً .

وصاح عبد الفتى :

— لا تريد طرباً .. تريد رقصاً .. تريد هز وسط .

ثم وقف بجوار عليه : وأخذ يطرعه بأصابه ويدب بقدميه ويهر

وسطه . واقترب من عليه : يريد صمها ولكنها أملت له وانطلقت إلى

الحجرة الأخرى .

وانتبه عبد الفتى إلى هدى : .. متربهاً مصفقاً يديه .

وكانت هدى : قد كفت عن الماء وأعدت تشاهد المهرج دا الساقين

الطويلتين والشعر المعوش وهو يتمايل راقصاً .

ولم تتمالك بمسها من الصحت . وكانت يصعده الكورس التى احسنتها قد

أرخت أعصابها ، وأرالت توترها .. وأشعلت فى باطنها وهج الحب .

ورددت وحسنتها إلى الحبيب العائب ، وباتت تنوهه فى كل شبح .. وتسمع

بدهه فى كل همة .. وتمت لو استطاعت أن تحدثهم جميعاً عنه وتخبرهم

كيف يحبها . وكيف يضمنها إليه .. ويربحها على صدره .

واقترب منها عبد الفتى : ومد يده فأمسك يدها . وصاح فى لكمة

المحمور :

— تريد رقصة

ولم تكذب تنطلق صيحه حتى صاح الجميع :

— أجل .. تريد رقصة .. تريد هدى .

وصاحت هدى .. ضاحكة :

— أنا أرقص ؟!

وتعالت الصيحات :

— أجل .. تريد هدى .

— ولكنى لا أعرف الرقص .

وأقبلت عليه : تتمايل وهى ترفع أصبعها مشيرة إلى هدى :

— بل ترقصين غير أنى .. قومي يا هدى .

وقفر إليها عبد الرحيم : فى بشوة .. وتمايل بحمده الصخم قائلاً

— قومي يا هدى .. الجمهور كله يريدك أن ترقصى

وعاد الجميع يصفقون ويدقون بأقدامهم :

— تريد هدى .. تريد هدى .

وفي غمرة الضجيج جدها عبد الفتى من يدها فأوقفها .. واقتربت منها
« عليّة » ولفت وسطها بشال عقدته على جانيها .

ونظر إليها شكرى نظرتة الولى وأحد يحرك أصابعه على القانون وقد
ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة وتسايل :

— ها .. يا هدى .. نبتدى ؟

وفد أن يسمع إجابتها .. بدأ يذق موسيقى « زيمة » .

واستمعت « هدى » .. واستخففتها الموسيقى .. والصيحات الجسونة الملحة
من حولها .. وبدأت ترقص .

كانت رشيقة الحركات .. حلوّة اللقنات .

وأحسّت بإحساسها يهرف . ومشاعرها تتأجج . وهى تتحرك بخفة
العراشة فى الدائرة الضيقة التى أحاطت بها شلة السكرارى ، وأغمضت عينيها
ونمت لو تلقفها ساسى ليربمها على صدره .

وصح الجميع بالإعجاب .. وعادت « هدى » لتستقر فى مكانها متلاحقة
الألفاس .

وصاح عبد الصى وهو يقذف بالسادة الصغيرة إلى السقف :

— أين كنت تحفظين كل هذه المواهب .. يا ساهية !!

وصاح إبراهيم ركنى وهو يعرج بقايا الكأس فى جوفه :

— سأعلن غداً عن مولد نجمة .

وصحكت عبد الرحيم وقال فى اعتزاز وهو يمد ذراعه ليصم « هدى » إليه :

— يحمى أنا .

ولم يبد الأرتياح على وجه « عليّة » وهرت كعبها وقالت هائلة فى
سخرية :

— الكعكة فى يد اليم عجيبة .

وصمعا عازف الناي فهمس ضاحكا :

— ييم .. ليتنا نمتنع باليم ليلة .. إن لديه غزير كعك .

ولم يعجب الحال « عليّة » فالتفتت إلى من حولها غائلة :

— أتوون إصاعة الليلة هكذا .. دعونا بشد بصمة أنفاس .

ورد عليها أحدهم :

— أمكك سجاير معبرة ؟

وضحكت « عليّة » غائلة :

— معى العنة بحالها .. هيا بنا .

وأخذ أفراد التبع يتسللون وراء « عليّة » إلى الشرفة الزجاجية . وبهتت

« منم الغريد » إلى مائدة العصب وقد أحاطت بها ثلة المقامرة

وانتمت عبد الرحيم إلى « هدى » ، ورمقها بنظرة فاحصة ، تنسلل إلى ما

وراء الثياب ، وألقى برأسه على مسد المقعد وقال فى استرخاء :

— مارأيتك فى أن تتحدث قليلا فى العسل ؟

وقالت « هدى » وهى تحس أنها توشك أن تخوض معركة :

— أمرك .

واستدارت لتواجهه فى جلستها .

وبدت الحيرة والتردد على وجهه ونظر حوله فى صيق :

— أنظينا نستطيع التحدث فى هذا الصبح ؟! أليس عندك مكان أهدأ ..

غللو به بأعسا حتى يستطيع التحدث فى هدوء !

وكانت « هدى » قد أصرت على أن تسير إلى نهاية الشوط .. فى المجال الذى

حدته لسمها ، والذى لا يدخل فيه أى احتياى حياة حبيب حياة حقيقية .

وتنهت ببساطة .. وهى تقول بصوت عال :

— منك حق . لا أنظنا نستطيع أن نرى عسلا فى هذا الصبح . هيا بنا إلى

حجرة أهدأ .

وعادرت هدى العرفة .. وهى عبد الرحيم وراءها يسحب جسده الثقيل المغمور . ولم يسأ أن يحمل في يده رجاية الويسكى القابعة بين قدميه . وقال عبد المصطفى معلقاً على الرجاية ، وهو يصحك :
— شيء .. لزوم الشيء .

وضحك البعض .. وتماثل البعض الآخر .

واجتازت هدى هـ الممر الطويل .. ودخلت إلى الحجرة المجاورة لحجرة النوم .. ذات الباعدة الزجاجية العريضة المصنوعة على البهر ، والتي تبدو فيها أصوات البعل مفرحة من خلال أورق الشجرة المائلة على الباعدة .
نفس الحجرة التي تعودت أن تستقر فيها على حجر سامى عندما يجلس على مقعده الكبير المواجه للنافذة .

ومدت هدى هـ يدها لتعص على زر النور . ولكن عبد الرحيم قال لها :
— لا داعى للنور .

وكان نور مصابيح الطريق يتسلل إلى الحجرة من الباعدة فأشار إليه قائلاً :
— هذا النور يكفى .. إنه يهذى الأعصاب .

ولم تفرس هدى هـ ، ولكن أنماستها بدأت تتلاحق .. إنها لا تعرف المدى الذى يورى صاحبها الوصول إليه .. ولكنها تعرف مداها .. وهى تستطيع أن توقفه عنده .

ومع ذلك كانت تحس بصيق .. وكأنها تعمل على كسبها عبثاً ثقيلًا .

كل هذا الذى تفعله ببعض إلى نفسها .. إنها حقيقة لم تحس هـ سامى هـ .. ولكن هذا التصرفات والأوضاع .. لا يمكن أن تكون مريحة أو مقبولة أو سليمة .. فى عملية حب مخلص جواد .

و هـ سامى هـ لا يمكن أن يصرها .. بل هى نفسها لا تقرها ، ولكنها تحس أنه لا بد لها من صبر فى طريقها الملىء بالأوجال والمراق .. ولا بد لها أن تحذر هذه المهاوى التى تحيط بها

وجلست هدى هـ على أحد المقعدين الكبيرين .. وجلس عبد الرحيم على المقعد الآخر . وزحف إليها حتى أصبح ملامساً هاماً مديده فاستقر بها على يدها .

وسحبت يدها بخلعة من أسفل يده .. وأزاحت مقعدها قليلاً إلى الوراء حتى تبعد ركبتيها عن ركبتيه .

وقالت محاولة أن تقوده إلى الموضوع مباشرة :

— هل حدثت موعداً لبهاء التصوير ؟

وبدا السؤال مفاجئاً لتعكيره فردد وكأنه لا يدرى شيئاً عن الموضوع :

— التصوير !!

ولكنه لم يهت أن تدارك الأمر .. واستطرد قائلاً :

— أجل .. أجل . لا أنظأ متأخر كثيراً .

— لعل النور يلاحمى .

— جئاً .

— إذن نتحدث فى التفاصيل

— لا أنظأ سنختلف أبداً .

— أعرف هذا .. ولكنى أفض أن يكون كل شيء واضحاً .

— ليس يساً تكيف .. سأبعد كل ما تريد .. ما هى طلباتك ؟

— لا أريد أكثر من أجر محقول . ومدة محددة للعمل حتى لا أصعب عملها .

ومرة أخرى مديده إلى يدها .. وعاد يرحف بمقعده .. وقال فى صوت مسخه ما استطاع من رقة ونعومة :

— دعيتك من عملك هنا .. إنك ستبقى فى مصر بصمة دائمة

— حتى ولو لم يكن لى عمل ؟

— لا يهم العمل .. إنك ستبقى معى

— معك ؟ كيف ؟

— سأمرش لك شقة فاحرة على النيل .. وسأمنحك لثلاثة جنيه شهرياً .. وكل ما تطلبينه سيكون تحت أمرك .

وأصمت « هدى » بشيء يتنوى فى أمعائها .. وداعلها نوع من اليأس جعلها توشك أن تختنق .. بالمدى الذى يريد أن يصل إليه الرجل .. ولكنها رأت أن تحاول محاولة أخرى .. فجعله لا يتحدى الحدود التى رسمتها لنفسها .

قالت فى لحظة حاولت أن تكسبها ما استطاعت من هدوء :

— أهذا كله سيوضع فى العقد ؟

ورفع حاجبيه ودهشة . ثم اصبح صاحكاً وتسايل :

— أى عقد ؟

— عقد التفيلم .

— هذا شيء ليس له علاقة بالفيلم .

— عقد الزواج إذن ؟

— رواج ؟ .. ألا تعرفين ألى متزوج .

— مقابل أى شيء إدد ستفرش لى الشقة وتحتنى لثلاثة جنيه ؟

— مقابل .. مقابل ..

وتردد الرجل ثم قال ، وهو يرفع كتفيه :

— مقابل أن تكون أحياء .

ونظرت إليه وتساءلت :

— هذا إذن .. عقد عشق .

— سيه كما نشائين .

— كنت أظن أن أول ما يتخصص عقد العشق . هو العشق فعلاً .

وابتسم الرجل ابتسامة شابها البهله ، وزاد اقتراباً منها وقد أعيد لعابه يسيل ..

وقال فى صوت خافت :

— وأنا أعشقك يا هدى .. عشقتك منذ رأيتك أول مرة على المسرح ..

تعبين .. أصيبة .. أصيبة ..

وبدا أنه قد بسى الأعباء وقاطعه « هدى » لتور عليه مشقة التذكر .. قالت

فى هدوء :

— وماذا هنى ؟

— بالنسبة !!

— لمسألة العشق هذه .. ألا ضرورة لوجودها من جاتنى ؟

— ستأتى مع الوقت .

— وإذا كنت مرتبطة بعقد عشق آخر ؟

— اصغيه .

— هكذا .. ببساطة !

وراد الرجل اقتراباً منها حتى كادت تحس سحوة أنفاسه

وقال وهو يضع كفه الثقيلة على ذراعها :

— سأعوضك عن كل شيء . إنى أحبك . وسأجعلك تمشين فى القاهرة

كملك

ورحفت « هدى » بمقعدها إلى الوراء ، وهى تحس أنفاس الرجل تلصق

وجهها .. وسألكه فى يأس :

— والتفيلم ؟

— دهيك من الفيلم .. إننى سأغنيك عن كل شيء .

— ولكنى أفضّل أن أعمل .

— ليكن .. ستتاح أمامك فرص العمل فى القاهرة . وسيقبل عليك

المنتجون .. والإذاعة .

— أكل هذا متوقف على عقد العشق الذى أمضيه معك ؟

— إنى سأمنحك كل شيء .. ولا أريد منك أى شيء .

— أكثر من أن أسقر في شقة معك في القاهرة ؟

— ستكون ملكك أنت .

— عني أن أكون أنا ملكك أنت ؟

— أنا أحبك .

والقرب منها ، وقد أخذت أنفاسه متلاحق .. وهذا الاحمرار في عينيه .
ونفض من مقدمه وهم بالارتقاء عينا ، ولكنها نبضت واقفة ومدت ذراعيه
تدفعه عنها في حزم قائلة :

— أظن من الخير أن نعود إليهم ؟

— لحظة واحدة . إنما لم تنف على شيء .

— ولا أظننا سننق ؟

— إلى على استعداد لكل ما ترين .

— ولكني لست على استعداد لما تريد .

— أؤكد لك أني سأساعدك . إلى أحسن هناك بالوحدة وأحتاج إلى إسماع
مثلك .. هدى ..

وانجحت هدى إلى الباب ، فمد يده وجذبها من ذراعها ولكنها تمصت منه
في عنف وقالت :

— كن حافلا يا عبد الرحيم .. لا داعي للفضائح

وغادرت الحجر .. وملء نفسها اليأس . وعلى شفها شدة الانسامة
المرعبة لتواجه بها بقية صيوفها المحمورين

باب الضلع

نقلت هدى في فراشها وأراحت العطاء عن كتفها وفحصت عينيها في
مشقة لترى شعاع الضوء يتسرب من شيش الباقية ، ولم تستطع أن تعرف
بالصبر كم ساعة طواها النهار خارج غرفتها المظلمة ، ومدت يدها فجذبت
الساعة الموصوعة على الكوموديو فوجدت عقاربها قد تجاوزت العاشرة .

وجذبت جسدها إلى أعلى واتكأت بظهرها على مسند الفراش وأحسنت
تبادل أطرافها وصداها يطبق على جبينها ، ويوادر وخرمى جنبها
وبدا لها كأن نوبة البرودة التي عصت مدة لم تهاجمها توشك أن تعود
إليها . وتملكها الحوف . ولكنها ما لبثت أن طردت الخاطر من ذهبا
وأثقت نفسها أن ما بها لا بد وأن يكون من مخيمات السهرة الضوئية الصاخبة ،
نما فيها من الرطابي الطعام والشراب .

ودار في ذهبا شريط سريع لحداث السهرة ، بكل ما فيها من صحيح
وتهريج .. وذكورت حاتمها الهائلة . وفرض الكرم الذي عرصة عبد
الرحيم .. الشقة الفاخرة على النيل . والمرتب الشهري الضخم .. نظير أن
تكون أمة في مجموعة الإماء التي يقتضيها .
وأطلقت من أنفها نفخة مريرة مباحرة .
لشد ما أحسنت الظل بنفسها .. وبالفير .

لقد عين إليها أنها تستطيع . أن تهر الصيد بطعم من انسامة رقيقة أو كلمة
مارحة .

كانت تتصور أنها قدرة على أن تقطف الورد دون أن يمس الشوك
أصابعها .

كانت تعتبر المسألة لعبة سهلة .. مستخرج منها بعد أن تنال غرضها ..
حروج الشجرة من المحين . وأنها لا تحتاج كي تسوى أمورها ، إلى ارتكاب
خيانة .. أو الارتباط بعلاقة .

كانت تردها فقرة سهلة . على أطراف الأصابع .. لا تلوث الدليل . ولا
تخدش الأطراف .

ولكن تجربة الأملس أفضحتها .. أنها كانت وهمة . وأنها إذا أرادت أن
تصل .. فلا بد أن تقطع الطريق كله .. خوضاً في الوحل .. وأنه لا يوجد في
البقاء والحياة بين يدي .

وعاودتها شكة الألم في جسها .. وزادت طرقات الصداغ على جبينها ..
وتملكها إحساس الحارح من شوط حاسر .. وأحدثت أسباب الضيق تملك
بعناقتها . ومن يربها ذلك الحطاب الملقى على الشفوية ، والذي تطب
فيه أمها أجرة السر من بيروت إلى ريو دي جانيرو ، لكي تزور أحماء في
المهجر .

ولم تعرف كيف يمكنها أن تدبر كل تلك المبالغ المطلوبة منها .. إنها
المرة الأولى التي تشعر بالضيق المالي بحكم حلقاته حولها .. لم تشعر من قبل
أن النقود يمكن أن تسبب للإنسان صيقاً . لأن النقود كانت دائماً موجودة
وهي تكثر أن تمد يدها مرة أخرى ، لسانى ، وتكره أكثر من هذا أن تطرق
باب ، رياض ، بعد أن أعلن قطيعها .. وبعد أن وضع نفسه في كفة
« سامى » في كفة .. وصمم على أن يختار به وبين « سامى » .. وباتت
عصية خداعه مستحبة بعد أن راح يرقها ويحصى حركاتها وسكناتها .

ولقد تمرد دائماً أن يعود إليها ، بعد كل حصار ، راصباً صاصحاً .. ولكن
هذه المرة قد أخذ القطيعة مأخذ الجد .. ربما لأنه يشعر أن أسياها أعق
وأعقر .

لم يحاول أن يحدتها مرة واحدة بالتيمون ، اللهم إلا هذه التلميذات

الصامدة التي لا يفتأ يذلها بين آونة وأخرى .
وأطلقت « هدى » رفرة طويلة ثم ألقت الغطاء من فوق جسدها وعادرت
الفرش .

وقبل أن تنجى إلى الحمام سمعت دق جرس التليفون في الخارج .
واتجهت إلى باب الحجرة وفتحه .. ووقفت في أول الممر . واستمر
الجرس يدق ، وسمعت خطوات « أم حبيب » المتعاقبة تقرب .. لم يدا
شبحها في آخر الممر ينحن على السماعه .

ورفعت « أم حبيب » السماعه وتساءلت :
« آلو .. من حضرتك .. إنها نائمة .

وقبل أن تضع « أم حبيب » السماعه صاحبت بها هدى .
— من يا أم حبيب ؟

وعاودت « أم حبيب » الحديث في السماعه .
— دقيقة واحدة يا ست هناء .. لأرى ما إذا كانت قد استيقظت .. دقيقة

واحدة .
ووصعت السماعه على المنضدة الصغيرة بجوار التيمون ، ثم اقتربت من
هدى قائلة :

— ست هناء تسأل عنك .
واتجهت « هدى » إلى التليفون قائلة :

— سأرد عليها .. قولي لإبراهيم يحضر الشاي .
وحملت الجهار إلى مصدة الطعام ورجعت السماعه قائلة وهي تنجى إلى
المفعد وتستقر عليه :

— أهلاً .. وسهلاً .. صباح الخير يا هناء .
— صباح الخير يا هدى . أخيراً استطعت العثور عليك .

وتضاحكت « هدى » قائلة :

— أفهم من هذا أنك حاولت الاتصال بي ؟
 — ما يقرب من مائة مرة . حتى كدت أهبس من العتور عليك .
 — ولكني موجودة في البيت
 — جاتر . ولكن تليفونك لا يرد أبداً .. وفي الأوقات التي يسمح بالرد
 يقال إنك نائمة .
 — من الذي يقول ؟
 — أم حبيب .
 — إن هذا الطير أقرب الأخبار إلى شفتيها .
 — لقد قالت لي الآن أنك نائمة .
 — إن فعلاً لم أستيقظ إلا على دقائق التليفون .
 — أمعروض على إذن أن أعتذر عن إيقاظك ؟
 — بل معروض على أن أعتذر عن النوم حتى هذه الساعة . لقد مرحت جداً
 عندما علمت أنك على التليفون . وحشتني يا هناء
 — أحياناً تقولين ؟!
 — طبعاً .. لماذا تسألين هذا السؤال ؟
 — لأنني ظننت أنك سيجي .
 — أنا أنساك ؟ .. إنك في عياطري دائماً .
 — ومن أجل هذا لا تسألين عني ولا تزوريني .
 — لقد اشغعت خلال المدة الأخيرة بشكل غير معقول ، كان هناك مشروع
 فيلم . وقد حصر انتاج من القاهرة ومنه المخرج وثلة كبيرة واضطرت إلى أن
 أقبس دعواتهم وأردّها .. وأنت تعريين مناعب هذه الجماعات .
 — وإلى أي شيء انتهيم ؟
 — لا شيء بعد
 — أما زلت مشغولة بهم ؟

— إلى حد ما .
 — أسمعك هذا الحد من ريارق إذا دهونك ؟
 — أنظفني في حاجة إلى دعوة لزيارتك ؟
 — أخصني أن يكون قد وصلنا إلى هنا .
 — يا صبيطة إلى أعتبر ببتكم بيتي ، واعتبرك أختي .
 — ألهم من هنا أنك في غير حاجة إلى دعوة لحضور عيد ميلادي .. لأنك
 ستحضرين من تلقاء نفسك .
 — عيد ميلادك ؟ متى ؟
 — اليوم .
 — اليوم اليوم كل سنة وأنت طيبة لماذا لم تخبريني قبل هذا ؟
 — حاولت .. ولم أستطع
 — على أية حال .. إلى أسعة . لأنه كان يجب علي أن أذكر عيد ميلادك دون
 أن يذكرني به أحد . ولكن ذاكرتي أصبحت عديمة الفائدة . كل سنة وأنت
 طيبة يا هناء .. إن شاء الله السنة القادمة تكونين .
 وترددت هدى : برهة ثم قالت ضاحكة .
 — ما هي أعر أمانتك .. لكي أذكر الله أن يحققها لك ؟ أن تكوني في أحضان
 العريس ؟
 وردت هناء ضاحكة :
 — لقد تجاوزنا هذه الأمية .
 — ما هي أمنيتك إذن ؟
 وضحكت هناء ضحكة قصيرة وقالت :
 — أن تحضري عيد ميلادي .
 — فقط !! هلها منتهي التواضع في الأماني .
 — ستحضرين إذن ؟

ومصت هرة تردد .. برر سامي خلخالها في دهن هدى ، لقد احترت بالأمس عن لقاءه من أجل دعوة عبد الرحيم ولثته .. وهي تعرف كيف تنسب هذه الاعتذرات صفة ، وتبرر وسوسه . ولا تدري كيف يمكن أن تجدر له اليوم مرة أخرى بأنها مدعوة لاحتفال آخر .

ثم هي نفسها في أشد الشوق إليه .. وإلى الاسترخاء في حجره .. والاستلقاء على صدره .. والمديث إليه ، ومناقشة وسوسه .. والإنصات إلى كل ما يواجه إليها من لوم أو عتاب ، أو مناجاة ، أو مزاح .

إنما أكثر ما يطمس في نفسها معالم سهرة الأمس بكل ما فيها من ضيق ومرارة وفشل .. هو أنها ستلقاه اليوم .

إن مجرد التفكير في لقاءه .. كاد كفيلا بأن يطرد من قلبها كل أنواع الغموم والمتاعب .. وأن يبدد بأسها ، ويحو تشاؤمها . وهي تنتظر لقاءه .. في لحظة الطفل ، وطناً الصادي .

ومع ذلك تحس أنها لا غمك أن تعرض بيساطة دعوة هاء : .. لا سيما بعد أن جعلت العناية من حضورها أسية عيد الميلاد .

واستغرق ذلك التفكير بها هبة صمت .. وكان المقروص أن يأتي الجواب قطعاً مؤكداً بأنها ستأتي . وغمك هاء : إحساس بالخذلان ، وقلقت وكأنها تعتذر عن دعوها :

— لعل لم أضاقك بالدعوة ؟ .

وأحست هدى : بمدى ما ينفخ من قلة ذوق مع العناية فأسرعت تقول معتذرة .

— كيف تقولين هذا يا هاء ؟! أنت تعرفين أنه ليس أحب إلي من صحبتك . ولكني فقط أفكر في هذا الموعد الذي ارتبطت به .. إلى لا أدري كيف ألمه لو كنت أعرف أن اليوم عيد ميلادك لما ارتبطت — متى هذا الموعد ؟

ومرة أخرى بدت الحيرة في صوت هدى : وترددت برهة قبل أن تقول : — الواقع يا هاء أنه يستغنى كل السهرة .

— إذن ادعيني إليه برهة واحترى بأى شيء .. ثم تعال إليها .

وحاولت هدى : أن تفكر ، ولم تمحها هاء : فرصة التفكير وقالت في إصرار :

— مستحضرين ؟

— سأبذل كل جهدي .

— إذا بذلت كل جهلك فستحضرين ، وسأغير أرى أنك حاضرة .

وكانت المرة الأولى التي تذكر هواء سيرة أبيها .. ولم تتخيل هدى : قط أن « رياض » يمكن أن يكون له صلة بالدعوة .. بل خيل إليها أنه سيحاول الابتعاد عن الدار حتى يتجنبها . وقبل أن تسترسل هدى : في مريد من الاستنتاجات عادت هاء تقول .

— لقد ألح أرى في دعوتك .. ولا أفتك ستخديها .

وأحست هدى : كأن باباً موصداً قد فتح أمامها . ولم تشك في أن « رياض » يحاول فتح باب الصبح .. وبدت لها حماقة كبرى أن توصد الباب الذي فتح .. بعد الشوط الخاسر الذي قطعت مع عبد الرحيم ولثته .

وهزن تردد أجايت هدى :

— سأحضر يا هاء .. متى تريدني ؟

— الساعة التاسعة .

— ربما أتاخر عن ذلك ، فلا بد أن أبقى دورى في المسرح ثم أذهب لأحضر من الموعد .. وأتى إليكم بعد ذلك .

— كما تشائين .. اللهم أن تأتى .

وأكدت لها هدى : أنها ستأتي . ثم بادلتها تحية السودا ووضعت الساعة ، وأعدت ترشف فحان الشاي ، وقد شرد بصرها في السحب المتلبدة

التي بدت وراء رجاء الشرفة . كأن الضيق ما زال يطبق على صدرها ، والألم الذي يوحز جنبها قد أخذ يتزايد . ولم يطلع الحديث التليقوني الذي مسحها أملاً في ذلك أرميتها .. والذي كان حقيقاً به أن مسحها بعض الإحساس بالراحة ، ويرى بعض هذا الضيق الذي يطبق عليها .. لم يطلع هذا الحديث في إزاحة ضيقها بل على النقيض .. راد نفسها انقباضاً .. فقد كان مجرد إحساسها بأن التبعيد المباشرة لكل ما حدث هي حرمانها من لقاء « سامي » كتيلاً بأن يحرق في باطنها كل إحساس بالأمل أو بالفرحة .

كانت أشبه بالطفل .. الذي لا يمكن أن تقعه بالرضا عن حرمانه من حلاؤه . لأنه سيشتقي من تلف أسانه . أو من وجع معدته . وبهذا الشعور الكارثة للحرمان ، وبدأت تفكر في طريقة ما للقاء « سامي » .. ورغم أنها كانت تنصق باللقاء الحاطف . الذي يجعلها دائماً تحس أنه ستركها بين لحظة وأخرى . إلا أنها لم تجد له بديلاً هذه الليلة .. إنه خير بكثير من أن تحرم من لقاء بلتين متواليين .

وبطرت إلى الساعة في يدها فإذا بها قد تجاوزت العاشرة والنصف . وكان المفروض أن يحدتها « سامي » في مثل هذا الوقت .. بمجرد أن يصل إلى مكبها . ولقد تمددت أن تستيقظ قبل أن يطلبها ، رغم تعبها من سهره الأمس .. ورغم حاجتها إلى مزيد من الرقاد .. لأنها تكره أن يطلبها مجدداً ثانية . حتى لا تبث في نفسه الشك في أنها تمادت في السهر .

ودق حرس التليقون مرعيت الساعة إلى أدها في لفعة ، وأحست بثلاثة أرباع ما بها من صيق وبأس يتظاهر وهي تسمع صوته يحببها في لحظة اضيق الحزن :

— صباح الخير

وردت عليه في شوق ولفعة .

— أهلاً

— كيف حالك ؟

— متعبة قليلاً

— من سهره الأمس ؟

— لا أظن . لم يمكن بالسهرة ما يجب إلا حرمان صحت

— ولكن تدين من صوتك مبهمة ؟!

— لأني أحس بمقدمات نوبة مرارة .

وبدا الانزعاج في صوته وتساءل :

— وماذا ستفعلين ؟

— لا شيء .. سأحاول أن أستريح قليلاً .. وأعطي ظني أنها ليست سوى

نوبة خفيفة . لقد مضت مدة طويلة دون أن أصاب بها

— أشرت بالأمس كثيراً ؟

وترددت وهي تهم بأن تكلم :

— أبداً . كأس واحد اضطررت أن احتسبه بعد أن ألغوا عني وأصروا أن

أشاركهم .

وقاطعها « سامي » بصوت أشبه « بالرومان » أو المسهمة ، مه بالكلام

المفهوم .. وكانت تعرف أنه وسيله المقنضة للتعبير عن صيقه .

ومضت برهة صمت قبل أن تتساءل « هدى » في قلق .

— أصابك هذا ؟

ورد في بأس :

— ضايقتني السهرة كلها .

— إنها ضايقت أكثر منك .. ولكنك تعرف ضرورة أن ..

— أعرف . أعرف . ولست أملك إلا التسليم بها . مادمت لا أملك

تصريحك عنها .. ولكني لا أستطيع أن أضع نفسي من الضيق .

— فأؤكد لك أنني لا أفضل فيها ما يسهلك .

وصاحب رده بزرعة ضيق قائلاً :

— أرجو هذا .

وأحست هدى : بأن صغره بصيق .. وأنه لا يتحدث بطريقة الطبيعية في الحديث معها .. ورغم أنها لم تكن تتوقع غير هذا .. ورغم أنها تعودت منه هذا الضيق عقب هذه الدعوات .. إلا أنها سألته في عتاب وهي تحس بمرط حاجتها إلى حبه وتذليله .

— ما بالك يا سامي ؟! أنت تعرف أني مكرهة على هذه الدعوات .

— وأنا لم أقل شيئاً .

— ولكنك غير طبيعي .

— وماذا تريدني مني أن أفعل ؟

— حديثي كما تفعل دائماً .

— أحدثك كما أفعل .. وأنت تشغلني الشبهون لمدة نصف ساعة ؟

— كيف ؟!

— طلبتك عشر مرات وأنا أبعد السكة مشغولة .

— أنا متأسفة جداً .. كاتب « هياء » حديثي .. وأطقت الحديث وأنا لا

أدري كيف أننيه .

وأحس هدى : بلسعة شك فساءل في شيء من السخرية .

— هياء .. لم أبوها ؟

— أقسم لك أنها هي .. وقد دعيت إلى عيد ميلادها .

— متى ؟

وأحست أنها مازالت تحمل لسامي مريداً من أنباء السوء . وأسباب

الضيق .. وصممت أن تلقى بها مرة واحدة وتخلص فأجابته

— اليوم .

— وستذهبي ؟

قائلاً : سامي ، وهو واثق أنها لن تذهب .. فهو يدرى أنها لا تصيق بشيء صيقها بأن يطول غيابها عنها .

وردت هدى : في تردد وخوف :

— حاولت جهدي أن أحتذر . ولكنك ألحيت .. وقد اضطرت أن ..

ولم يدعها هدى : سامي : تنص حديثها وهو يحس أن صغره . قد بعد ، وأن عصبه وصيقه قد غلب هدوءه وقدرته على التحكم في أعصابه فقاطعتها قائلاً :

— أفضل كما تشائين .. وسأقبل أنا ما أشاء . إن مدعو للعشاء غداً .. وبعد

غد سأسافر إلى حلب .. و ...

ولم تنطق هدى : بقوله ، ولم تصبر عليه حتى يتم حديثه فانبجرت قائلة :

— سامي .. لا تكني كالأطفال .. إلى أفضل كل ما أستطيع لكي أراك .. ولا

شيء أحب إلي مني في هذه الحياة أكثر من لقاءك .. علماداً تفعل هذا ؟!

— أنا الذي فعلت .. ألم تقولي إنك لن تستطيعي لقاء ؟!

— لم أقل هذا .

— ولكنك قلت إنك ذاهبة إلى عيد ميلاد هياء .

— ولكننا نستطيع أن نلتقي قبل هذا .

— متى ؟!

— بمحكك أن تأتي إلي في الخامسة أو السادسة .

— ولكنك تعبرين أني أكون مشغولاً في مكثي في ذلك الوقت .

— أترك المكتب مرة من أجل .

— أنت تعرفين أني أتركه ككهر أو أجلك

— إذن تعال اليوم في السادسة .

— سأحضر .

وأحست هدى : لأول مرة . أن الضيق الملب في صدرها قد انقشع ،

وأحس هدى : أن لعم الذي استبد برأسه قد تبدد .

وسادت برهة صمت حاول كل منهما خلالها أن يلم مرحته
وتقطعت هدى : الصمت منادية :

— سامى .

ورد : سامى : في عناد الأطفال . كان مارا لى عاضياً :

— نعم .

— أما زلت غاضباً منى ؟

— ولماذا أغضب ؟!

— إذن انسى .

ولم يملك : سامى : إلا أن يضحك وأجابها :

— أنت كالأطفال .

— أنا !!

ومدت شفتها داخل الساعة كأنها تحاول أن تصل إلى شفتيه وهمست قائلة :

— قل إنك تحبى !!

وأجاب : سامى : في صوته الدائب .. وقد نسى كل ما حوله .. إلا أنه

يحبها :

— أحبك .. أحبك .. أحبك .

وهتمت به هدى .

— أحبك .

ثم أردفت في لحظة متوسلة :

— أرجوك .. لا تعصب منى . ولا تصق لى .. لأننى لا أطيق التفكير لى

بعذك لقد بت كل ما لى في هذه الحياة .

احتمال هراق

وضع : سامى : الساعة ، وأراح مقعده إلى الخلف ومد ساقيه وفرد
ذراعيه .. وتمطى وتناوب .. وكان يحس دائماً خلال حديثه لهدى كأنه فى
حلوة بها .. وبصيه من حديثها نفس الاسترخاء والراحة التى يحس بها بين
أحضانها

ودق الباب فلم أطرأه ومال بجذعه على المكتب ، وقال : فادخل . ..
فخرج إليهم وبدت من خلال « نافذة » بجسدها الطويل ، وشعرها الذهبى ،
ووجهها الرقيق الذى كسسته قناعاً من الجمود تحاول جاهدة أن تحفى به
انفعالاتها .. وتبدو به فتاة عمل جامدة .. مجرد سكرتيرة . لا تعيها إلا
الأوراق التى بيدها .

واقتربت بأوراقها حتى وقفت بجواره وتسايلت وهى تمد يدها بسلف
الأوراق :

— أتوى مراجعة المقالات قبل أن أسلمها للطباعة ؟

وتناول : سامى : الملف وألقى نظرة سريعة على مجموعة المقالات التى به
ثم قال للناظرة :

— سلمها للطباعة .. وأحضرى لى التجارب بمجرد أن تحبزي .

— سأضعها على مكتبك عندما تحضر بعد الظهر .

— أنفصل أن أراها قبل أن أعاد المكتب لأنى سأكون مشغولاً بعد الظهر

— أكن تحضر اجتماع المحررين فى الساعة السابعة ؟

— سأجتمع بهم الآن .

وبدا التردد على وجهه « فائزة » ، ثم قالت :

« ولكن معظمهم غير موجود .

« لا بأس .. سأجتمع بالموجودين منهم .

وتناولت « فائزة » النوسيه وهمت بالخروج .. وأحس « سامى » بما بها من جمود .. أو ضيق .. وبدأ نفسه مسغولاً إلى حد ما من هذا الذى أصابها .. فقد كانت الأيام تمر به دون أن يجد من وقته أو من مشاعره .. فسحبه بتبادل معها تلك الأحاديث الرقيقة الخاصة التى تعود أن يتبادلها .

واستوقفها قائلاً وهو يتصاحك :

« مالك متعبة كأنك تقار سكة الحديد ؟

« أبداً .. إني أريد فقط أن أسلم المقالات للمطبعة

وتوقفت « فائزة » .. وهى تحس ببطء من نشوة وهى تجده يحاول استيقاظها

وعاد « سامى » يقول ملاحظاً :

« كيف حالك ؟

« الحمد لله .. كل شيء على ما يرام .

« لم أعد أسمع منك أراك فى مقالتي .. لعلك كلفت عن قراءتها ؟

« غير معقول .. إني أقرأها على الأكل بحكم عملى .

« فقط ؟

« أقول على الأكل .

« وعى الكثير ؟

« وصحكت « فائزة » .. وأحست فجأة بأنها تود أن تضمه إليها وتقبله

فأقبل الله الحياء والتقاليد التى تمنعها من مباشرة حوارها اللذيذة المفاجئة .

ولم تملك إلا أن ترمقه بنظرة طويلة قائلة :

« أنت تعرف كم أحب كتابك .

« حتى الآن ؟

« دائماً .

« وحتى لو أسأت الكتابة ؟

« وبسبب « فائزة » وهى تحس بمدى قربها من قلبها وأجابته :

« أنت لا تنسى أبداً .

وأحس « سامى » بالكثير من الراحة .. راحة الضمير التى كان يحس بفرط الحاجة إليها .

وبخرجت « فائزة » .. ومدة « سامى » يده إلى المكتب فجذب مجموعة من الأوراق المبعس وتناول القلم .. ووضع طرفه على بداية الصفحة الأولى .. محاولاً كتابة الاقتراحات . حتى لا يزحم نفسه بها فى المساء .

ولم يمضِ بشيء معد فى ذهنه .. فوضع القلم وأخذ يقلب صحف الصباح لعله يستوحى منها فكرة .. أو يرد على مقال .. ولكن لفتت نظره صورة لهدى فى إحدى صفحات الفن . فأخذ يقرأ التعليق المكتوب أسفلها « هدى نوره الذين .. وارتباطات جديدة »

وتوقف أمام الصورة برهة . ثم استمر فى قراءة بقية التعليق ولم يكن فيه شيء جديد أو مثير .. بل كان شيئاً بكل ما يكتب عن « هدى » وعن غير « هدى » من المقامات .. من أن إحدى شركات الأفلام عرضت عليها الاحتكار لمدة بضعة سنوات نظير بضعة آلاف من الجنيهات للقيام بأعمال البطولة فى بضعة أفلام .

وكاد « سامى » يجر على الحبر من الكرام .. لا سيما وهو يعلم أن لدى « هدى » مشروع ارتباط بأحد الأفلام ، ولكنه توقف أمام جملة فى آخر الحبر جاء بها :

« وبشبح بعض الجبناء أن صاحب الشركة يحاول أن يعزى المطربة الحساء بعرض احتكار فى مجال آخر .. ومارالت المطربة تفكر فى العرضين الذين يحاول انتزاع الكبير ربط أحدهما بالآخر .. وأنه يتحتم على الفنانة أن تقبل العرضين

معاً .. أو ترصهما معاً .

وقذف « سامى » بالصخرة فى شقيق .

سحابة .. وقلة أدب .

هؤلاء الصحفيون يمارسون نعمة الدم والبطلجة على حساب الفنانين .

إن نصف أخبارهم مختلفة مكذوبة .

ولكن النصف الآخر صحيح .

بل الواقع أن معظم ما يشعرونه ويكذبه القاصون .. تثبت الأهم صحته .

يكر أحدكم أنه على علاقة بـ « بروجية الآخر » . وتثور الزوجة العاتة لأن شرهما

قد غلب .. ويهدد الزوج بقتل الصحفي صاحب الخير .

ولا تغر بضعة أيام .. حتى يطلق الروح زوجته .

وبعد بضعة أيام آخر .. تتزوج العشيقة .

أترى الخير .. من هذا النوع ؟

ولم لا ؟! إن بعض هؤلاء المنتجين .. يمارسون الإنتاج على أنه وسيلة لصيد

العصافات . وجائر جنأ .. أن يكون المنتج المذكور . من النوع الصائد .

ولكن « هدى » .. لا يمكن أن تكون صيداً

ووجد « سامى » أفكاره تسوقه بطريقة صهيانية .. إلى مواطن الشكوك

والرهيب .. فمد يده إلى السماعلة ليطالب « هدى » .. حتى تقضى بنفسها على

تلك الأوهام التي دفعها الخير إلى نفسه .

ولكن جرس التلغراف كان أسبق من يده .. وحيل إليه أن « هدى » قد قرأت

الخبر ، وأنها تريد أن تزول منه ما يحتمل أن يكون قد تركه فى نفسه من شقيق وأن

تؤكد له أنه سحابة .

ورفع السماعلة ففوحى بصوت رجل .. واستطاع بسهولة أن يمسر فى

الصوت يراثة عبد الوهاب رئيس الحزب ، وحياه سامى فى ترحاب :

— أهلاً وسهلاً .. صباح الخير .

— كيف حالك يا سامى ؟ ما هى أخبار الجريدة ؟

— كل شيء على ما يرام والحمد لله .

— كنت أريد أن أراك اليوم فى المساء وسأكون فى مقر الحزب بين الساعة

والثامنة .

بدا الموعد المفروض مفاجأة عير سارة لسامى ، ولم يعرف كيف يتحتمر ..

ولا بأى شيء يتدخل عنه .

ولم يطل به التردد حتى قال :

— كنت مرتبطاً بموعد فى ذلك الوقت فإذا كان حضورى معنا فى تلك

الساعة .. فسألقى الموعد .. وإذا أمكن تذكيره أو تأجيله هاى ...

وقاطعه عبد الوهاب قائلاً :

— اسمع يا سامى .. ماذا تفعل الآن ؟

— كنت أحاول كتابة الافتتاحية .

— إذا لم يكن لديك شيء آخر فتعال إلى البيت .

— سأأتى حالا .. مسافة الطريق .

وغادر « سامى » مكتبه قائلاً لقديرة :

— سأذهب إلى « عبد الوهاب بك » فى البيت .. وإذا احتجت إلى أى أمر

هنا فأتصل فى هناك .. وإذا اتصل فى أحد فقول له إلى سأعود فى الساعة

الواحدة .

وسارت العربة « بسامى » وسط سيل العربات المتدفق فى الطريق .. وقد

أخذ دهنه بتأرجح بين وساوسه فى « هدى » . وتغيباته هم يطلبه « عبد

الوهاب بك » من أجنه . وعبثت العربة به بردى ، ثم لعت يساراً بعد مبنى

البريد متجهة إلى سوق الحميدية ، حتى وصلت إلى بيت « عبد الوهاب » وراء

السوق .

وكان البيت أحد قصور دمشق القديمة . ذات الجدران السميكة ،

والأسقف العالية . وعبر « سامي » البحر العميق إلى الحديقة التي تتوسط البهاء ، والتي تناثرت فيها أشجار البنون ، وقامت وسطها « البحرة » أو النافورة .

وارتقى « سامي » السلم الرخامي إلى الدور الثاني ، وانجى إلى حجرة المكتب المنطلقة على الحديقة يسبقه الخادم معلماً عن وصوله .

وعبر الباب ليجد « عبد الوهاب بك » قد استقر بالجلباب والمائة الصوف « والطايفة » فوق الأريكة الملائقة للخدمة المنطلقة على الحديقة ، وقد وضع على حجره كتاباً ضيقاً يقلب أوراؤه .

ويذا الرجل العجور — وقد كثل الشيب رأسه وعلاّت الفصوص وجهه الأبيض — وغوراً مهيباً .. وكان « عبد الوهاب » أحد أبطال الثورة السورية .. وأحد المكابحين الذين قادوا الحركة التحريرية واستمروا في مصالمتهم دون أن تشوب مصيبتهم الناصعة شائبة .

وكان « سامي » يحبه ويحترمه ويؤمّن به .. وإن كان يحس فيه نوعاً من الطيبة والتسامح يطعم فيه غصومه .. ويحس منه كذلك شيئاً من التساهل .. تساهلاً لا يصل إلى حد التسامح في الحق ، ولكنه يسمح بالتساهل في الوسائل .

ونهى الرجل للقاء « سامي » وشد على يده في حرارة وضمه إليه ضمة الأب ، ثم التفت يجلسه عن الأريكة ساللاً إياه أن يجلس .

ودار الحديث بينهما عن أخبار السياسة .. وعن تهديد الأتراك للحدود .. وعن مشروع أبرهاور الذي تحاول أمريكا أن تصد به الشيوعية عن البلاد العربية .. بعد فشل حملة السويس .

وهز عبد الوهاب رأسه ورفع حاجبه في دهشة قاتلا :

— أحياناً أرى في تصرفات هؤلاء الأمريكيين حماقة .. تخفني على الشك بأن ساستهم يعملون لحساب الاتحاد السوفيتي .. لقد وقعوا موقفاً مشرفاً في حملة السويس .. وكان يمكنهم أن يستغلوا موقفهم ويواصلوا كسب العرب إلى جانبهم .. وأن يمدوا إليهم يد المعونة غير المشروطة . وأن يفرضوا على إسرائيل

قرارات الأمم المتحدة .. ولكنهم بدلاً من أن يفعلوا هذا ، إذا هم يخرجون علينا بهذا الحبل الذي يسمى مشروع أبرهاور .. والذي يريدون به حمايتنا من خطر الشيوعية الذي لا يوجد إلا في أذهانهم .. وبأيون إلا فرض حمايتهم علينا بدل أن يمدوا لنا يد الصداقة .

ورده « سامي » ، وهو يضحك قاتلاً :

— غير محقول أن يفعل الأمريكيون هذا .. والصهيونية تسيطر على كل وسائل الدعاية .. ويدسون في كل أجهزة الحكم .. إلى لا أتوقع خيراً من أمريكا .. لأن لا أتصور الشعب الأمريكي يمسك أن يكون مسئولاً عن السياسة الأمريكية .

— إنهم يمدلون بصداقتنا مع الاتحاد السوفيتي على ارتباطنا في أحضان الشيوعية . وبدلاً من أن يمدوا يد العون إلينا ليكسبوا صداقتنا .. يمدون سلاحهم لحمايتنا من الشيوعية .

— إن الشعب العربي يعرف كيف يحس نفسه من كل أنواع الاستعمار . وإذا كان قد حسم قامة السويس من عدوان العرب . الكائن الملموس .. فلا أظنه سيجوز عن حماية نفسه من الخطر الموهوم .

وتقدم الخادم بالقهوة .. وسادت فترة صمت ارتشف كل منهما بصبح رشقات من فضائه .

ووضع « سامي » شفتيه ثم قال معلناً عن آخر ما قيل :

— عن أية حال إن تصاننا العربي يستطيع أن يقاوم كل ما يوجه إليه من مؤامرات العلوان .

ورفع « عبد الوهاب » شفتيه عن العنجان وأجاب وهو يتنهد في محمسه وكأنه ينوي أن يدخل في موضوع هام :

— إن هناك مشروع تصان أوسع .. لا شئت أنه سيهد تصاننا العربي في كمامه .. ويؤيده في نصاله .

وهو : سامي : رأسه متسائلاً عما يصبه عبد الوهاب .

وعاد : عبد الوهاب : حديثه بعد أن رشف آخر رشعة من فتحاته ووضع أمامه على الصندف الصغيرة :

— لقد رازى الأخ : علي عبد الحافظ : وكان قد حصر بالأسس من القاهرة .. وأخبرني أنهم يعنون المؤتمر نصامي الشعوب الآسيوية الإفريقية في القاهرة

— هل غرار مؤتمر بانديج ؟!

— أجل ولكن على مستوى شعوب ، ومستغل فيه جميع الشعوب التي لم تل استقلالها ، والتي لم تستطع الاشتراك في مؤتمر بانديج .. وستعقد اللجنة التحضيرية في القاهرة خلال الأسابيع القادمة .. وقد طلب مني أن أرسل رسماً يعتمد عليه لحضور هذه اللجنة .

وأحس : سامي : بما جرى : عبد الوهاب : قوله .. وبدأ دمه يشرذ في انبعاث آخر .

إنه سيطلب منه الذهاب إلى القاهرة .. وهو لا يعرف كم ستطول مدة هذه اللجنة ، ربما طالحت حتى العقاد للمؤتمر ذاته .

وهدي ؟!

هل ستركتها طول هذه المدة ؟!

إنها المرة الأولى التي يعترفان فيها منذ بدأت علاقتهما .. وهو يعرف كيف تصيب لحيته يوماً أو يومين .. وكيف تبسو لحمتها عليه بعد العبة .. كأنها أم يعود إليها طفلها .

وأحس بالصيق يمتلكه .. وحاول أن يعيد دمه من شروده ليصبح حديث عبد الوهاب : .. واستطاع أن يلتقط : عبد الوهاب : وهو يقول :

— وقد رأيت أن الوحيد الذي يستطيع الاعتماد عليه في مثل هذه اللجنة هو أنت ، لأني لا أريد أن يستغل الآخرون الموقف للدعاية لأنفسهم

وساد الصمت ، وكان علي : سامي : أن يقول شيئاً .. ولكنه أطبق شفتيه .. وعاد يطلق بذهه إلى : هدي .

واستدعاه : عبد الوهاب : من شروده متسائلاً :

— ما رأيك يا سامي ؟

وقال : سامي : وقد بدا عليه الوجوم :

— إن علي اعتماد دائم لكل ما تطلبه .. وأنا أحب فعلاً أن أحصر هذه اللجنة .. عن الأقل لإسماع الرأي العام صوت قضيتنا .. ولكن أعشى ألا تمكس الظروف

وقاطعه : عبد الوهاب : متسائلاً في دهشة :

— أية ظروف ؟!

— إن أمي مريضة ، وأنا أحب أن أكون إلى جوارها في ...

ولم يكن : سامي : كادياً في قوله : نوء على الأصح كان نصف كادب . فقد كانت أمه حقيقة مريضة . ولكن مرضها لم يكن مرضاً طارئاً ولا كان يستدعي فعلاً دوام وجوده بجوارها . كان لديها مرض الطبعي لجميع الأمهات ، السكر ، والضغط .. و ... وإلخ .

ولم يملك عبد الوهاب إلا أن يندى أسفه الشديد قائلاً .

— سلامتها .. أهنأك شيء مزيج ؟! لماذا لم تبتني ؟!

— لم يكن الأمر يستحق القول .. فالعلاج مستمر .

وصمت : عبد الوهاب : برهة ثم قال :

— بلعني سلامي .. ورجو أن سمع عبا دائماً أنها في أحسن حال .

— شكراً .

— على أية حال إن اجتماع اللجنة ما رآه أممه بصحة أسابيع .. أرجو أن تكون السيدة الوالدة قد تحسنت خلالها وأن تمسكن من الذهاب ! وقال : سامي : وقد أطرق برأسه :

— وإذا لم تسمح الظروف ؟

— ترشح لي بضعة أسماء تنق فيها لأختار واحداً منها .

ونعس : سامي : مودعاً .. وهو يس يسى ، يعطين على صئره .

أهو احتيال فرقة : هدى : وإيلاهما ؟

أم هو نصف الكاذبة التي قالها ؟

أم هو ترجيحه : هدى : على عمله ؟

أم هو خليط مشوش مضطرب من كل هذا ؟

٢١

نوبة شك

وقف : سامي : أمام شقة : هدى : ، ودق الجرس دقة قصيرة كمعادته ، ووقف ينتظر ، ومضت برهة دون أن يستمع لوقع عطلوات تقترب لتفتح ، فمد يده إلى الجرس ودقه دقة طويلة .. ومضت برهة أخرى أحس بعدها بالقلق ، وأخذ الشك يساوره في أن تكون : هدى : قد خرجت لسبب ما .

وعاد يدق ، وقد أصابه الضيق ودخله اليأس ، ورفع يده عن الجرس وبدأ يعكر في العودة عندما سمع أقداماً تملو نحو الباب .. ثم بدت : هدى : بيوها الرماذي المتضغاض ، وقد فتحت الباب ووقفت أمامه تلهث ، وتساءلت وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها :

— أصمت بك مدة وأنت تدق الجرس ؟

ورفع : سامي : كفيه في يأس وأجاب :

— نصف ساعة .

— غير معقول ؟!

— على أية حال .. لقد كنت أياأس وهست بالعودة .

وصاحت به في لزع :

— تعود !! أمجنون أنت ؟!

— ماذا أقول إذا لم يفتح لي أحد ؟

— استمر في الدق حتى يفتح لك .

— حتى ولو لم تكوني موجودة ؟!

— ما دمت أعرف أنك أنت من تستطيع قوة أن تحمسي على ألا أكون

موجودة

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

وأعلقت الباب .. ثم ارتحت بين ذراعيه منمتمة :

— الحمقاء العبية .. خرجت دون أن تحبى .. ودخلت الحمام وأنا أظب موجودة .. وأنها ستفتح .. وعندما طاق دق الجرس شككت في أنها تكون قد خرجت .. وعطرت يدي أنك قد تنصرف فعلاً فجن جنوني إياك أن تحاول الانصراف كما حاولت اليوم .. مفهوم ؟
وأجاب وهو يعلق فيها بشفتيه :

— مفهوم . مفهوم .

وصمها إلى صدره بشدة وهو يتحسس ظهرها بكميه .. وأحس بحسدها بسبب في طراوة أسفل الثوب ، وانكشفت في صدره انكماشة قطعة تنسمس الدهن في يوم قر .

وهمس بها وهو يحذب جسدها إلى جسده ويمس بصدرها مصعوطاً على صدره ، وأسانها تصطك بأسانه :

— آسف لأن قطعت عليك حمامك .

— لم أكن قد بدأت بعد .

— إذا أنتظر حتى تنتهي منه .

— كلا .. إن الحمام موجود في كل وقت .

وجذبت من يده وانتهت إلى الداخل ، وقبل أن يعبر الصالة لمح الباب .. وأدرك من النظرة الخاطفة التي ألقتها عليه أن ثمة تعبيراً حدث في مظهره العام .. زجاجات ولعت وزجاجات وضعت وزجاجات أفرغت .
وأحس بلسعة الشك تعاوده ، وتعمكر صعو بشوته .. وتوقف قليلاً ثم قال في بعمة ساخرة متبرمة .

— يبدو أن العريضة كانت على أشدها ليلة أمس ؟

وجرته من يده قائلة :

— كان المقروص أن يشربوا .

— طبعاً .. من غير العقول أن يهربوا دون شرب .

— لم يكن الأمر كما تحاول أن تصوّر ، لقد كانت دعوة عشاء .. وشرب الصوف كما يشرب كل الناس على الموائد .

— على أية حال أرجو أن تكون قد أبرمت العقد وانتبخت بهم وأطلقتك هدى تهيدة وقالت وهي تجلس على ركبته فوق المقعد الكبير .

— ليس بعد .

— لعل الأمر لا يحتاج إلى ولائم جديدة !

— لقد كرهتهم .. وكرهت دعواتهم .

— لماذا ؟

— دعك منهم الآن .. سأقص عليك التفاصيل فيما بعد .

ومدت يدها إلى رباط عنقه تحاول فكها قائلة .

— أختنى أن تجلس هكذا بجلاستك الكامنة ؟

وقال في نوع من العصب والصاد :

— أجل .

وهبست من فوق ركبته ثم انحست أمامه في أدب وقالت ساخرة :

— تشرّفنا يا سعادة اليه .. أنغشطر قهوة ؟

ونظر إليها بطرف عينية ثم أجابها :

— أتمرحون ؟

— بل أتكلّم جادة .. ما دمت تجلس هكذا كالضعيف .

— أتريدني أن أصنع ملايسى .. لبصع دقائق ؟

وتمايلت في فرع .

— بصع دقائق ؟ أتموى الخروج بعد بصع دقائق ؟

— أتم تقوى أنت أنك ستخرج مبكرة من أجل عيد ميلاد صديقك ؟

— أجل قلت .. ولكنى لم أقل أى سأخرج بعد بضع دقائق . إنما أستطيع أن
أجلس حتى التاسعة .. لقد وصبت شرى بعد الظهر لكنى لا أصعب وقتاً لأن .
وسأبدأ في ارتداء ملابسى في الثامنة والنصف وستبقى معى حتى أنتهى منها
ونخرج معاً .
— إذن فأنت لم تستريحى طوال اليوم .

— تقريباً

— وستذهبن إلى المسرح لتقوى بدورك ثم تذهبن إلى « هناك » قضاء بقية
السهرة ؟
— أجل .

— هذا غير الإرهاق الذى لقيته في سهرة الأمس ؟

— لا تذكرى بها .. لقد كانت ليلة مرعبة .

— وبعد هذا تشكين من تعب المراءة .. ألم تقولى إنك ستفدين في العرائش
لكنى تستريحى ؟

— لا أظنها كانت نوبة مرارة .. فقد انتهى الألم بمجرد أن سرت في البيت
وباشرت أعمالى المعتادة
— ولكن كان يجب ...

وقاطعت قائلة وهى تجده من يده .

— أتترى أن مضيق ليلتنا في ما يجب وما لا يجب .. قم اخلع الجياكة والكرافتة
والجلد .. فإنك تشعري بشبابك هذه أنت توشى أن تخرج بين خبطة وأخرى .
وسمى « سامى » واخلع الجياكة والكرافتة .. وتناولتهما « هدى » وانتهيت
إلى حجرة النوم فأخرجت من دولاب مشحناً علفتهما عليه ووضعتهما وسط
ثيابها .

وكان يملكها دائماً إحساس مجمع وهى تعلق له بذلك .. وكانت تصعد أن
تدسها بين ثيابها كأنها تحاول أن تقع نفسها أنه يحس معها ويشاركها كل

مكان في بيتها ولها حبايبها .

ونتيجة « سامى » إلى المطبخ ليشرب . وفتح الثلاجة ليخرج رجاجة للماء ..
ولم يكن في الواقع حاجة إلى الشرب بقدر ما كان في حاجة إلى فتح الثلاجة ..
لقد أصبحت الثلاجة وحيدى وسائه في معرفة سوك « هدى » .. وكانت
« هدى » تعرف هذا وتغرب له .. كانت تحب كل ما فيه حتى سخافاته ، بل
كانت تحب سخافاته أكثر من سوغه .. فقد كانت تختبر سوغه منكأ مشاعاً
بغير .. أما سخافاته فشىء خاص بها .. وكانت تكره أن يلقى في صدره شكأ
بضائقه .. مهما كان سخف أسبابه .

كان يحاول أن يستنتج من نوع الطعام وكميته .. ما إذا كانت قد استصافت
أحد .. أو أصابها أحد . فلم تتناول العشاء في البيت .. وكان أكثر ما يصيق به
رجاجات الصودا المرصوعة على الأرفف داخل باب الثلاجة ، كانت دليبه عن
أن شخصاً ما قد زارها وتناول الويسكى .. وشارب الويسكى لا يمكن أن يكون
ضيقاً عابراً .

وفتح « سامى » الثلاجة كعادته .. وتناول الرجاجة ورفعها إلى معه وعبه
تصحصان الرغوف التى أزدحت بالأطباق الملوقة ببقايا وجبة « لأمس » ونمت نظره
من بين الأطعمة ثمار المدعو التى حششت في الدرج السفلى .. وصندوق البطرخ
الموضوع على الرف الذى فوقه .

ووضع الرجاجة واستدار لواجهة « هدى » تقرب من باب المطبخ ولقد بدت
على وجهها إسماعة تشعير بأف قد أدركت كل ما يجوز بمخاطرة « سامى » من
وساوس .. ولم تنتظر حتى ييادها الانعام بل قالت ببساطة :
— عبد الرحمن أرسل إلى بالأمس نقصاً من المأجو وصندوقاً من الويسكى ..
وإبراهيم ركنى أرسل البطرخ

ولم يرد « سامى » بل أطلق هذا الصوت من ثرومات وفهمته .. الذى يعبر
به عن صيقه المكتوم . وانته إلى حجرة الجلوس فاستلقى على مقعد وشرد

بصره من العادة .

وأحسنت هدى : بما يعاناه . ولم تكن تتوقع منه بالطبع أى ترحب بالهدايا . ولكنها لم تتوقع أيضاً أن تصبه مثل هذا الصيق وهبطت هدى على ركبتيها بحول المقعد شبه راکمة ومددت ذراعها تحيط بهما وأسندت رأسها على كتفه وتساءلت هامسة :

— ماذا يصافقك ؟

— لا شيء .

— لماذا لا تصمى ؟

— ومد : سامى : ذراعه وأحاطها به فى غير اكتراث .

وهستت هدى : وهي ترفع إليه بصرها .

— أهكذا تعودت أن تضمى ؟؟

ولم يجب : سامى : بل أطلق رعدة صيق مدبل . صالت : هدى : بخوف .. هزكت مكانها على الأرض وقهرت لتستقر على حجره وتصبه إليها هائمة

— سامى .. قل ماذا بك ؟

ولم يجب : سامى : فعادت تتوسل إليه :

— يا حبيبى . ليس هناك أبداً ما يستحق منك كل هذا الصيق .. لقد تعود هؤلاء الثمان على أن يرسوا أمثال تلك الهدايا . وغير معقول أن أرصها .. أو أقذف بها من الباعدة حتى لا تردها . قل ماذا يصافقك فى ذلك ؟

ونظر إليها : سامى : وأحس بما أصابها من خوف ولم يعرف ماذا يقول . لقد كان الصيق يمسك بخناقها .. ولم يكن يحس برغبة فى المناقشة أو قدرة عليها

وعادت : هدى : تتوسل إليه

— قل أى شيء .. ولكن لا تجلس هكذا صامتاً

وكره : سامى : أن يؤلمها أو يعذبها وغال وهو يرفع كفه ليعتصر جيده :

— إذا كانوا هم تعودوا على ذلك .. وكنت أنت قد تعودت عليه .. فأنا لا أستطيع التعود عليه .. ولا أظن أى إنسان يستطيع ذلك .

— ولكن أنت تعرف أنه جزء من حياتى ومن عملى . وأنه لا بدنى أن أدعو هذا وذاك .. وأنقل الدعوة من هذا وذاك .. وأن أخطب بأهل الوسط كلهم حتى أكون دائماً فى ذاكرتهم عند الحاجة .. فهم لا يدركون إلا من يعاشرهم ويتخلط بهم .

وكان : سامى : يحس أنه ليس من حقه — وهو يعيش معها كضيف — أن يحرم عنها موارد رزقها وأن يعيدها عن محيط عملها ، ولكنه أحس أن الأمور تختبط عليه وأن الخلد الفاصل بين محيط العمل ومحيط اللهو والعربة مشوش مضطرب . وأنه لا يستطيع أن يبرر أعمال الذى يطعن إليه من المجال الذى يبيع وسالوه ويترشكوه .. ولا يستطيع بالتالى وسط هذا الخليط المضطرب من العمل والبيت أن يعرف ما يحرمه عليها وما يسمح لها به ومع ذلك فقد أحس أنه فى صيق . وأن هذا الذى يحدث — سواء كان حزناً من العمل أو لم يكنه — شيء مثير مرعج .

ونظر إليها وهو مضطرب بين حبه لها وشكها فيها .. وفتحه عليها .. وعصبه منها .

وقال وهو يزفر زفرة ضيق :

— لم ألق لك أبداً أن تتعدى من محيط عملك .. ولكننى لا أطيق أبداً أن أقصورك فى سورة عريضة حراء ، وهؤلاء الاخبارات ينتفون حولك ويحيطونك بهزلم السمج ونظراتهم النهمة . لا أظن أبداً هذه الهدايا التى يملأون بها البيت .. والذين الذى ينتظرونه لها .

— ليسوا هم فقط الذين يحيطونى بهزلم السمج . ونظراتهم النهمة . بل المشهور كله يفعل فى ذلك كل لمة . أما الشئ الذى ينتظرونه لهداياهم فيسطلون انتظارهم له حتى يمروا ويكفوا عن إرسال الهدايا . هذا شيء لا

بغضبك .. بل يجب أن يترك .. لأنك والى أنى بين كل هؤلاء لا أحب
سواك .. ولا أعيد عرك .. إنهم لا يملكون سوى الكلام والنظر .. وأنت تملك
كل شيء .. ألا يرضيك هذا ؟

— فارق أن يصحب بك الجمهور .. وأن يحيط بك ثلة من السكارى في
بيتك .. وأن يقبض الجمهور ثم تقوده هاء .. وأن ينتظر الآخرون ثم هداهم
أشياء أخرى غير الفناء .

وأحسنت هدى ه بأنه يفرها بمدة وقالت في شجتها المتوسلة :
« لماذا تحاول أن تفر حتى يا سلمى !! أنت تعرف أن لا أسمع أحداً أكثر من
صوتى .. وأن هؤلاء الذين يتحدث عنهم لا يحيطونى دائماً .. وأنها كانت ردة
دعوة حاولت أن أبى بها عملاً .

— وأنهية ؟

— تافشاهه .

— والنتيجة ؟

— عرض على عبد الرحيم أن أقوم بضممة أعلام وكان هذا يستدعى بقاءى في
مصر مدة طويلة فرفضت .

— عرض عليك العمل في الأفلام فقط ؟

— ماذا تقصد ؟

— سأل غير الجريدة الذى كتب أنه عرض عليك الارتباط به في الأفلام ..

وفى مجال آخر غير الأفلام .. وأنت ما رلت تفكرى .

وبدا الغضب على وجه هدى ه وتساءلت :

— هل كتبوا ذلك ؟

— أجل ..

— فى أى جريدة ؟

— لست أذكر .. أظنها جريدة الخير .

— السائل .. المنحط .

— أحدثت هذا ؟

ولم تجب هدى ه وبدا عليها الشroud ، وازداد انفعال ه سامى ه عندما

أحسن شرودها وقال فى حدة :

— لماذا لا تهيى ؟

وتنهت هدى ه وقالت فى نوع من الاستسلام :

— لا أحب أن أكذب عليك أبداً .. ولست أحسن أن أخطأت فى شيء .

لقد سألتى الرجل أن يقيم معى فى مصر .

— طلب رواجك ؟

— لقد كان أسمع من هذا .. لقد طلب منى ببساطة أن أكون عشيقته .

وأكد لى أنه سيمسح شقة مفروشة على الليل .. ومرتباً لثلاثة جنيه فى الشهر

وأحسن ه سامى ه كأن كفاً يلمعه وصنط صروحه قاتلاً فى سحرة ، وهو يحاول

أن يتألك نفسه :

— كل هذا فى محيط العمل طبعاً ؟

— لا داعى للسحرة .. لقد صدته .

— وسعيد الكرة بالطبع .. ما دام هناك مجال للعمل والتعاهد والدعوات ،

وما دام لا يرى فيك أكثر مما طلب .

وأحسنت هدى ه بأنه يصيق هيبا الخفاق ، وحاولت جهدها أن تقنوم

رغبها فى البكاء ، وقالت فى صوت خافت :

— لست أعرف ديبى فى كل ما حدث حتى أستحق صدك كل هذه

السحرة !!

— إنه ديب المجال الذى هيأته والطريقة التى تنصرفين بها معهم .. لو م

يحدثك الرجل مطمئناً .. لما جرؤ على مثل ما عرضت عييت .. وما جرؤ على ما

يتنوى عمله بعد ذلك .

— على أية حال .. لن أعطيه الفرصة حتى لمجرد لقائى أو الحديث معى
وسأرفض العمل معه مهما كان عرصه .. أيريمك هذا ؟
وهر رأسه فى قلق .. وبدا كأنه لا يستطيع الخلاص من الشكوك التى تلح
عليه

وعاد يقول :

— وعيره .. وعيره .. من كل هؤلاء المعجيين والمطاردين وأصحاب
الأعمال والعروض .

وتسألت : هدى : فى جزع وصيق :

— لماذا تقول كل هذا ؟ أنت تعرف أنى لا أسىء التصرف أبداً مع أحد ..
لأنى أحبك .. أنت تعرف جيداً كل ما أنعل

ولم يستطع : سامى : أن يصيد أعصابه فأنفلت صارخاً :

— كيف أعرف ؟! وأنا لا أراك إلا بضع ساعات فى آخر الليل !!

ولم تستطع : هدى : أن تكبت عصبها فقفزت من فوق حجره وجذبت
حقيبتها الملقاة على مصدرة صعيقة وأخرجت منها مفتاحاً قدفت به إليه صاحبة :

— حدد مفتاح الشقة . واحضر فى أى وقت تشاء لثرى ماذا أفعل .
والطبيب فى التيمون فى أى مكان أتوجه إليه لتأكد أنى هناك .. وأنى لا أسىء
التصرف .

وانهارت فوق الأريكة ودفت وجهها فى الوسادة واندمعت فى بوبة بكاء
عيفة .. وهى تصبح بصوتها المشنج بالبكاء :

— أنت تعرف أنى أحبك .. أحبك .. ولا أستطيع أن أخونك .. حتى لو
أردت .. ومع ذلك لا أعرف كيف أرحبك ولا كيف أطبعتك . وأنت بعد

عسى

وأحس : سامى : أن دموعها تذيب قلبه .. وكره من نفسه كل ذلك
الافعال والعصب والقسوة . وترك مقعده لم يرحل بجوارها أمام الأريكة .. ومد

يده لتحسس شعرها ووجهها ومس شعيتها المبلتين بالدمع بشفتيه . وصمها
إليه . وهو يهيم بها فى رقة :

— لا تبكى .. لم أكن أقصد أن أسبك قط .. لقد حطم الشك أعصابى ..
إن أحبك .. أحبك أكثر من أى شيء فى هذه الحياة .. هدى : .. حبيبى .

كنى بكاء .. لا تغشى على .. إلى أهدر عليك من كل شيء . لأنى أحبك .
ومدت : هدى : ذراعها فصمته إليها .. وأصاحت له مكاناً بجوارها على

الأريكة وهمت به :

— كيف أحق عليك .. يا أعر إنسان فى حياتى .. أنت حبيبى .. حبيبى

أعرف معنى أنك حبيبى !!

وصمها إليه ، وهو يهيم بها :

— أعرف .. لأنك حبيبى .

www.mlazna.com

^ RAYAHEEN ^

بين دراعيه .. لتتعم بدقائق أخرى من حياتهما المشتركة . التي لا تستطيع أن تمارسها إلا غمية بين جدران البيت .

ولكن رقدتهما لم تطل فقد ارتطم شيء فوق السقف . وبدأت تلك الدقات المزعجة التي توهم بأن الساكن العلوى يمارس مع زوجته نوعاً من المصارعة الحرة .. وأنها تدق رأسه أو يذل رأسها .

وتتملح « سامي » في رقدته وضح عليه ، ومدت « هدى » شفيتها تقبله في هدوء كما تقبل الأم ولدها اليقظان ليعاود نومه ، وضمتها « سامي » إليه وقبها في شوق .. وتساءل :

— يبدو أنني قد مت ؟ !

— أجل .. وكنت أود ألا أوقظك لولا أن « الثور » الذي يقطع العود الصوي قد بدأ صراعه مع زوجته .

— كم الساعة ؟

— الثامنة والثلاث .

— مرة واحدة ؟ لقد أنزف وقت دمايك !

وهم بأن يثب من الفراش ولكنها أسكت به :

— لا داعي للصجلة .. ما زال أمامي وقت كاف .

ونظر إليها « سامي » وهو يعاود الرقاد بجوارها .. ثم مد يده يتحسس شعرها وقد أسداه الرقاد وبهله العرق .. وقال صاحكاً :

— ضابعت التسريحة سدى

— فذاك ألف تسريحة .. فذاك رأسك كلها .

وضم رأسها إليه وقبل شعرها قليلاً :

— لا أظن شعرك في حاجة إلى جهد لتصفيفه .. يكفي أن تتركه يمتد به الهواء .. حتى يجعل منه أجمل الشعور .

وعاود النهوض من الفراش فأسكت به مسألة .

بعض الجلائل

رفعت « هدى » يدها في حذر لتبصر الساعة محاولة جهدها ألا توقظ « سامي » الذي أغمى فوق ذراعها الآخر ، ووجدت الساعة قد تجاوزت الثامنة يصبح دقائق .. فحفظت يدها بهذه وألصقت وجهها بوجهه .. وأحدثت نصت إلى أنفاسه تزداد في هدوء .. ثم أطلقت تنهيدة طويلة وتركت جسدها يسترخي بجوار جسده .

إنها تستطيع أن تنعم بمزيد من الرقاد بين أحضانها .

تستطيع أن تضيق إلى ملكيتها له . نصف ساعة أخرى . أو تعبير أدق .. تستطيع أن تضيق إلى حياتها البقية .. رماً أطول .. فقد كانت لا تحس بأنها تحيا .. وتعم بحياتها .. إلا إذا أحست بشركه في هذه الحياة .. وبأن هذه الشركة تتحد لنفسها المظاهر الطبيعية بين شركاء الحياة .. ومن أغص هذه المظاهر . الإعانة المريحة لكل منهما في أحضان الآخر .. والاستقرار الهادئ في البيت بلا عجلة ولا خوف من فراق .. ولم تكن تلك المظاهر لشركة الحياة بمستعصية عليها .. لأنها كانت تستطيع أن تمارسها بين جدران البيت الأربعة كلما سحت الفرصة بذلك .. وكانت شديدة الخرص على أن تنعم بها لأنها لم تستطع أن تمارس سواها خارج جدران البيت من المظاهر الواسعة للناس .. كالترهات والسهرات والمجلات .. وكانت تحس بالعراخ الكبير في حياتها العازلة .. تحس بصياحها بين الناس .. تحس بالحرمان والوحدة والوحشة مهما بلغ الصبح من حولها .

دنت ما جعلها تحرم على ألا توقظه . وعلى أن تعاود الرقاد في سكوت

— إلى أين ؟

— سأرتدى ملابسى .. أنا أعرف أنك لن تقول لى اذهب - ولو تركت
معى لقيت إلى آخر الليل ، ولكن يجب على أن أتركك تذهبين إلى موعدك
— إذن سأنتهى أنا لأرتدى ملابسى وأبقى أنت حتى أنتهى .. تستطيع أن
تتصرف ساعة أخرى سوياً .
وأجابها : سامى : ضاحكاً :

— على أية حال تجربة جديدة .. لأول مرة .. أبقى أنا فى الفراش وتذهبين
أنهى لارتداء ملابسك .. لا تنسى أن توقظى ليل أن تخرجى لكى أودعك على
الباب كما تعصين .

وجذب المعطاء على جسده واسترخى فى الفراش .

وبدأت « هدى » فى ارتداء ملابسها .

وأخذ « سامى » يشاهد عملية الارتداء كاملة لأمرة — غير والدته — لأول
مرة فى حياته .

ولم تكن العملية بالهينة . واستطاعت فعلاً أن تستغرق نصف الساعة التى
بدت له فى أول الأمر نوعاً من المبالغة .

وبدأت العملية بعد أن غسلت وجهها وأستأنتها ولغت شعرها بتلك المشاهد
المعدنية التى جعلت منه حقائق حقائق فوق رأسها ولغت بشبكة سوداء
وأخذت ترتدى ذلك الشيء الذى الجمالات الذى سبق أن رآه ملقى وحده على
المقعد فى ذلك الصباح والذى أبأته أنه يسمى « بالسيتر » . ثم جديست
لترتدى الجورب فى حذر وتشده من أعين إلى حمالات ذلك الشيء السابق
ذكره والمدالة على معدنها .. ثم وقفت أمام المرأة لتعيط جسدها بمشده
طويل صم وسطها وصدرها وأخذت ترزر مشابهة حتى شد جسدها وجعل منه
شيئاً أشبه بأسطوانة الحريق ثم لغته حتى استقرت المشابهة خلف ظهرها .
واستقر صدرها فى البروير المتخصص المعدن له .

ثم بدأت عملية حشر جسدها فى القمطان . عمية أشبه بعميات

التعليب .

وأخيراً أدخلت فى رسم الوجه .

ونظر « سامى » إلى سطح الترسية ليجد مجموعة من اللعب والأقلام ..
لم يستطيع أن يصر ما يمكن أن تعمل بكل منها .. فقد كان يعتقد أن أدوات الزينة
لا يمكن أن تزيد بحال من الأحوال عن ثلاثة أحمر الشفاة وأحمر الحدود
والبودرة .

ووثب من فراشه .. ليرى كيف تنتوى أن تستعمل كل هذه الأصابع
والعطب .. ووقف وراءها يحمل فى وجهها فى المرأة .

والعنيت إليه « هدى » قائلة .

— عد إلى مكانك .. لا أستطيع أن أرسم وجهى وأنا أراك تخلق فى
هكذا .

وربت ظهرها العارى قائلاً :

— هيا .. هيا .. لا تعطل نفسك .. إنى أود أن أعرف ماذا ستفعلن بكن
هنا ١٩

وبدأت تفرش على وجهها طبقة من الكريم .. ثم طبقة من البانكيك .
وأمسكت بأحد الأقلام السوداء المشبهة بالأقلام الرصاص ثم أخذت ترسم
حاجبيها .

وأمسكت بعريشة صغيرة .. تحر بها على رموشها .

وأمسكت بقلم آخر .. تخط به على جفنها الأعلى .

ورفع « سامى » كفيه وهو يحس بالمل واستدار ليرتدى ملابس .. وهو
يقول :

— ما كل هذا الذى أغرقت به وجهك ؟

ولم تجب « هدى » فقد كانت مغمكة فى الحسنة فى وجهها فى المرأة .

وأنت ارتداء ملابس .. وأنت هي رسم وجهها .. بكل ما فيه من حسنة
وخطوط .. ولم يبق إلا رسم شعنها بالأحمر .. وقبل أن ترفع الأصبع إلى شعنتي
هفت به :

— سامي ..

واستدار إليها وأقرب منها متاثلاً :

— ماذا تريدن ؟

ومدت ذراعها لتحتضنه قائلة :

— قبلني قبل أن أضيع الروح .

و لم يمد ذراعيه ونظر إلى وجهها نظرة فاحصة وقال ببساطة :

— لا أحب وجهك هكذا !

وتساقطت في دهشة :

— لماذا ؟

ورمقها بنظرة ضيق من أسفلها إلى أعلاها :

— لا أحب كل هذا الذي فضلت .. لا أحب وجهك المرسوم .. ولا أحب

ظهرك العاري ولا ثوبك المشدود إلى جسدي . إلى أحسن بأنك بخوفة أخرى ،

لا أملك فيها شيئاً ، بل تملكها جماهير الشرعيين والصالحين والمعارفين .

وعطفت هدى عاتبة :

— سامي . لا أحب أن تقول لي هذا . إلى ملكك دائماً ، كيفما كنت وأنها

كنت .

— لا أستطيع أن أتعب نفسي .. بأنك هذا الشكل .. ووسط كل هؤلاء

الناس . شيء خاص لي . إلى أحب بمرءة من كل هذه الأصابع .. أحب

وجهك العاري الحقيقي .. وأحب : رويدك : «رمادى الغصافير» .. أحسن

أنك هذا الشكل .. ملك لي وحدي .

واقتربت هدى منه بعد أن ألفت أصبح الأحمر على الترسمة وصمته إليها

وقبلته وهمت به :

— لا تقتل لي هذا . لا تنظمني .. لا تدعني أكره عمل وأكره الناس أكثر مما

بت أكرههم .. أنت تعرف أن ملكك دائماً .. وأني لم أحب أحداً كما أحببت .

وهمس سامي :

— آسف . إلى أحسن أن هذا الشكل يبعدك عني دائماً ولهذا لا أحب .. لأنني

أريدك دائماً بجوارى .

— صمسي إليك ولا تغل لي إنك لا تحبني أبداً .. إن هذه الكلمة تفرغني .

— إلى أحبك .. دائماً .

— إلى على استعداد لتصحية بكل شيء من أجلك .. على استعداد لأن أفعل

كل ما تأمرني به .. على استعداد لأن أخلع ملابسى وأبقى بجوارك إن أردت .

وصمها إليه وهمس بها :

— لم يلع في السخف هذا الحد .. كل ما أريده أن تكوني ذليلة في تصرفات

مع العير . وأن تصرف دائماً كأني بجوارك . وأن تكلمي عن لقاء هؤلاء الناس

تعرين أنهم لا يريدون منك غير اللهو والنمط ، كهذا الجسود الذي عرض عليك

الشقة والمزب .

وضمكت هدى قائلة :

— لا تخف علي . إلى أعرف كيف ألزم الناس حدودهم ، أؤكد لك أنه لن

يحاول أن يرى لي وجهاً بعد ذلك .

ولم تكن تنتهي من قوها حتى دق الجرس .. وأعدت هدى ، باللقطة ،

وبدت على وجهها الدهشة والوجوم . إنها لم تكن تتوقع أحداً .. النهم إلا إذا

كانت « الخياطة » قد أنهت « الفستان » وأرسلته لها كما وعدت .. أو ربما تكون

« هناء » قد خشيت ألا تحضر فأتت لأعطيها بحريتها .. أو ربما كان « رباح »

نفسه .. قد تعجل اللقاء .

وعاد الجرس يلقى .

وتسائل سامي :

— أنتظرين أحداً ؟

— لا .

— أتنبئين أن تفتحي ؟

— إلى حائرة .. فالور موقد ، ولا بد أن الطارق قد مير إلى ها .. لم حب أنا

أصر على البقاء ، ولا بد لنا من الخروج .

واقترعت من رجاء الساعدة وحاولت أن تلقى مطرة عن الثريات أمام الباب

وسألها سامي :

— عم تبحثين ؟

— عن عربة هاء .. لعلها هي الطارقة .

— هل وجدتها ؟

وهزت رأسها وهي تترك زجاج النافذة .. إنها لم تجد عربة هاء .. ولا عربة

رياح .

من يكون الطارق إذن ؟

وعاد الجرس يذق .

وقالت « هدى » وقد حومت أمرها وسارت تجاه الباب .

— عن أية حال لا بد أن أفتح .. فمن غير لنقول أن يحسنا هذا الأحق الذي

يأتي أن ينصرف طوال الليل .

وردت الباب ورامها قائلة .

— لعله لا يكون زائراً سخيفاً .

ووقف « سامي » يرقب الأضواء المتناثرة في الجبل من وراء الزجاج .. ولم

تظل غيبة « هدى » ، حتى فتحت الباب ووقفت تفهقه وهي تصرع كفاً بكف

متسائلة :

— من تظن ؟

— من ؟

وجذبتته من يده قائلة :

— تعال ..

وسارت به إلى حجرة الطعام لم وقفت تشير إلى لفافة بيضاء كبيرة وصعت

عن المائدة .

— ماذا تظن هذه اللفافة ؟

— كيف أعرف ؟

— تصور هذا الأحق السخيف .. يرسل هذا الجبل من الجبل من مجرد أن

فتت أني أعجبت به عندما تدوقه ذات مرة من الجبل الجديد الذي أمام

الرخا .

ولم يبد أن « سامي » قد أخذ المسألة يمثل هذا الاستخفاف فقد تسائل في

صيني .

— من هذا الأحق السخيف ؟

— عبد الرحيم .

ولم يجيب « سامي » بل أطلق نقطة الزومان إليها . وأخذت « هدى »

بالصبي الذي بدا على وجهه وبزومته الصامتة وتسايلت :

— ماذا بك ؟

— أهدأ .. ظننت فقط أنك جرفت كيف تلزمينه حده .

— أؤكد لك أني فعلت .

وأشار « سامي » إلى اللفافة متسائلاً في سخرية حفية .

— وهذه هي النتيجة ؟

— نتيجة سخافة .. لا نتيجة معامتي .

— وأي شيء يمكن أن يوقف سخافة إذا لم تكن معاملتك قد استطاعت . .

ورفعت « هدى » كفيها وقالت في حيرة

— لست أدري ماذا كنت أستطيع أن أفعل حتى أوقعه .

وبدت البعدة في صوت « سامي » وهو يقول :

— كنت تعذبني له هذه .

— ولكن ما دسب الصبي الذي حببها .. وإلى أين يذهب بها وهي توشك أن

تدوب ؟

— يعيدها إلى أهل .

— وما الفائدة وقد دفع الرجل ثمنها وانتهى !!

وعاد « سامي » يفتح في صيق متجهاً نحو الباب .. وأسرعت « هدى »

مجدته في لغة .

— إلى أين ؟

— إلى مكنتي .

— ولكن هل تعودت أن تصرف دون أن تضميني وتقول إنك تحبني ؟

ووقف « سامي » وعلامات الطيق على وجهه وصمها في برود قائلا :

— أحبك .

وبدت علامات الألم والصيق على وجه هدى وهتفت به .

— سامي . قل لي أي شيء مارا لي بهما يفتك .. يجب أن تصح حداً لكل عدم

السحافات . تؤكد لك أني على استعداد لأن أفعل كل ما تطليه .. أتحب أن أقذف

بها من البائدة .. أتم تحب أن أبحث عنه لأكس أجده .. وأقذف باللعانة على

رأسه ؟

ثم نظرت إلى اللعانة وأردت حانقة :

— أخيراً . حتى دون إعطائها لا يعرفه . كل هذا الجلاس . وهو يعلم أن

أعيش وحيدة .. لا عقل له معصفاً . ماذا يظن إن فاعلة به . سأفتح به دكاناً .

أم أوره على الجيران ؟! منتهى العبارة .

ورفعت « هدى » اللعانة بين يديها ثم ألقت بها على المصعدة قائلا في صيق

— احترت والله .. كان يجب ألا أكون حسنة التية .. وأن أقذف بها في

المطبخ . ثم أحرك عن الطارق بأى أكنوبة .. دون أن أجعلك تحس بجلاس

هذا المفضل

ولم يستطع « سامي » أن يمنع ضحكته .

وعادت « هدى » تقول في خبط :

— توبة إذا قبلت شيئاً من أحد .. سأصعب « أم حبيب » على الباب الخارجي

لتسأل كل داخل عما يحصله .. خشية أن يكون هدية لي .. أيرضيك هذا ؟

وجذبها « سامي » من يدها وصمها إليه قائلا :

— أنظفني سخيفاً إلى هذا الحد ؟!

وقالت وهي لتصل شفها بشفتيه :

— وأكثر . .

— لا أظن سحاتي تبدو إلا في حيك ..

— ومن أجل هذا أحب سحافتك .. ضمني إليك .

وصمها إلى صدره صمته العنمة .

وهستت به :

— أتحبني ؟!

وأجابها في صوته اللذائب :

— أحبك .. أحبك .

ورفعت « هدى » شفها عن شفته وعدت وجهها ابتسامة وتساءلت

مأزعة :

— حب ما قبل الجلاس .. أم بعد الجلاس ؟

وصحكت سامي قائلا .

— حب قبل الجلاس ..

وعادت « هدى » تقبله قائلة .

— إياك أن تقول لي أحبك كما قلتها بعد الجلاس إيا أشبه بلطمة أو بسنة

لا تغل لي احبك إلا وأنت تشعر بها .

— أحبك .. أهكذا يحبك ؟

— أجل .

وصحبها إليه صبة أخيرة وهما يقفان بجوار الباب . ثم مد يده وفتح الباب
وانساب إلى الخارج .

واحتواه الطريق .. وانجه بالعربة إلى المكعب .

وبدا دعه يستعيد .. ما خلفه وراءه . وأحد يسترجع كل ما دار من
مناقشات .. وما وقع من حوادث .

وأحس بالوساوس والشكوك تعاوده . وتستدرجه .. وحاول أن يقاومها
بمخافته .. فلم يستطع . رجاعات الويسكى التي تملأ البار . والمجعة

والبطارخ .. والشفقة لفروشة في القاهرة

وتحسس المفتاح الذي أعطته لعله يقاوم به الشكوك .

ولكنها تعرف أنه لا يستطيع أن يأق إليها في أي وقت ، إنه مرتبط بأعمال
ومواعيد . ثم إن بيتها ليس بملكان الوحيد الصالح للقاء .. إن هناك يوتهم هم .

وأحس بالدم يعل في عروقه .

وعادت الشكوك تناجمه .. من يذره أنها ذاهبة فعلا إلى عيد ميلاد
« هاء » ؟! لماذا لا تكون ذاهبة إلى « رياض عبد الناجم » معه ؟! بل ماذا يمنع

من أن تعود لتقضي السهرة في بيتها هي ؟

ماله هو وكل هذا !!

ما كان أفضاه عن الخوض في كل هذه الأحوال ؟

واستمرت الوسواس تنخر في ذهنه .

وكان مع « هدى » يستطيع مقاومة الوسواس . كانت أقدر على تخييصه
مها .. بمرط حبها له . وخوفها عليه . وإصرارها على أن تدفع عنه كل ما

يضايقه .

أما وحده . فقد أحس أنه يصل مع الوسواس في متاهات مرعبة

فداح مكان ..

جلست « عايدة » أمام مكتبها وقد شرد بها الدهس وتعلقت عينها بمذاعة
الكبروسين ترقب القطرات المتساقطة من مستودعها في رتبة كأنها دقائق

الساعة لا تني ولا تتعجل .

ودق جرس التليفون فرفعت السماعة وردت بإجابتها التقليدية على الأسئلة
التي ما فتئت تتردد منذ أن استقرت على مكتبها بعد الظهر :

— غير موجود .

— وأين مجده ؟

— لا أعرف

— ومتى سيأتي ؟

— في المساء .

— أية ساعة ؟

— لا أعرف بالضبط .

وكان « ساسي » بالطبع هو موضع الأسئلة .. ولم تلك كادبة حين رجعت
أنها لا تعرف متى سيأتي .. فهي لم تعد تعرف له في الأيام الأخيرة مواعيد

حضور ولا انصراف .. بعد أن كانت مواعيد من مرط تنظيمها ودقتها تكاد
تصطب عليها الساعة . لم تكن كادبة حين رجعت أنها لا تعرف له موعداً ..

ولكنها لم تكن صادقة حين رجعت أنها لا تعرف أين ذهب .. ولكنها لا
تجسر .. أن تقول .. حتى لنفسها .. كانت تكره أن تتصور أين ذهب .. ولم

تحاول أن تترك لدهنها الحداث في تبيحه ومطاردته

كانت تحاول جهدها ألا تجعل نفسها طرفاً في الموضوع .. وألا تدبر لمشاعرها فرصة للتدخل بالغيرة .. فقد كانت تخجل أن تعرض لنفسها حقاً موهوماً .. أو تمنحها مركزاً ليس له وجود إلا في ذهنها .

واستطاعت بالكثير من الترويض والإرادة والمقاومة ، أن تمنح نفسها مشاعرها .. وأن توقف قلبها — بالإكراه — موقف المحاييد .. ولكنها لم تستطع أن تمنع تلك المشاعر من أن تتعد لنفسها طريقاً جانبياً ، وأن تحول غيرة المرأة على رجلها إلى حشية « العابد » على صنمه .. وخوف التابع على سيده . وبدأت مظاهر ضيقها تزداد كلما انعكست علاقته الجديدة بالإعمال .. في عمله .. والإنساعة لسميته .

ولم تكن سهرته الليلية بعد انتهاء عمله .. تقضح غيبته .. وتكشف اعتنايه .. فلم يحد أحد أن يسأل عنه بعد الحادية عشرة ، وكان المعروف عليه إما أن يذهب إلى بيته .. أو يلتقي بعض الرملاء في مقر الحزب .

ولم يكن أحد يحس بأن تغييراً قد طرأ على حياته .. إلا « أمه » التي تعودت أن تسهر في انتظاره حتى يعود .. والتي لم تكن تفرص في غيابه الليلي الجديد إلا مريداً من العمل .. ولم تمنك « فايزة » إلا أن تؤكد لها اعتراضها حينما حدثتها ذات مرة عن إرهاق « سامي » لنفسه وفراط سهره في العمل خلال المدة الأخيرة .

كانت مواهبه الليلية في علاقته الجديدة لأن لا تقضح غيبته أو تؤثر كثيراً على عمله .. ولكن مواعيده بدأت تضطرب أحياناً .. بطريقة جعلت غيابه واضحاً .. وجعلتها تتخط في التماس المعادير أمام الناس .. عندما يتركها جاهلة .. أو على الأقل معروض أن تكون جاهلة — المكان المفروض أن يكون فيه .

وأعلنت « فايزة » تفحص التجارب المتراكمة أمامها والتي ينتظرها عمال المطبعة بعد أن يقرأها « سامي » ، ثم عادت ترقب المدفأة المعدنية اللامعة

التي أعدت تشع الدفء في الحجرة ، وبدأت تتبع مدخنتها الأسطوانية حتى السقف ، ثم عادت تستقر بصرها على قطرات الكيروسين التي تقطر كندقات الساعة .

ودق التليفون مرة أخرى .

ومدت « فايزة » يدها في استرخاء وملل لترفع الساعة وتلقى في فوهتها بإجابته المعتادة .

ولم يكن الصوت غريباً على أذنها .. كان صوت « هشام » وأبو « سامي » والطالب بكتابة الحقوق . وكانت تميز بسهولة لحرط شبهه بصوت سامي .

وهتف بها الصوت وقد بدا القلق جلياً في نبراته :

— آلو .. فايزة ؟

— نعم .. يا هشام .. أنا فايزة .

— مساء الخير .

— مساء النور .

— أستطيع أن أكلم سامي ؟

— سامي غير موجود .

— أين ذهب ؟

وبدا التردد على « فايزة » .. ولم تجد من الكياسة أن تقول لأخيه إنها لا تعرف أين ذهب .. فالمفروض أن يمسخها « سامي » من الثقة ما يجعلها تعرف دائماً أين يذهب .

وأجابته فايزة :

— لقد كانت لديه بعض أعمال هامة خرج لإنهائها .

— ألا تعرفين أين يكون الآن ؟

— بالبيط لا أعرف .. ولكنه لا بد أن يكون إما في مقر الحزب أو عند عبد

الوهاب بك .. فقد طلبه في الصباح .. ويجوز أن ..

— ألا تستطيعين الاتصال به ؟

— الآن ؟ .. ألا يمكنك الانتظار حتى ينظر ؟

— لا .. إن المسألة عاجلة .

— خير ؟!

— أفس متعة .. لقد أصابها نوبة القلق .. وهي تطلب أن تراه .. وأنا هل وحدي لا أدري ماذا أفعل .

وتلحكتها الاضطراب ولم تعرف ماذا تجيب .. علقروص أن مرضه أنه .. يحتم عليها أن تستدعيه من أي مكان تعرف أنه موجود به .. وقد قالت هي إنه إما في مقر الحرب أو في بيت عبد الوهاب بك .. وليس من العسير عليها أن تحصل عليه في أي منهما .

وعاد هشام يقطع ترددتها :

— اطليعي في أي مكان يكون به .. وقولي له إن « أمه » مريضة . وأنها تريد أن تراه

وكانت تعرف مدى معزة « أمه » عنده . وتعرف أنه لن يتردد في الذهاب إليها مهما كانت نغمة العمل الذي يقوم به .. ومن أجل هذا لم تستمع بحجة الثقة التي كان يستعملها أخوه في تأكيده بأن تطليعي في أي مكان .

أي مكان !

هل ينظر بها أن أخيه الذي يصعب من نفسه موضوع الأبطال ، والذي يجعل منه مثله الأعلى .

من ينظر ببال العصب وهو يطلب منها أن تطليعي من أي مكان .. حقيقة المكان الذي يوجد فيه ؟

هل يمكن أن ينصور « هشام » أن المكان الذي يستقر فيه مثله الأعلى هو حصن عابية ؟!

من طائف يده وهو يحدتها في لحظة الوثاقة أنه يطلب منها أن تنتزع أخاه من

حصان « هدى » في فراشها الدافئ ؟

ولم تعرف « فائزة » كيف تجيب .

وعاد « هشام » يلح :

— مستطفيه .. وتعلميه بمصر ؟

— أجل .. أجل .. سأبدل كل جهدي .

وصمتت برهة ثم قالت :

— ألم تستدع الطبيب ؟

— حاولت أن أطلب الدكتور شاكر .. فلم أجده .. ورقم الدكتور رشدي مشغول دائماً .. وأنا حائر جداً .

— اسمع يا هشام .. سأحضر إليك حالا لعل أكون أكثر مساعدة وأنا بجواركم .

أجل إن هذا خير ما تفعله

فهي بالتأكيد لن تستطيع العثور على « سامي » .

إنها تعرف مكانه . والعثور على رقم التليفون أمر عسير .. ولكنها لا تجرؤ على طلبه .

لا تجرؤ حتى على أن تعبر له أنها تعرف أين هو .. إنها لا تحب أن تفعله . أو تخرج شعوره . فهي تكره أن تبعث في نفسه أي إحساس بالعيب منها .

تكره أن تبتد ما بقي في نفسه عروها من أحاسيس طيبة .. فإن كانت علاقته الجديدة قد عصفت بالبنت الذي احضرت أوراثة يوماً ما .. فهي أحرص على أن تبقي جنوده « مة مستقرة » لعل أوراقتها تخضر من جديد . بعد أن عهدا فريح وتسكن العاصفة .

وإذا كانت عاجرة عن الاتصال به .. وإذا كان حضوره متروكا لنفسه — أو هدى — يدفعها به في أي وقت يخلو هما .. فإن وجودها في المكتب لن يحد شيئا . وأولى بها أن تدعك تكون بجوار « أمه » لعلها تستطيع أن تد يد العود لأخيه .

ودقت الحرس فحصر الفراش . وأحدث تكبب مدكرة قصوة « سامى »
تنبه بها بمرص « أمه » ويندعها إلى يته ، وتساءله الحضور بمجرد أن يصل إلى
المكتب .

وطوت الورقة ومدت يدها بها إلى الفراش قائلة :

— عندما يحضر الأستاذ سلمه هذه الورقة .

— أستر كين المكتب الآن ؟

— أجل .. سأذهب إلى بيت الأستاذ « سامى » لأن السيدة « أمه »
مریصة . وإذا سألت أحد عى أو عنه فى التليفون .. فاحصل منه عى اسمه
ورقمه .. وسأفضل أنا بك كل نصف ساعة .

— وإلام أنتظر ؟

— أنتظر حتى أطلب منك الانصراف .. وإذا حدث أمر هام . فاطلبى فى
بيت الأستاذ « سامى » .. مفهوم ؟

— أجل .

— ابق هنا بجوار التليفون .

وتناولت « فائزة » حقيبة يدها فى عجلة وهمت بالخروج عندما سمعت وقع
أقدام تقرب من الباب .. وتعلكها إحساس بالعراج الأرمه وهى تتوهم أن
« سامى » قد حضر .. ومدت يدها لتأخذ الورقة من الفراش ، وعندما دفع
الباب وبدا سليم بالباب وهو يتسهم عجباً :

— مساء الخير يا فائزة ؟

— مساء الخير .

— سامى موجود ؟

— لا .

وتسأله « سليم » فى دهشة واستنكار :

— لم يأت حتى الآن ؟

وهزت « فائزة » رأسها فى صيق قائلة :

— لا .

— كنت أريده فى بعض الأمور الهامة .

ونظر « سليم » إلى الساعة فى يده ثم هز رأسه قائلاً :

— لا أظنه سيتأخر أكثر من ذلك .. سأنتظره فى المكتب .

وقبل أن يخطو إلى داخل مكتب « سامى » استرعى انتباهه أن « فائزة » على
وشك الخروج فتوقف متسائلاً :

— إلى أين ؟

— سأذهب إلى بيت الأستاذ .

— أما زال فى البيت حتى الآن ؟

— لا .. سأذهب لرؤية والدته لأنها مریصة .

— من قال لك ؟

— هشام .

— وهو .. ألم يعرف بعد ؟

— لا ...

— ولكن .. ألم تستطعى إبلاغه ؟ أين هو ؟

ونظرت إليه « فائزة » فى صيق وهى تحس أنه يعرف أين هو .. وهزت كتفها
قائلة :

— لا أعرف .

— ها !

قالها سليم وكأنها يلعبها أنه يعرف أنها تعرف ثم تسأل :

— إذن كيف يمكن أن يجده ؟

— إنه لا بد عائد بين حطة وأخرى . وكنت قد كتبت ورقة لإبراهيم الفراش
لكى يسمح له .

— لا داعي للورقة . سأبقى هنا حتى يحضر . وسأخبره بما تريدني قوله .
— لا أريد أن أقول له أكثر من أن يحضر البيت .. وأنى سفته إلى هناك لعمري ؟
هشام .

— سأخبره بما تريدني .. ولى معه حديث آخر .. لا بد أن يقال .
ودخل « سليم » إلى مكتب « سامى » .. وانجهت « فائزة » إلى الخارج ،
لحملها التاكسى إلى بيت « سامى » .

وعبر التاكسى ميدان السبع بحرات .. لم انبه ميمياً في شارع بغداد ، واستقر
أمام البيت .

وصعدت « فائزة » الدرج . وقبل أن تصعد أصبحها على زر الحرس فتح
الباب وبدأ منه كهل أشيب طويل القامة .. وهذا حلمه « هشام » وهو يودعه
قائلاً :

— متشكراً يا دكتور .

— العفو . سأعود إليكم صباح الغد لأطمئن على الحالة . بلع سلامي إلى
الأستاذ « سامى » وقل له ألا يزعج ، فانسألة بسيطة .. وقد عملنا كل
الاحتياطات اللازمة . ونحن لا نحتاج أكثر من الراحة التامة .. لا داعي لأن
تبدل السيدة أى جهد .. حتى في الكلام

ومدت « فائزة » يدها لتحية الطبيب .. وقال « هشام » بتقديمها له .

— فائزة : سكرتيرة سامى .

— أهلاً وسهلاً .. وأين سامى ؟

— كانت لديه بضعة أعمال .

— أهم من أمه ؟

— لا .. لا .. لقد انتهى منها وهو في الطريق إليها .

— هذه مساوئ السياسة . تشغل أصحابها حتى عن أمر الناس لديهم
السياسة ؟!!

ولم تستطع « فائزة » أن تمنع نفسها من الصغف بأعراسها ، فقد كانت
وسيلتها الوحيدة لطحن غضبها المكبوت في باطنها .
بينما كانت السياسة .

ماذا يقولون لو أدر كوا الحقيقة ؟

وجازر جداً أن يدركوها في يوم ما .

وهبط الطبيب الدرج . ودلعت « فائزة » إلى الداخل .. وبدت الصالة
بأثاثها العتيق شيئاً مقبضاً .

لم يفكر « سامى » يوماً في أن يجدد الأثاث الذي عاش فيه أبوه .. ولم يدمه
أحد . لأن البيت لم يكن له موطناً .. ولم يخطر بهال أحد أن « سامى » يمكن أن
يستقر في البيت . أى بيت .. سوى هيبات الطعام وساعات النوم . لأن يومه
كان مشحوناً بالعمل .. كانت يقفنه كفاحاً مورعاً بين العريضة والحرب
واطمس البياض . والظاهرات ، والخطب ، والمشورات .

ولكنه الآن .. عرف كيف يستقر في مكان .. بلا كمام . ولا صجيج .
ولا صاحب

بل في هدوء واسترخاء .. على فراش لين . بين دراعين ناعمين .

ومضت « فائزة » من أمها عحة سحرية ومرارة . وشقت طريقها من
الصالة إلى حجرة الأم المريضة .

ولكن قبل أن تخطو في الداخل شرت بيد « هشام » تحذرها .. فتوقفت
وهتف بها « هشام » في صوت يشبه الحس :

— أريد أن أحدثك في أمر هام .

— الآن ؟

— أجل . قبل أن يحضر سامى .

وسار « هشام » إلى الممر المفضى إلى حجرة سامى . ثم توقف على باب
الحجرة . وعب « فائزة » طرف الغرشاء وحرباً من المكتب ، وغمت حوائج

هشام سيده فاستقر بها في الحجرة .

وبدا وجه الصبي على الصوء الشاحب التصلل من الصالة إلى المرح وقد كسبه
سيماء الحزن واليأس . وخيل إليها أن الصبي قد أفرغته سوبة الداء التي أصابت
« أمه » .. وهمت بأن تطمئنه عندما سبقها إلى الحديث قائلا :
— لقد تعاركت اليوم مع أحد الطلبة في الكلية .

وسألته في دهشة :

— ماذا ؟

— لأنه وصم أنني بكلام قدر

« وأحست » فائرة « كأن شيئا بارداً قد صب على رأسها ، وسألته في قلق :

— كلام قدر !! . كيف ؟

— قال إنه إنسان مجحل . وإنه منافق يدعى المثالية وهو يقصى الليل مخموراً
بين أحضان عشيقته .

وأحست « فائرة » باندم يتصاعد إلى وجهها وبصر وعي هتعت

— كدب .. وبتان .

— أنا أيضاً قلت هذا .. لكن عيظاً من الشك ساورني . وأنا أسألك عما

وعلا صوت الأم المريضة عتف :

— هشام .

وجذب هشام فائرة من يدها وهو يقول :

— نبي تقول لأحد ما قلته لك .

وأجابت فائرة

— لا تخف . ولا تجعل إيمانك به تزعزع الأبطالين .

نوع من العمان

هبط « سامي » من العربة والوساوس ما زالت تلاحقه والشكوك تطبق على
دهمه ، وعبر الباب المفضي إلى حجرة « فائرة » ليسألها عما حدث خلال
عيته ، ولكنه وجد مكتبها خالياً . فظن ترتب بعض الأوراق أو ترد على
التليفون المحاص في مكتبه ، فاتجه إلى باب حجراته .

ودفع الباب ليجد سليم قد استقر على المتعد الكبير بجوار المكتب وأعيد
يتصفح كتاباً في يده .

وصاح « سامي » في شيء من الدهشة :

— سليم !!! أهلاً .. أين فائرة ؟

ووضع « سليم » الكتاب جانباً وخلع سطراره ثم وضعه في جيبه ومد سابقه

في استرحاء قائلا :

— ذهبت إلى البيت .

— أيها شيء ؟

— ذهبت إلى بيتك أنت .. يا استاذ .

— بيتي أنا ؟ ولكني لم أكن في البيت .

— إنها تعرف ذلك .

— لماذا ذهبت إذن ؟

— لتري والدتي .

— والدتي ؟ . ماذا بها ؟

— أصابتها سوبة . واتصل بك هشام ها لتذهب إليها ، فلم يستطع أحد أن

يعترلك على أثر .

وبدا الاضطراب والضيق على وجه سامي ، وخطا تجاه الباب .. ثم عاد إلى التلعون .. وقد بدت عليه الحيرة وكأنه لا يدري ماذا يفعل . وأخذ يردد لنفسه :

— أصابته موبة .. لا بد أنها أجهدت نفسها في البيت .. لا تكف عن الحركة فيه . ولا تكف عن مناكفة الحدم ، إنها تأتي أن تتمتع بالنسب أو بالمرضى

ورفع سماعة التلعون ثم طلب رقم بيته .. وسمع صوت هشام يرد في لهفة :

— سامي .. أين أنت ؟

— في المكتب .. كيف حال أمك ؟

— إنها أفضل الآن ، طمأنأ الطبيب . و « هائرة » معا . لقد مرت بنا لحظات مزعجة ، ولكننا الآن على ما يرام .. ألم تحضر . إن أمي تريد أن تراك ؟

— سأتي حالا .

ووضع « سامي » السماعة وقد بدا عليه التردد .

وتذكر قوله لعبد الوهاب بك أنه لا يستطيع السفر لأن أمه مريضة ، وأنه يخشى أن يتركها وحيدة .

وكانما القدر الساحر أراد أن يحقق قوله .. وألا يورعه في نصف الكذبة التي ساقها معتدراً عن السفر

ولم يستطع أن يدفع عن نفسه ذلك الإحساس البدائي بمسؤوليته عن الوبة التي أصابته أمه .

وكره نفسه ، وكره السبب الذي دفعه إلى نصف الكذبة

ونظر إلى سليم قائلا -

— أرحوك يا سليم . إذا لم يكن عندك ما يشعلك أن تبقى في مكنتي وتشرف على أعمال الجريدة حتى آتي . اطلب التجارب وألق عليها نظرة ثم مرهم بالطبع ، وسأحاول جهدي أن أعود في أقرب وقت .. وإذا حدث شيء فاطلبني في التليفون .

وأجاب « سليم » وهو ما زال جالساً في مقعده جستة المسترخية :
— سأبقى حتى تنتهي الجريدة من الطباعة .. بس ددى ما عمله سوى أن أحدثك . وستطيع أن تؤجل الحديث إلى الغد . فلا تعجل العودة .

— متشكر الاحتاجية كنت قد بدأت كتابتها في الصباح

— لا تحمل همأ . سأكتبها أنا .

وقبل أن يتجه « سامي » إلى الباب اعتدل سليم وبهس واقعاً وهو يدي .
— سامي !!

— نعم .

— يضع كمادات قبل أن تنصرف .

— ما هي ؟

— أمسرور أنت من هذه الحال ؟

وبدا الضيق على وجه « سامي » وهو يقول :

— ستحدث في هذا بعد .

— أعلم هذا .. ولكنني سمعت أنك اعتذرت عن الذهاب إلى القاهرة

لحضور المجلة التحضيرية بمؤتمر التضامن فهل هذا صحيح ؟

وزاد الضيق بسامي وقال وهو يحاول أن ينهي الحديث :

— أجل

وأصمى « سليم » على سؤاله ما يستطيع من الدهشة والاستنكار .

— لماذا ؟

— بعدى .. سنتناقش في هذا

— أحقاً اضلرت بمرض والدتك ؟

— أجل .

— ولكنها لم تكن مريضة .. بالشكل الذى يستدعى وجودك إلى جوارها .

— وأجاب سامى فى حدة :

— ولكنها مرضت الآن .. لعل هذا يريحك .

— حتى مرضها الآن لا ينجدى فيه بقاؤك .

— كيف ؟

— لأنها عندما احتاجت إليك لم تجدك . ولا استطاع أحد أن يعثر عليك .

— ووقف سامى مواجهاً سليم ورمر رفرة حارة وقال له فى بأس :

— لمست أدرى ماذا تريد ؟

— أريد أن أوقفك عن هذا الاحتمار الذى تنزلق إليه

— أنا أعرف عطلاتى جيداً .

— أنت وانهم . إنك سمدع بلا وعى ولا تقدير إلى هاوية ستحطم كيانك .

— إن من حقى أن أختار الملحاً الذى أرتاح فيه .

— ولكن ليس من حقك أن تختار البؤرة التى تتردى فيها .

— أنا لا أضر أحداً .

— إنك تقضى على نفسك وعلى إيمان الناس بك .

— ذلك شئ خاص فى لا يهم أحداً .

— ليس للرجل العام .. شئ خاص .. وكل ما فعله بهم كل الناس .. سواء

كانوا خصوماً يترصون بك .. أم انصاراً يؤمنون بك .

— وساد الصمت برهة وعاد سليم يقول فى حدة .

— لمست أدرى لماذا يوقعتك القدر فى هذه المخلوقة بالذات .

— ما عا هذه المخلوقة بالذات ؟ كل ما قلته عنها .. أثبت الرمز أنه هراء ..

قلت فى إنها بلا قلب .. فلم أجد أرق منها شعوراً ولا أطيب قلباً . قلت إنها ممتعة

لا تعرف الحب .. فلم أجد منها طوال عشرينى لها .. إلا الحب والإخلاص .

— إخلاص ؟! أى إخلاص هذا ؟! أتسمى كل هذه العلاقات التى يتحدث

عنها الناس .. إخلاصاً ؟!

— أية علاقات ؟

— علاقتها مع رياض عبد الدائم .

— لم يعد بينها وبينه أى شئ .

— بل عاد إليها بعد فترة من التقطعة ، وستسهر هذه الليلة .

— وأحس سامى : كأنه قد تلقى لكمة عيفة . وازدرد ريقه .. وانفط

أنفاسه قبل أن يتساقط فى صوت خافت :

— ومن أياك ؟!

— فزاد .. سيسهر عبد رياض الليلة .. وستحى لهم وصاحبتك ، السهرة

حتى الصباح ، وقد سألتى ساحراً أن أتعصل ، وإسى أستطيع أن أدعوك .

أتريد أن نذهب سوياً ؟

— وأطلق سامى زفرة ضيق ثم قال فى صوت خافت :

— كفى سفرة .

— لمست أدرى كيف تظلم نحيى حياتها هذه . الشقة العاصفة .. والعرية

الأهنية .. والنياب الرائعة .. والولام التى لا تنقطع .. أنطى حقاً أن أجراها من

المسرح يكفى كل هذا ! أم تظن الألف ليلة التى اقترعتها فتدفعها لها .. هى التى

ستسد حاجتها ؟!

— لقد كانت فعلاً فى أزمة .

— طبعاً . لا بد أن توهك أنها فى أزمة . حتى تقطع تساؤلك عن

مواردها .. إن لها رصيداً فى البنك يجعلها تعيش فى رخاء حتى آخر العمر . أم

تسمع عن الشيك الذى صرفته باسم أحد الأكرباء من متحى السبيا ؟

— شيك ؟!

— أجل .. شيك بمائة ألف ليرة .

— كلام فارغ .

— بل كلام حقيقي ، لقد نشرته صحيفة النهار .. تحت خبر أن مطربة هاتنة صرعت شيكاً من بنك سورية باسم أحد منتجي السببا ، بمبلغ مائة ألف ليرة ، وقال في مذنب الصحيفة إن المطربة هي « هائل » .

— والمنتج ؟

— قال لي اسماً أطلقه عبد الرحيم أو عبد الرحمن لا أذكر .

ومرة أخرى أحس « سامي » أنه يتلقى صدمة على الحد الآخر . وتغللك شعور بالكره لمن حوله .

ولم يملك إلا أن يردد قوله في غير وعي :

— كلام فارغ ؟

ثم يولى « سليم » ظهره ويقتاد الحجرة .

أجل .. كلام فارغ .

هذه الحياة كلها كلام فارغ .

إذا كانت « هدى » قد استطاعت أن تجدعه كل هذا الخداع .

فلا شيء في الحياة يستحق الاعتبار .

لقد أوهمته أن علاقتهما برصاص قد انقطعت .. وأن دهبها لليلة لم يكن سوى تلبية لدعوة « هاء » في عيد ميلادها .. ولم يخطر بباله أنها ستحس سيرة يدعو إليها برصاص كل معارضة وأصحابه .

وأوهمته أيضاً أنها قد صدمت عبد الرحيم صداماً نهائياً . وأنها رفضت دعوة الرجل الوحيدة .. وقطعت عليه كل سبيل إليها .. ثم يسمع بعد ذلك أنها تتلقى منه مئتين مائة ألف ليرة . دون أن يكون بينهما أي نوع من ارتباطات العمل .

ولكن ماذا يصدق كل هذا ؟! ألا يتصل أن يكون مجرد إشاعة كاذبة ؟! لماذا يمدحها الرجل مائة ألف ليرة ؟!

ثم ألم تخبره هي بنفسها أنها ذاهبة إلى عيد ميلاد « هاء » .. وطبيعي أنها ستعني لها في الاحتفال .. ودعوة رصاص للناس في الاحتفال لا يمكن أن يكون دهباً هي .

وعادت الأفكار تصارع في دهنه .. طوال الطريق إلى البيت . حتى توقفت به العربة .. ثم اندفع يصعد درجات السلم ورأسه أشبه بحر يهدر في أمواج متلاطمة من الشكوك والرهب .

واجترأ باب الشقة . وأحس بأعنيه « هشام » ينقاه في لجة .. وهو يحاول طمأنته على أمه قائلاً :

— الحمد لله سليمة . قال الدكتور أنه ليس هناك ما يدعو إلى القلق وأن كل ما يطلبه هو أن تستريح راحة تامة .

واتجه « سامي » إلى حجرة أمه .. ورأسه مثقل بكل ما بيعت على القلق والصيق . ولقته « أمه » بائسامة فرحة .. وكأنها حمل إليها نصف الشعاع .

وانحنى « سامي » عليها يقبلها وهتفت به :

— لست أدري ، لماذا أكره أن أموت وأنت بعيد عني .

— أبعد الله عنك الشر .. لماذا تنطق بهذه السورة .. إنك في غير حال .

— لو رأيته منذ نصف ساعة .. لما قلت هذه الكلمة .. لقد كنت والأموات سواء ، وكان كل ما أفنأه أن أراك بجانبتي .

وأفصحته له مكاناً بجوارها .. وحس « سامي » على حافة الفراش وهو يقول :

— عسى أن تكوني قد أخذت درساً هذه المرة .. وألا تعودى إلى إرهابي صلك بالبيت والخدم .

وسمع « سامي » صوت « قايرة » تقول :

— لقد قلت ها إلى على استعداد لأن أريحها من هذه البيت .

ولم يكن قد أحس بوجودها حتى هذه اللحظة والتفت إليها واستغرق في دهشة .

— أنت هنا يا فائزة؟! لقد شغلني أمي عنك .. فلم أسلم عليك .
ترهقك معناتنا دائماً .

وقالت « فائزة » عاتبة :

— كيف ترهقوني .. وأنا أحسن أنها أمي أنا !

وابتسمت الأم المريضة في سعادة وأجابته :

— أنا أيضاً أحسن أنك ابنتي .

والظفت إلى « سامي » قائلة :

— إلى أحسن دائماً بالطعامينة على سامي .. مادمت معه

وأحدثت تتأمل بركة في وجه « سامي » ثم قالت :

— يبدو عليك الحزال والشحوب .. أما لهذا العمل المرهق الذي تعمله من

آخر ! إنك لا تعطي لنفسك حقها من الراحة . ولم تعد تسمع كلامي عندما

أطلب منك أن ترتع نفسك .. لو أن لك زوجة لعرفت كيف تلزمك بالانتظام في

حياتك .. تسهر كل يوم حتى الساعة الثالثة أو الرابعة . لئلا زوجة يمكن أن

ترصي هذه الحياة !!

وأطلق « سامي » ضحكة قصيرة ساخرة وقال :

— ما لنا الآن وللزوجة . ما زال الوقت مبكراً على الزواج !!

— كبرت يا سامي .. تزوجني أبوك وهو في الخامسة والعشرين ، وكنت

أنت في العاشرة عندما كان هو في سنك .

— كان زمينكم .. زماً آخر .. يتزوج الصبي قبل أن يبلغ الرشد .

— ليتني أرى أولادك قبل أن أموت .

— عدنا إلى سيرة ثلوث مرة أخرى !

ونظرت الأم إلى فائزة وأحدثت رفقها بمطربة إعجاب وقالت :

— وغفك الله إلى بنت الحلال التي ترعاك وتعلمك كيف ترتع نفسك ..

وتصون شبابك

وأحست « فائزة » بشيء من الحرج . وتعلمت « سامي » في موضعه ثم
بعض قائلها :

— لا بد أن أعود إلى الجريدة حتى ألقى نظرة عليها قبل الطبع .

وتساقطت الأم في ضيق :

— ألا ترتع جسدك ! أترك الجريدة ليلة واحدة !

وقال « سامي » في ضيق :

— كيف أتركها وأنا مسفول عنها ؟

وبهتت « فائزة » تصالح الأم مودعة وهو تقول :

— إلى تحت أسرك في كل لحظة .. قولي لشمام أن يطلبن في أي وقت نحتاجين

إلي .

وربتت الأم على ظهرها وهي تضحك :

— غدي بالك من سامي .

— في عيني .

— تسلم عبيك يا ابنتي .

وكره « سامي » كل هذه التوصيات من « أمه » التي تبديها كأنه طفل مارال

في حاجة إلى رعاية .

ورعاية من ؟

« فائزة » التي يمس دائماً بأبها هي نفسها في حاجة إلى رعاية .

واندفع « سامي » إلى الطريق .

وسارت به العربة وبجواره « فائزة » .. وضح الناعدة . وتلفى الريح الباردة

على وجهه الذي أحس به حرارة المصوم ، وملاً صدره بالهواء في شهيق طويل ،

ثم أخرجه في زفرة حارة .

وعادت الأفكار تتصارع في رأسه مرة أخرى .

وكنت تدور حول « هدى » .. بكل ما يحيط بها من شكوك وانباتات

مباشرة وغير مباشرة . من هم « سبيع » ومن نظرات « فائزة » ، ومن حديث « أمه » .. ولومها له على السهر والحياة غير المنتظمة

كل الظروف تقف في وجهه همدى .

أترأه فعلا .. خاطي ؟ !

وأى نوع من الخطايا ؟

خطيئة .. لا يمكن أن تقاوم ..

عدا سيدهب ليرغى بين أحضانها .. ويهدب أنفاسها في أنفاسه .. ويص

بأثرجة الكبرى من هاء متاعبه وأشجانه بين دراعها

أجل .. لا بد من عمل عيب . لاستصالتها من نفسه .. إذا فكر فعلا في

استصالتها

وأمامه فرصة السعر إلى القاهرة . والغية قد تطول .. وسيجد نفسه مرعوبا

على البعد والقطيعة .. ويصبح استصالتها حينذاك أكثر احتمالا

أجل .. أجل .. لماذا لا يسافر ؟

ووصل إلى الجديدة . وتدفع بإشرار أعماله يدهى غائب .. ونفس مبرورة .

وفي الصباح استيقظ وهو يحس بالآس ينقل نفسه والحر يسرى في كياه

لقد عزم على أن يبيع نفسه فرصة القطيعة بهذا السعر .. وصمم أن يصحب

بالسفر دون أن يراها . وأن يتحدثها في التليفون حتى لا يمسحها فرصة مقاومته ..

يدعوها وحبا .

إنها على أية حال .. علاقة لا يمكن أن تستمر

إنها علاقة لا تقوم إلا على الحب وحده .

والحب فيما يبدو له .. لا يمكن أن يكون العماد الوحيد للارتباط بين الناس في

هذه الحياة .. المنيعة بالمشاكل والسعد بالقيود والأغلال .

وكان أول ما فعله عندما استقر عن مقعده في المكتب هو أن أمسك بالساعة

وراح يدير القرص برقمها

كان يريد أن يسمع صوتها .. لعله يخرج من كل هذه المصوم التي أثقل نفسه

ها . وكان يرسم في ذهنه كيف ستلور المحادثة .. كيف سيخبرها أنه

سيسافر ! وكيف سترد عليه في دهول وحمية ؟ ! وكيف سيحبس صوتها ثم

ترجوه متوسلة أن يحرص إليها ! ! وكيف سيرك الساعة ثم يندفع ليرغى بين

أحضانها !

يمثل هذا الترتيب رسم ذهنه المحادثة .. وحاول أن يهرعه عن هذا التفكير

النصبي .. ويؤكد لها أنه لم يطلب « هدى » إلا ليخبرها بسفره إلى القاهرة ..

ويلقى عليها نعمة الوداع .

وطال دق اجرس .. دون أن يجيب أحد . وقطع « سامي » سلسلة

أفكاره .. وعاد ليدبر القرص مرة أخرى معتقدا أنه أخطأ الرقم

ومع ذلك استمر الجرس يندق دون مجيب

ومرة أخرى وصح الساعة وعاد يدبر القرص عمتي الحذر ، وعاد الجرس

يندق .. وما من مجيب .

وصح « سامي » الساعة ، وأحدث الدماء تعل في عروقه

أترأها ما زالت تالمة ؟

لماذا إذا لا تردده أم حبيب ؟ !

قد تكون « البريرة » متروعه .. حتى لا يقلفها أحد .. ولكنها لا تفعل ذلك

إلا وهو بين أحضانها .. حتى لا يضايقهما متطفل .

أترأها .. تفعل الآن ذلك ؟ !

أترأها . تكبره أن يقطع مخلوطها متطفل .. حتى ولو كان هو ؟ !

أم ترأها لم تست لبيتها بالدار . وصرفت الخدم وتركت الدار خالية ؟

وفي حركة عصبية رفع الساعة وعاد يدبر القرص . واستمر الجرس

يندق حتى وصح الساعة مكانها في صف كاد يحطم التليفون .

وتحملكه اليأس . وأحس بأنه لن يبرئمه إلا أن يذهب إلى البيت ليرها .

ويكتشف الحقيقة .

ونحس المفتاح في جيبه .. وهم بالخروج عند ماذق حرس التليفون .

ومد يده فرفع الساعة في لغة .. وم يسمع صوت « هدى » ، ولكنه سمع

صوت « أم حبيب » ، يهتف « آلو » ..

وقبل أن تسترسل المحور في حديثها سأها في لغة :

— أين الست هدى ؟

وفوجئ بالمعجوز تنبيه في صوتها المتحشرج :

— نحن في المستشفى . وهي تنتظر الدخول في غرفة العمليات . وقدم

حاولت أن تجد ذلك فلم تكن في مكثت .. وطلبت مني وهي في طريقها إلى غرفة

العمليات أن أتبع بالخبر .

ومضت برهة قبل أن يستطیع « سامي » أن يهالك أنفاسه ويخرج صوته

الخيوس يهتف في دهور :

— هدى في المستشفى ؟ ماذا ؟

— لقد أصبحت بومة مرارة وهي في بيت الست « هاء » ليلة أمس ، وحموها

من هناك إلى المستشفى وقد خلقت بها إلى هنا بعد أن أصبر الأطباء على أن تجري لها

العملية .. اليوم .

وأخذ « سامي » يردد في وجبة .. وهو نفس يمدى ظلمه هدى ومدى حبه

ها .. وخوفه عليها :

— في طريقها إلى غرفة العمليات !؟ أستجری العملية الآن ؟

— أجل .

وبغير وهي وجد نفسه يقول :

— سأحضر لها حالا .

وردت المحور قائلة :

— لا داعي لخسورك الآن سيكون بعض المعارف والصحيين موجودين

وهي تريد أن تجتلك أقوالهم .. إنها ستطلبك بمجرد أن تهيق من البحر .

ووصفت المحور الساعة .. ونهار « سامي » على مقعده بجوار التليفون .

وأغمض عينيه ، وأرغى جسده ، كأنما قد جرى شوطاً مرهقاً .. وأحس

بحس شديد إلى « هدى » .. وكره أن يتركها وحدها في شدتها ، ونسى لو

استطاع أن يصمها إليه .. ويتحسس شفتيا بشمته .. قبل أن تسترق في عيوبه

الغدر .

وبعد برهة قام إلى مكتبه وحاول أن يفعل شيئاً .. أن يكتب أو يقرأ .. أو

يتحدث في التليفون .. فأحس بالعجز المطلق .

لم يطلع إلا في أن يجلس مشدود الأعصاب .. معنق النظرات بجهاز التليفون .

ونظر إلى الساعة .. وأخذ يحسب كم دقيقة تستغرق العملية .. وبدأ يرقب

العقرب في حركته البطيئة .

ودخلت عليه « غايّة » لتسأله شيئاً .. فرجاها أن توجل كل ما تريد إلى

عد ، وطلب ألا توصله في التليفون بأحد وألا تدخل عليه أحنأ .

وخرجت « غايّة » وقد تملكها إحساس باللوعة والحزن وهي تراه في أزمته

دون أن تعرف لها سبباً .

ومضى الوقت بطيئاً ثقيلأ .. وكلما دق حرس التليفون وثب إليه .. فلا

يكاد يسمع صوتاً آخر حتى يهيه الصيق وينس الهادئة في كلمات قلائل .

وأخيراً .. وأخيراً ..

وبعد أن عيل إليه أن عمليات المرعى جميعاً قد انتهت .

دق الجرس .

ومرة أخرى لم يسمع صوتها .. بل صوت « أم حبيب » وهي تقول له

والدموع تحتفها :

— سيدى سامي .

— كيف حال هدى .. يا أم حبيب ؟

— لقد أفاق من البسج وهو تريك .

— حالا .. سأل إليها .

و لم يعرفه سامي . كيف وصل إلى المستشفى .. ولكن الذي يعرفه أنه بعد
بضع لوان كان يقف بجانب الحجرة وهو يحاول أن يلتقط أنفاسه ، ودفع الباب
رفق . وحاول أن يعود بمصره على طلام الحجرة .. ولحح « أم حبيب » بمروحه
إلى الباب لتستقبله .. وكانت الحجرة عالية .. إلا أن المعجور الباكية ، والحصل
المسجي على الفراش ، والرائحة البسج غلغل الجو .

والقرب « سامي » وهو يرتجف . ووقف أمامها برهة وهي مغمض
العينين .. ومسم بها في صوت ملؤه الحزن :

— هدى .

وهتعت عبيها . ومضت برهة . وطرأتها جامدة لا تعبر عن شيء
وأخيراً بدأ يريق دموعه . ولاح على شفتيها شبح ابتسامة .

ومدت ذراعها وهتفت :

— سامي .

وانحنى عليها في رفق وصنع شفتيه على شفتيها .. وملأت حياشيمه رائحة
البسج .. ولكنه لم يهضم بها بل استمر ملتصقاً شفتيه بشفتيها وهو يهيس :

— سلامتك يا حبيبتي .. سلامتك .

وقدر ما سمحت قواها صمته إليها ، وهمت له :

— أحيك .. لا أريد من هذه الدنيا سواك .

وصنع صوت المعجور الواقعة في آخر الحجرة وهي تقول باكياً :

— لم تنطق في هدهان المخدر بغير اسمك .. لبتك تعرف كم تحبك .. هذه

المجنونة

سبع صفحات

وقف « سامي » بجوار « هدى » وقد أرخت يدها في كفه واستسلمت
لرغبة غيبوبة أطعأت بريق عبيها وأثقلت جفونها وأغمست وجهها كأنها
السحابة الداكنة تمر بوجه الشمس .

وانحنى « سامي » على الوجه المعنى ، وعاد يمس العم المطبق بشفتيه في
خشية وإشفاق .

وجدبتها مسة شفتيه من أغوار الغيبوبة ويدت كأنها تقاوم أثقال المخدر
تنطقو إلى وجه البقطة . وأحدث السحابة الداكنة تشقشع عن قسماتها

وهتعت جميعها المتفلس في بطنه . وما لبثت حتى ارتسنت البسة الحاية
على شفتيها وعادت تردد بصوتها الواهي :

— سامي !!

ولم يستطع « سامي » أن يقاوم رغبته الشديدة في صمها ، فأحاط كعبيها
بذراعيه وألصق وجهها بوجهه حتى ملأت رائحة المخدر صدره .

وهمت « هدى » به وهي تحاول أن تقاوم رغبتيها في الاستسلام لصمته :

— ابتعد .. حتى لا تضايقت رائحة المخدر .

وزاد « سامي » من صمها إلى صدره :

— يا حبيبتي . إني أحيك . أحب إليك كل شيء . حتى المخدر .

واتسعت الابتسامة على شفتيها . وراد الريق في عبيها .. ومدت يدها
فأحدثت تعبت بأصابعها في شعره كما تعودت أن تفعل وهي قابعة في حجره
أمام البادة العريضة .. وقالت في نبرات حالمة :

— لو تدرى كم كنت فى حاجة إليك وأنا فى طريقى إلى حجرة العمليات !
— لو تدرى أنت كم كنت أتعذب وأنا جالس فى حجرى .. عاجز عن أن
أراك أو أصمت أو أعيك فى محتك .. لقد كرهت كل شيء .. كرهت كل
ما يسبب حرماتى منك .. وبعدى هناك .

ونظرت إليه « هدى » وبدأت كأن القيوبة توشك أن تعاودها . وأخذت
تقاومها .. وقد تعلقت نظراتها به .. كما يمتص العريق بفارب السجاة .
وهمست به :

— لم يكن يخفى من الموت سوى حرماتى منك . كنت أود أن أعيش
لأراك ثانية .. كنت ..

وتعثرت الكلمات على شفتيها .. ولم تستطع لهنها على أن تعصى
بمشاعرها أن تتغلب على الصعب الذى يرخى أطرافها ويحمد وعيها .
وصمتت وهى تلهث . وأخرجت لسانها ليل به شفتيها ، وهتف بها
سامى :

— كفى حديثاً .. لا تجهدى نفسك

ونظرت إليه .. نظرات مرهقة .. وأشارت إليه أن يجلس .
وجذب « سامى » مقعداً وجلس بجوارها .. وقد أسك بكفها ..
ومصت فرة صمت . تعلق بصر كل منهما بالآخر . هو يظفراته الحادة
الذهبي .. وهى يظفراتها المكشوفة التى تحبو تارة وتبرق تارة كأنها الشمعة فى
مهب السهم توشك — لولا مقاومة الحب — أن تطفئها هبات القيوبة .

وسمع صرير ثياب دى المعصل الدائرى والتمت « سامى » لهرى
الطارق .. فلمح إحدى المعصرات مقبلة على الفراش . فأرعى يده التى
تسك يد « هدى » .. وسمحت المعصرة حركته . وأمسكت باليد
الممدودة على الفراش تجس بصبها . وانهمست لهدى متسائلة :

— كيف الحال الآن ؟

وهزت « هدى » رأسها فرة خفيفة ، وحاولت أن ترسم ابتسامة على
شفتيها .. وهمست بقدر ما يسمح لها ضعفها :

— الحمد لله .

ولم يحاول « سامى » أن ينظر إلى المعرصة . كان يحس دائماً بقلق من
الناس ... ولم يحد من قبل أن يراها إلا وهما قابعان بين جدران بيتها . وكان
يتعجل فى نفسه انصراف المعرصة .

وتكن المعرصة لم تنصرف .. بل بدت كأنها تعتمد التسكع ، وأحس بأنها
تتظر إليه .. ولم يستطع أن يبع بصره من مواجهتها .

وانهمست المعرصة ابتسامة ترحيب ومعرفة وقالت فى شيء من العرعة
— الأستاذ سامى ؟

وأحس « سامى » رأسه محبباً وهو يحس كأن وصيماً . تشير إليه بالاعلام .
وقال وهو يحاول أن يرد ابتسامتها :

— أجل .

— مرصة سعيدة جداً أن ألقاك . إني من أشد المعجبات بمقالاتك
وأحاديثك .

ولم يعرف « سامى » حج بحبيب .
ولا استطاعت فرحة المعرصة بالمصير به . والتمحصر له .. أن تعب
شبهه .. بأن إنساناً ما قد عرفه فى مجال مرتبط بهدى . بكل ما يحتمل أن يتبع
هذه المعرفة من الأقوال وإشاعات .

وتعنتت شفتاه بكلمة « متشكر » بطريقة جامدة لم تستطع حريره وضيقة أن
تسحه القشرة على أن يتفوه بخير منها .

ولكن حماس الفتاة غلب حموده .. فلم تأبه له .. واندمعت تقول :

— إني متفوعة فى المقاومة الشعبية . وسعد كل متحد تحذله نفسه بالعدوان
عليها .

وأجاب سامي :

— لم يمسر أحد على العدوان عليا . ما دامت فيها هذه الروح المنوثة ..
التي أراها منك .
— إنكم ههنا في الكفاح .

ولم يعرف سامي كيف يمكن أن يوقف نوبة الحساسية التي شاضت
بالفتاة .. والتي تريد من إحساسه بالحرج لحظة بعد لحظة .
ولم يمتد إلا أن يصمت .. لعل الفتاة تنهى حديثها وتنتصرف ، ولكن الفتاة
عادت تنظر إليه بإعجاب قائلة :

— هل أنت صديق السيدة هدى ؟

وأحس سامي غميد من حرج من السؤال رغم التيسرة التي ألقى بها .
وقال وهو يرسم ابتسامة على شفتيه :

— ومن منا ليس صديقاً لهدى !

— معك حق .. إنها حبيبتنا جميعاً .

واتسمت هدى ابتسامة شاكرة .. باهتة .

وتحركت المرأة لتتصرف .. قائلة :

— إنها فرصة طيبة أن تراك خلال فترة وجود السيدة هدى .. عذرا في
الاستعشى .. أو كذلك أن رحلتني سيحسبني على أني لقيتكم .
إذن فالخير . لم يقف عند حد الفتاة وحدها .. بل سيتعداها إلى جميع
المرحلات .

وكانت هدى أدرى غبورات الله بما يمكن أن يقول في دهس سامي ..
وبالطريقة التي يعكس بها أي حدث من الأحداث على نفسه

وأدركت .. مدى صيقه بمعرفة المرحلة به . وتأثير حديثها المصعب في
نفسه .

وعذرتة فيما يمكن أن يحس به من ضيق .. فقد كانت هي نفسها أشد

صيفاً .. لأنها كانت أكثر مه حرصاً على ستر علاقتهما . حتى لا تتعرض
لضائعات .. قد تكون سبباً في أن تؤدي بها .

ونظرت إليه هدى واتسمت قائلة :

— أظن من الخير أن نتصرف .

وأحس سامي فعلاً أن من الخير أن يتصرف .. وأن وجوده في مثل هذا
الوقت بجوارها أمر غير مقبول .

ولكنه لم يتصور كيف يمكن أن يتركها وحدها وهي في مثل هذه الحالة .
لقد كان يشعر في أعماقه أن وضعه الطبيعي في مرضها هو أن يبقى بجوارها .. لا
يعارضها إلا ربما يؤدي ما يتحتم عليه تأديته من الأعمال ، ثم يعود ليجلس
بجوارها ، يتحدثها ويحس عليها .

ومد يده ليمسك كفها ويصطط عليه في حنان .

وعادت هي تقول في إلحاح :

— قم يا سامي . ليس من العقل أو الصواب أن يطول بقاؤك هنا

— ولكنني أحس أني يجب أن أستقر بجوارك .

ونظرت إليه في وله وأجابت :

— أعرف هذا يا حبيب . أعرفه جيداً . ولكن يجب أن نتصرف

— وددت لو أحصروا لي مرشداً آخر أو أرى مكاناً للآرامك طول مرحتك .

إلى آخره فراقك .. وأتوق إلى وضعك في صندري .

— سفعك هذا بمجرد أن أعود إلى البيت .. عندما تصابح جرحك .. سمعك

كل ما تريد .. ولكن يجب أن نكون الآن على حذر .

وقبل أن يجيب صبح صرير الباب .. ودخلت أم حبيب التي تعمدت

أن تعادر الحجر بمجرد أن استقر سامي بجوار هدى

وأقبلت أم حبيب تنهأ في بطلانها الثقيلة . ومدت يدها ببطء إلى

هدى قائلة :

— الرجل الثقيل .. الذى يحمل في « الجرجال » حصر ومعه مصور
وقال إنه يريد أن يصورك على فراش المرض .
وتناول سامى البطاقة وقرأ الاسم الذى بها :
— عبد الجواد حمدان .. جريدة الخير .
وهتفت « هدى » بقدر ما يسمح لها ضعفتها :
— يا لطيف !!
وعاد « سامى » يتسائل في دهشة :
— تقولين إنه حصر ومعه مصور ؟
« أجل » وعندما فنت له إنها ما زالت مستعركة في المختبر انقسم في مرح
وقال : « بديع .. ستكون الصور سبقاً صحفياً .. هذه أول مرة تصور فيها مطربة
وهي مستعركة في المختبر
وهزت « هدى » رأسها في دهشة وتسايلت :
— وماذا قلت له ؟
وهزت « أم حبيب » رأسها في أسف وأجابت :
— كدت أطبق في رمازة رقبته .. وأنا أجد له لى يرى منك — وأنت متفكة على
فراش المرض — إلا سبقاً صحفياً .
وضحك « سامى » قائلاً :
— ولماذا لم تفعل ؟
— والله لو لا عوى على السيدة من ألسنتهم .. لفعلتها .
وعادت « أم حبيب » تسير متتافئة نحو الباب وهي تكمل حديثها بكلمات
غير مفهومة . كانت علاقتها سبانياً في الصحفى الذى لم يرق سيدتها سوى
صيد يلربده .
وأحد « سامى » يقبل البطاقة في يده وهو ينظر إلى « هدى » .
ورفع حاجبه قائلاً في شيء من السحرة والفكاهة .

— إدد لقد أتى السيد عبد الجواد .. ليهصورك على فراش المرض . كنوع من
النسب الصحفى ؟
ولم تستطع « هدى » أن تجمع نفسها من الصحك وسرعان ما وصعت
يدها على مكان الجرح وهي تحس بوخزة سببها الصحك
وقال « سامى » وهو يصع شفقه في كفها :
— أنتحك الضحكة يا حبيتى .. لا داعى لأن ترهقى نفسك بالضحك أو
المحدث .
ولكن الأتسامة عادت ترسم على شفاه « هدى » وقال « سامى » :
— لم يعرف هذا الغنى أى سبت صحفى كان يمكن أن يحصل عليه .. لو أنه
دخل الحجرة .
وهزت « هدى » رأسها وهي تقول :
— ريتا ستر .
— البركة في أم حبيب .. أحياناً تنصرف كأنها أحد العاقرة .. وأحياناً أحس
أن الله وضع لها في رأسها بدل العقل حذاء قديماً .
والتقى « سامى » بالبطاقة على « نكودوديو » بجوار الفراش
وقالت « هدى » في صومها الخافت :
— أظن هذا إنذاراً كافياً لك بالانصراف ؟
وتهد « سامى » ولم يجب .. واستمرت « هدى » تقول :
— اللهم إلا إذا كنت نصر على أن يبيء هم سبقاً صحفياً .
— كيف تكون زيارتي لك إدد ؟
— أظن أسبب الأوقات هو الصباح المبكر قبل أن تذهب إلى الجريدة . أو
المليل بعد أن تنتهي منها . لا أظن الرا عاقلاً سيحصر حتى قبل هذا الوقت . أو
يتقى بعد هذا الوقت .
— وبإلى البار ؟

— أغلب على أن الحجر ستكون مريحة بالمعارف والصحفين
— لا أتصور كيف أتركك وأنت في هذه الحالة !
— يجب أن تحمل .. إنه أسبوع أو عشرة أيام . وتمر على خير
— إن شاء الله سيمر على خير .
— ربنا يستر .

وبعض سامي وأخفى عليها في رفق وصممها إليه .. وأحسن بشفقتها ترخيفان
تحت شفتيه وصممها خمس في غنجها الضعيفة الحاجة :
— أحبك .

وأحسن بدموعها تترك ساحة على حديها ونفس صمحة وجهه ، وعاد يصممها
إليه في خوف كأنه يتخشى عذبا أن تتفتت بين ذراعيه وخمس عبا
— يا حبيبتي يا سيدة الدنيا .. يا أعر إسانة .
وجميع صرير الباب ، فانسحب من بين ذراعيها .
وأغمضت هي عينيها وخمس كأنها تحدث نفسها .
— مع السلامة .
ودخلت أم حبيب ، قائلة :

— أرى بعض الناس مقبلين في نهاية الممر . وأحسني أن يكون بينهم بعض
الصحفيين الذين يريدون الحصول على سبق صحفي .
وأحسن سامي ، بما تقصده وأجابها :
— سأصرف حالا بأمر حبيب .. وأرجو أن تأخذني بالك من هدى .
— في عيني يا سيدتي .. إنها أعر من ابنتي .
وبعض سامي ، ومقفا ثم عادر الحجر بعد أن شد على يده هدى ، قائلا :
— سأحضر بالليل بعد انتهاء العمل .
وسار في الممر متجهًا إلى الدرج ، ولكنه تم يكد يصل إلى نهاية الممر ويدلف
يسارًا ليهبط الدرج حتى سمع صوتًا يهتف به :

— الأستاذ سامي ؟ صباح الخير .
واستطاع « سامي » بعبطته أن يميزه قبل أن يعرفه بنفسه قائلا :
— أنا عبد المعطي حمدان مندوب جريدة الخير .
— أهلا وسهلا .
— خير إن شاء الله .. ماذا تفعل هنا ؟
وحاول « سامي » أن يتأكد نفسه ولا يبور لصفافة الرجل فقال له :
— كنت أزور أحد المعارف .
— إن شاء الله تكون حالته طيبة ؟
— الحمد لله .
— وما هي الأخبار . أحقيقة أن هناك تمردات على الجنود ؟
— لم أسمع بهذا .
— والأسطول الأمريكي يقال إنه قد اقترب كثيرا من الساحل ؟
— جائز .
— سمعنا أنك ستسافر إلى القاهرة من أجل اللجنة التحضيرية للتوتر الأسوي
الإفريقي ؟

— محتمل .
وحاول « سامي » أن يكون في إجابته موقفاً . لأى احتفال لإطالبة
الحديث .. وقبل أن يتحرك ليهبط الدرج عاد الصحفي يسأله :
— كنت أحاول أن أزور « هدى نور الدين » المطربة .. إنها هنا تجري عملية
مرارة .
وقبل أن يستمرسل الرجل في حديثه قاطعه سامي قائلا :
— عن إذنك .. لأن لدي موعداً .. السلام عليكم .
ثم اندفع ليهبط الدرج .. وهو يحس بالضطراب في ذهنه .. وأشياح الزوار
والأطباء تمر به متلاحقة وهم يصعدون الدرج .
(جئت الدموع — ١٠٠)

أترأها كانت حافلة منه أن يروى هدى في هذه الساعة ؟
حافلة أو غير حافلة .

هل كان يستطيع أن يفعل .. غير ما فعل ؟
إنه لا يذكر كيف وصل .. ولا كيف فكر في الهوى .

لقد اندفع كالقذيفة بمجرد أن قالت له : « أم حبيب » إنها أفادت من الخدر وإني
عجف باسمه .

هل كان يملك إلا أن يلقى نداها ؟

وانتزعه من شروده صوت يتف به :
« أهلاً أستاذ سامي .

ورفع بصره ليجده أحد الأطباء .. مرد عليه التحية وهو بحث الخطأ إلى
الخارج .

لماذا يعرفه كل هؤلاء الناس ؟! ألا يستطيع أن ينسل في سكون دون أن
يعطدم بمن يعرفه في كل مكان ؟

ولكن ماذا يخشى منهم ؟! هل زيارة مستشفى جريمة تستحق كل هذا
الخوف ؟

أهو الوحيد الذي يدخل المستشفى زائراً ؟

ولكنه الوحيد الذي زار هدى ؟

ومن يعرف أنه زارها ؟ . بل من يعرف أنها موجودة ؟ . من يعرف ... ١٩ ...
هذا الصحنى مثلاً .. سيحمل الناس كلهم يعرفون غداً .. أن هدى في
المستشفى .

وليس يستبعد عليه أن ينشر أيضاً أنه لقيه هناك .

وعلى الناس أن يستنجوا بعد ذلك ما يشاؤون .

كان يجب أن يكون أكثر حذراً من هذا .

أجل .. كان يجب . وفارق كبير بين ما يجب .. وما استطاع .

شروع فک هویب

مرت فترة المستشفى بسامى وهو يشرق الغطا كل يوم ليقبح بجوار
« هدى » وهي راقدة في فراشها .. إنما في الصباح الباكر وعدم المستشفى لم
ينتهي بعد من نظافته . أو بالليل بعد أن يخرج آخر رائد وينفى المرضى في
أسرتهم . وبسود السكون حشرات المستشفى ، واستطاعت هذه الطريقة
في الزيارة أن تحبه من تطلع المتطعمين . ونقشات الصحنى من زور
« هدى » .

وسارت « هدى » سريعاً نحو الشفاء وجلس « سامي » بجوارها
يتحسس شعرها .. في صباح يوم الخروج .. وكانت « هدى » قد مشطت
شعرها وعقمتها في مؤخرة رأسها وربطته بشرط أحمر . وبدأ وجهها أبيض
نظيماً حلواً .. كوجه الأطفال .

وكانت تبدو عليها السعادة وهي تمسك يده وتحسس عرونها .. ونس
بشميتها أطراف أصابعه .

ونظرت إلى عيبه وهي تنسم ابتسامة كشفت عن أسنانها المظلمة
البضاء ، وسأته قائلة وهي لا تستطيع أن تحصى فرحة الأطفال من براتها .

— ستأتى إلى الليلة ؟

— إذا لم يكن لديك مانع .

وعادت تسترسل في قولها كأنها لم تسمع ردة :

— وسجلت على مقعداً سوية .. ونظعت إلى الحبل من خلال أوراق
الشجر ؟!

— بل سترقدن في فراشك .

— لقد أمرني الأطباء بالمسح .. إلى أريد أن أتطلق وإياك إلى الحياة الواسعة الحميلة . أتذكر عندما قلت لي ذات مرة أنك تحب أن تقضى سوياً بصحة أسايح في جهال سويسرا ؟

— ورددت علي أنت ، بأن رعت بك إلى السماء وقلت : « يارب .. والله راضية بضعة أيام حتى في بلودان » .

— أجل . إنها أمنيى الدائمة . أتصور أنه من السهل علي أن أدعك كل ليلة أنتزع من بين أحصابي وأنت مستغرق في النوم على دراعي .. كم تسبب لو قصيت الليل كله بين دراعي مستريحاً . لا تنظر إلى عقارب الساعة .. كأنها السيوف التي تقطع في سيرها شرايين حياتي .. ومحتي

— عندما إلى التبرم . ألا تذكرين قولك عندما ما يصيق بك الحال أنك عندما تفكرين في احتمال مرقا تحمدين الله على الدقائق التي نقضتها سوياً ؟ وتنهدت « هدى » وأجابت :

— أجل . إني أحمد الله دائماً ، على مجرد إحساسى بأنت موجود بجوارى .. ولكني أحس بلهفة على استراحة بين أحصابك لا تقطعها عليها عقارب الساعة ، استراحة نسى فيها كل ما حولنا .

— أنا أيضاً أحس بنفس اللهفة .. إني لا أكره شيئاً كلحظة وداعاً وراء الباب .. وأمنيى لو استطعت أن أسخر منها كما تسخر مني .. وأن أبقى معك حتى تحل لحظة الدواع ثم أسير معك إلى الباب . وبدل أن أودعك ، أحسك بين يدي لأعود بك ثانية إلى الفراش ، ونقلب الساعة على وجهها ، ونستغرق في النوم حتى الصباح .

وصمت « سامي » ولم تجب « هدى » .. وشردت نظراتها كأنها قد استغرقت في حلم .. وصعاً أطلعت بكفيها على يده وسأله .

— ألا تستطيع أن تأخذ إجازة بضعة أيام ؟

— له ؟

— لقد فكرت في أن أنصبي دور الشاعة بعيداً عن دمشق .. فلماذا لا يكون معاً ؟

وهو رأسه وهو يحس بأن الفكرة غير معقولة وسأها في غير اهتمام :

— تكون معاً ؟ أين ؟

— في أي مكان .

— مثل ؟

— بيروت مثلاً .

— أتظن أننا نستطيع أن ننزل سوياً في أي فندق في بيروت دون أن يعرفنا الناس ؟ أتصور أنك أنت بالذات يمكن أن تحل في أي مكان دون أن يتجمهر حولك الناس ، اللهم إلا إذا كنا نزل الفندق متكررين . أنا مثلاً أرسل لحيتي ، وألبس « طرطوراً » ؟

وقاطعته « هدى » قائلة :

— أنا لا أشرح .. إلى أتكلم جادة .

— كيف تتكلمين جادة .. أي فندق هذا الذي يمكن أن نعلم بالنزول فيه ؟

— ولماذا تنصرون على الفندق ؟

— لم أتصور أنك تريدين أن نزل معاً على قارعة الطريق .

— لا داعي للمزاح .

— أين سننزل إذن ؟

— في بيت أحد المعارف .

وصاح « سامي » في دهشة :

— أحد المعارف ؟ من هذا الذي يقبل أن يتركنا في بيته ؟

— عليه صديقتي .. لديها بيت في صوفر في الجبل .

وبدا التفكير على وجه « سامي » . وأحسنت « هدى » لأول مرة مدون

بدأت الحديث ، أنه يأخذ عرضها مأخذ الجدد .

ورفع رأسه وتساءل قائلاً :

— ومن يقطر في البيت ؟

— لا أحد . إنه معلق .

— وجيرانه ؟

— ليس له جيران .. إنه في أول الطريق قبل البنته دائماً ، على مسحتر متفرع من الطريق الأصلي .

— وكيف تعيش فيه ؟

— مدداً تصي كيف تعيش فيه !؟ ستعيش كما يعيش الناس .

— أنقصد كيف تعيش في بيت مهجور ؟؟

— من قال لك إنه مهجور .. إنها تتركه بأثاثه وتلاجه .. وكل ما به كما هو حتى الصيف

وأطلق : سامي : تهيئة طويلة من أثلته قائلاً :

— مسألة تستحق التفكير .

— إنها ستكون فرصة للدمر .

— المفروض أن أسافر إلى القاهرة في أي وقت خلال الأسبوع القادم .

— لقد قلت لي إنك ستحتدر .

— قلت لي سأحاول الاعتذار .

— ستسافر معي .. وتضهم أمام الأمر الواقع .

وهز : سامي : رأسه قائلاً :

— تصوري لو عرف أحد أنني اعتذر عن السفر إلى مؤتمر الشخصيات لكي

أقضي معك فترة التفاعلة في صومر !

— ومن ذا الذي سيغيرهم بذلك ؟

— الخط السيئ وكسنة السوء .

— لا داعي لأن تفر من أن حظاً سيئاً ، ولن تكون هناك فرصة لأحد السوء .. لأنه لن يعرف أحد بأننا ذهبنا معاً .

— إن مجرد احتفائنا معاً سيثير الكلام .

— كلام من ؟

— كلام أصحابك .

— مثل من ؟

— رياض عبد الدائم مثلاً .

— إلى حرة في نصرماني .

— إننا لا نناقش في مسألة حريتك .. إننا نناقش معرفة الناس باختصاصنا .

— هب أنه عرف أي احتفيت كما تقول . ما الذي يربط مسألة الاحتفائي

بك ؟

— لأنني سأعطي أنا أيضاً .

— ولكنه لن يمس باختصاصك

— سيحس به أصدقائي . وأنت تعرفين كيف ميوى الأكنة تناقل مثل هذا

الأمر .

ونقخت : هدى : نايخة بأس وبدأ على وجهها الضيق وقالت :

— حسن .. لا داعي للكلام في هذا الموضوع .

— أعظمت ؟

— ولماذا أغضب ؟

— لأنني أحاول أن أحلرك .

وهزت كفيها قائلة :

— لست أدري لماذا أكون أنا المدفوعة دائماً وأنت المحتدر ، إنك تشعرني دائماً

بأنني وحدي التي أحب .

وتلقت : سامي : نحو الباب ، ثم انحنى عليها وصمها إلى صدره قائلاً :

— أنت تعرفين كم أحبك . وكفى أن أقصى العمر بين أحضانك
— إذن مسافر سويًا ؟

ومرة أخرى بدا عليه التفكير .. ثم قال :
— متى تريدن السفر ؟
— غداً .

— ولكنك لا تحمليني !!

— مسافر بالحرية المحبوسة .

— وغيار الجرح ؟!

— لم يعد الجرح في حاجة إلى غيار .

— والطبيب ؟!

— الطبيب ؟! ماذا تفقد ؟!

— أليس يكون في حاجة إلى فحصك ؟!

— سيمحصى قبل أن أعود إلى البيت . لا تحاول أن تعقدها . أرجوك .
وصمت ساني برهة ثم قال :

— سذهب بشرط .. أن يسمح الطبيب .

ومدت هدى ذراعها تضمه في مرح قائلة :

— انتبهنا .. إن الطبيب سيسمح .

— لا تحاول أن تكذبى .

— لن أكذب .. ولكني سأقنعه بأن يسمح . إلى أشعر بأني قد استرددت
صحتي .. وأنا أسير في الحجرة منذ بضعة أيام .

— حسن .. سأذهب الآن . وسأقنئك لئلا

— اجتهد أن تأتي مبكراً .

— وروارك ؟

— رؤاى ! ألا تتوقعين رؤاى في أول يوم تعودين فيه إلى البيت ؟

— سأعلق الباب وأرفع الساعة .. ولا أستقبل أحداً .. ولا أكلم أحداً .
أرضيك هذا ؟

— سأكون في مكتبي من السادسة .. وسأحصر إليك في أى وقت
تطبيشى .

ومدت هدى ذراعها وعادت تضمه في مرح قائلة :

— أحبك .. أحبك .. إلى أحسن كائن في حلم ، لا أتصور أني سألتقيك في
حجرتي البعيدة وأنا ساجد سويًا ، ولا أتصور أننا سذهب غداً نستقر وسط
التلوح على سمح الخليل .. بعيد عن الناس بلا عقارب ساعة تستحشا عن
الفرقة .. ولا لحظة وداع تدعنا إلى الباب .. تصور أن هذا يمكن أن يحدث !
ولم يجيبها ساني .

إد لم يحضر بياله قط . أن هذا فعلاً يمكن أن يحدث .. لقد كان شيئاً موق
تصوره . وأبعد من مدى أحلامه .

وفي الساعة السادسة كان يستقر على مكتبه كما وعدتها وأقبلت عليه
هادية تحية وتساءله :

— هل أحصر إليك التجارب الآن . أم بعد الاجتماع ؟

وروي ما بين حاجبيه في دهشة . وسأله .

— اجتماع ؟ .. أي اجتماع ؟!

— الاجتماع مع وعد العمال .

وبدا ينقر بأصابعه على المكتب في حيرة .

وعادت هدى هادية وتذكره :

— لقد التقت معهم على الاجتماع في الساعة السابعة .

وأطرق ساني « معكراً » . ووقفت هادية تنتظر الجواب . وبعد برهة
رفع رأسه قائلاً وقد بدا عليه القلق :

— أعشى ألا أستطيع حضور هذا الاجتماع (جئت الدويع — جد) :

— ولكن ..

— لكن ماذا ؟

— لقد كان المقروض أن يتحدث إليهم .

— أجل .. كان مفروضاً . ولكن يمكن لأى واحد عيرى من الحزب أن يتحدث .. قولى تسليم أن يعتبر عنى ويتحدث إليهم .

— ولكنهم كانوا يريدونك أنت ؟

— أجل .. وأنا أيضاً كنت أريد أن أحدثهم .. ولكن الفرصة لم تذهب .. سأحدثهم موعداً آخر .. إلى .

وقبل أن يتم حديثه دق جرس التليفون ولم تقف « فائزة » لتسمع بقية الحديث .. فقد كانت تستطيع أن تترك شخصية المتحدث بإحساس من قلبها ، لا سيما بعد أن اعتذر عن حضور الاجتماع .

وخرجت « فائزة » .. ورفع « سامى » السماعة لسمع صوت « هدى » تسأله :

— أستمع أن تأتى الآن ؟

— أجل .

— إلى أن انتظارك .. ستعمل المفتاح عند حضورك .. لأنى صرخت الخدم حتى يكون وحدنا .

ووضع سامى السماعة .. ثم عاود فكاتب ، وبعد دقائق كان يدفع المفتاح فى باب الشقة ، ويدخل مختاراً لشمير الطويل إلى حجرة النوم .

ووقف أمام الفراش الذى رقدت عليه « هدى » .. ورمعت « هدى » إليه عيناها لم مدت إليه ذراعها . فاعنى عيناها وصمها إليه وصمته « هدى » وكأها عطشى تلمس قطرات الماء .. وهست قائلة .

— لقد جمعتنى أحب هذا البيت . لأنى أحس أنه بيتنا المشترك . لم أكند أدخل حتى أحسست كأنى أراك فى كل مكان ، وجعلت أنوفى به وفى شوق

العرب إلى وطنه . وأقبلت على الشرفة أتخس الأصص التى سقيتها ، والركن الذى فيها به رقب الهجوم سوياً .. كل شىء فى الدار أحسست أن له صلة بك من قريب أو بعيد .. المقعد الذى جلست عليه لكى كل معنى أول مرة .. وباب الشرفة الذى نظرت منه إلى بردى . وأوراق الشجرة التى تحب أن تحمل من خلالها إلى أصوات الخيل ، وأقبلت على الفراش أتخس مكانت فيه .. وتشممت موضع أنفاسك وكأنى به ما رل دائماً كما تركته .. وصحت الدولاب لأمسك بالشجبة التى تعودت أن أعلق عليه حلتك . ما أجل أن أعود لأراك فى كل ما حولى . حتى الرجاء الذى كنت تقف حمله لتدفع به من أنفاسك ضباباً تكتب عليه بطرف أصبعك « أحدث » وتمسح المكان إلى لأرد عليك بأصبعي « أعبك » .

ومدت يدها فأخذت تتحسس وجهه فى رقب . مست شعته وأنبه وعجبه ، كأنها مثال يريد أن يختبر مقاييس عودجه ، وعادت تهمس :

— علمتى أن أعشى الموت . صحت الحياة طعم . جعلتى أتوق إلى التمسك بها .

وكان « سامى » يرقبها فى صمت ، وكلما استرسلت فى الحديث أحس بها تدفع فى أصعاقه .

كيف خيل إليه أنه يستطيع فراقها ؟

إنها أجل ما فى دنياه . إنها تمثل أطيب ساعات عمره . كيف يعمل بعدها أو هجرها ؟

إذا كان عمله .. ومبادئه .. حق الناس عليه . فإنها هى بحبا .. وكل ما تمسحه إياه من إحساس بالراحة والاستقرار ، حقه على نفسه .

ولكنى يوق الناس حقهم . يجب أن يوق بمسه حقها وانعى عليها فأسد رأسه على صدرها . وهمس بها كأنها يرد على وسوسه الطويلة التى ألحقت عليه فى أمسه .

— لن نتركك أبداً .

وضمنته إليها وهي ترد على مسامحة :

— وسأبقى معك حتى آخر العمر

ودلى حرس التليفون فصدت يدها ورفعت : البرقعة : وفلفت بها بعيداً وهي تقول :

— دعوني أستريح .. إلى متى ما دامت معه ..

كان حطماً ..

أصبح الصبح دون أن تشرق له شمس أو يمس له شعاع ، وتقلب : سامي : في فراشه ونظر إلى الساعة في قلق وهو يجد صوء النهار يبدو من خلال العتبات الضيقة لشيش النافذة .

وكانت الساعة قد بلغت السادسة والنصف .. والبيت قد ساءه السكون .. واستغرق أهله في سبات العجز علم تعد تسمع بين حדרاته إلا أبعاساً تتردد في خفوت أو حشجة .

وجذب : سامي : المشعة واتجه إلى الحمام ، وأحس بسرعة البرد تتلج أطرافه وهو يعد عن نطاق الدفء ، الذي أشعته مدفأة الحطب بين أرجاء الدار .

ولم يكن بالصبور ماء ساخن . ولا كان هناك وقت تسخين ماء للحلاقة .. فأقبل : سامي : وأخذ يمس الفرشاة في الماء البارد والصابون ثم يمرر بها على صفحة وجهه وهو ينظر في المرأة المستطيلة وقد شرد ذهنه فيما هو أبعد من تقاطيع وجهه .

ووضع الموسى في ماكينة الحلاقة وبدأ يشد شحمته .. ويحرك لسانه داخل شدة حتى يسطح جلده ذقنه ويجعله في أنسب الأوضاع لمجرى الموسى . ولم تستغرق تلك الجهود إلا إرادة شيعاً من تفكيره .. وكانت يده تجري بالموسى على ذقنه ، وذهبه يعدو في طريق بيروت وراء المعامرة التي عوشت أن يقدم عليها ..

ولم لا؟! وماذا تكون المغامرة إذ لم تكنها .. رحلته هذه ؟
وسط كل هذه الأحداث التي يمر بها البلد .. والأنواء التي تتصادف
مصره .. ووسط كل الصراع الذي يدور بين الساسة والأحزاب والانتهازيين
من مختلف المذاهب والتيارات .
وسط المعركة الدائرة التي سيتقرر فيها مصير البلد .. يحتفل امرأة من
فراش المرضى وجرحها لم يشف بعد .. يعلو بها هارياً من العمل والمستوبة
والصراع . مشراً حوته روية من الزيب والشائعات .. تبذل لهما الشباب
بسادته . وبعض لحصومه سلاحاً ماصياً للشهير به والتشكيك فيه ..
وتلوغ كل ما يدعو إليه وما يؤمن به .

والتي « سمي » الماكية عني حروف الحوص .. وأطلق رعدة حارة ،
وألقى نظرة على وجهه في المرأة ، وقد تأثرت بقايا الصبا على دقه .
معارم .. أحق ؟!

كيف يجرؤ على أن يراقبها في عريته طول الطريق من دمشق إلى بيروت ؟
ولكن بوقت مبكر .. والطريق لا شئ لم يردح بعد .. وحركة المرور قد
حقت بعد تساقط الثلوج . ومن غير المحتمل أن يصاحبه إنسان يعرفه على
الطريق في هذا الوقت من النهار وفي هذا الموسم من السنة .

وفي نهاية الطريق يستقر في البيت السجزل عني سفع الجبل ليستريح
هبة بعد طول عناء وجهه وإرهاق .

أليس من حقه .. أن يمنح نفسه عطلة بضعة أيام .. خلال هذه السنين
الطويلة من العمل الشاق المضني المتواصل ؟!
في هذا الوقت .. وفي هذه الظروف ؟

ولم لا ؟ إن الموقف على حرق ما يبدو من خطورته ثابت متجمد ..
لقد وصل إلى أقصاه .. بكل تلك المظاهر الحادة الثائرة . وهو يمثل أحد
وجوه سياسة حافة الهاوية .. التي تدفع بالعالم إلى الحافة ثم توفقه عندها .

متوتر النفس مشلوع الأعصاب .. والقوى المتصارعة بعض بعضها أطراف
البعض منتظراً أن يقول الآخر آه .. قبل أن يطق بها هو
على الحدود الشمالية دمي لأترك تحركها أصابع الأمريكيين . كنوع من
« طرفة » الكراييج .. وفي البحر يستعرض الأسطول عسلاته . كلاعب
السرك .. محاولة منه لإبعاد الأنف السوفيتي المدسوس بالفروص .. والكف
المملود بالمساعدات . والشيوخ يوتلونون في « الرقة » كصبي المرح
مهليل فرحين .. مؤكدين أنهم أصحاب المرح .
وبعد ؟!

لا شيء أكثر من هذا .
إنه يدرك بإحساس السياسي .. أن واحداً من الطرفين لن يهزم بأكثر من
هذا . ليدفع بالعالم المشلوع عني الحافة . إلى الهاوية .
ولكن شئ لا بد أن يفعل من داخل المد . ليقيه كل هذه التبدلات
العاتية .. ويجعله أقدر على الوقوف على ساقيه .

وهذا الشئ الذي يجب أن يفعل واضح لكل محبص مؤمن .. هو منه
الجهة إلى الجهة .. وصيب العود بالعود . وشد الفراغ في الفراغ بكل من
صنهم وحدة المصائب والأمان والأهداف .

وهو يؤمن بهذا الشئ من أعماقه .. وبكل ما يملك من حس وإدراك
وهو يسعى إلى تحقيقه بكل ما يملك من جهد .

ما باله إذن يمر من المعركة ؟
هل راحة بضعة أيام تعتبر فراراً من المعركة ؟
إن لمجدي حق إجازة الميدان . فساد لا يكون له هذا الحق ؟

لقد كان دائماً يعطي من نفسه كل شئ . كل جهد وكل تفكير . ما
حاول أبداً أن يسأل لنفسه حقاً .
أكثر عليها أن يمنحها بضعة أيام راحة . عندما يحس بالحاجة إليه .. وعندما

يجد من يوفر لها هذه الراحة ؟!

خلال تلك السنين الطويلة .. لم يطلب الراحة .. لأنه لم يجد من يستطيع أن يمنحه إياها .. ولا حاول أن يمنح نفسه الأشياء اليسيرة التي تريح الناس لأنه لم يحس حاجة إليها .

لم يشرب كأساً .. ولا جلس على مائدة لعب .. ولا عتب في صدره نفساً من الدخان .

حتى زهر الطاولة .. وحجارة الشطرنج .. لم يحاول أن يجعل منها متفصلاً له .. لأنه لم يشعر قط بأنه في حاجة إلى متفلس .. ولأنه لم يحس أن كل تلك الأشياء التي تريح الناس يمكن أن تريحه .

عمل .. عمل .. عمل .

تلك هي الساقية التي كان يتور فيها معصوب العينين طوال تلك السنين الماضية .. بلا استقرار .

حتى وجد الاستقرار فجأة .

وأحس باللهفة على الراحة .. والحنين إلى الاستقرار .

أحرم عليه أن يخلد إليه .. يوماً .. أو بعض يوم ؟

وأسست بالمشقة بجفف وجهه وفراخه وقدمه .

وأثناء عبوره القاعة متجهاً إلى حجرته .. سمع صوت أمه تهتف :

— من ؟!

— أنا سامي .

— سامي !.. ماذا بك ؟

— لا شيء .

— ما الذي أيقظك مبكراً ؟!

— مسافر إلى بيروت .

— في مثل هذه الساعة ؟

— أجل .. أريد أن ألق بعض مواعيد هناك .

— حرام عليك صحتك .. ألا تمنح بدنتك بعض الراحة ؟! إنك لم تنم إلا

بعد منتصف الليل .. كم الساعة الآن ؟

— الساعة إلا ربعا .

وكان سامي قد اتجه إلى حجرة الأم .. ووقف أمام فراشها ، وقد وضع

المشفة على كتفه .. وبسطة الأم كفيها كأنها تشكو إلى الله ، وقالت في لغة

إشفاق :

— أهذا يرضى ربنا ؟! اذهب يا بني واسترح في فراشك قليلا .

— ليس هناك وقت .

— متى ستعود ؟

— بعد بضعة أيام .

— طبعاً سترهق نفسك بالسهر .. ولن تجد من يطعمك .

وضحك سامي :

— أنا لم أعد بعد صغيراً .. والطعام ليس مشكلة .

— كل شيء بالنسبة لك بعيداً عن مكتبك مشكلة .. ألا تذكر كم مرة نسبت

أن تتناول الغداء ؟

— ولكنني كنت أعوضها في العشاء .

— إنك تهمل نفسك .. وقد هزل جسدك .. وأصبحت لا تقاوم ملامحك .

— منذ أن ولدت وأنا أسمع منك هذا القول .. ومع ذلك ما زلت حياً ..

حافظي أنت على صحتك ولا ترهقي نفسك .. ودعي أمور البيت إلى

« جميلة » .. إنها كبرت ، وهي تعمل عندنا منذ أن كانت في العاشرة .. ولو

كانت « حماراً » لعرف طريقه دون حاجة إلى من يقوده .

— إنها فعلاً « حمار » .. ولكنها تحتاج دائماً إلى من يقودها .. لو لم أراقبها .. لما فعلت شيئاً في البيت .. ولقيت في فراشها حتى الظهيرة .. إنها عليماً لم تستيقظ حتى الآن !

— لا حاجة بها إلى الاستيقاظ .. إلى سأرتب حقيرتي وأرتدى ملابسى ثم أنزل بعد بضع دقائق .

— والإفطار ؟

— لا داعى له .. سأتناوله في الطريق .

— دعها تعد لك فوجان الشاى .

— حاضر .. استريحى أنت .

— كنت أريد منك أن تحضر معك أشياء من سوق الطويلة .

وبذا التردد على وجه « سامى » ثم قال :

— سوق الطويلة .. ولكن .. أعنى أنى لأفهم في مسائل الشراء .

— لا حاجة بك إلى أن تفهم .. ستمر على محل « عجائبي » في أول السوق

وهم سيعطونك ما أريد .

وكان « سامى » يعلم أنه لن ينزل إلى بيروت ، وأن المفروض أن يبقى طوال

المدة في صوفر ، وهم بأن يختار ، ولكنه لم يجد ما يبرر غرضه دون أن يشر

الشكوك في رحلته ، فأجاب وهو يغادر الحجرة :

— إذا وجدت وقتاً فسأذهب إليهم .

— لن نعدم نصف ساعة نذهب خلالها إليهم .

— إن شاء الله .

وانته « سامى » إلى حبرته .. وصل ركعتي الصبح ، ثم وضع بعض

غيارات في الحقيرة مع ماكينة الخلاقة .. ثم ارتدى ملابسه بسرعة .. ونظر إلى

الساعة فوجدها قد بلغت الساعة إلا خمس دقائق .. وكان قد اتفق مع « هدى »

على أن يبدأ رحلتها في الساعة . فأنجبه إلى حجرة أمه كي يودعها ، ولكنه وجد جميع من في الدار قد استيقظوا .

كان « هشام » أعوه قد استيقظ .. وفي طريقه إلى الحمام لمح « سامى » مرتدياً ملابسه .. فظفر إليه في دهشة متسائلة :

— إلى أين ؟

— بيروت .

— أحدث شيء ؟

— مثل ؟

— أعنى شيئاً هاماً يستدعى سفرك ؟

ولم يعرف « سامى » بمجبب .. إن « هشام » يعتبره دائماً مخلوقاً هاماً .. لا يفعل إلا أشياء هامة .

وأجاب « سامى » وهو يحاول أن يوقف سيل الأسئلة التي يوشك « هشام » أن يلقى بها عليه :

— هناك بعض أعمال لا بد من إنجازها في بيروت .

— والحالة هنا ؟

— ما هنا ؟

— ظننت .. أعنى .. أنه بدا لي أن الموقف يحتاج إلى وجودك هنا .. إن البلد

في حالة « غليان » .

— لن أغيب طويلاً .

— لقد كنا ننوي أن ننظم اجتماعاً في الجامعة وندعوك إليه .

— إن شاء الله عندما أعود .

— أشياء كثيرة يرغب الطلبة في استبضاعها .. وبعض الحونة يحاولون تشويه

الحقائق .

— عندما أعود .. ستجلس سوياً وتبادل الآراء .

— على أية حال .. إننا نعرف كيف نؤدبهم .. إننا أقوى منهم كثيراً .. وهم يحاولون التشكيك في دعوة القومية العربية .. ويقولون إنها ستار للتحطيم الديمقراطية .. و ...

— ستحدث في هذا كله بعد عودتي .

— إذا استمروا في وقاحتهم .. فستطريهم جيداً .

— لا داعي للحراك .. إننا في حاجة إلى وحدة صفوفنا قبل كل شيء .
— ولكن ...

وريت « سامي » ظهره ونمناه عن طريقه .. واتجه إلى الباب الخارجي في شيء من العجلة .. وقبل أن يصل إليه اعترضه جسد « مجيدة » ، وهي تترك عينها ، وقد تسالت من المطبخ على ضجيج المناقشة .. وعلا صوت « الأم » من حجرة النوم تصيح :

— مجيدة .. اعلمي الشاي .

وهتف « سامي » في ضيق :

— ليس هناك وقت للشاي .

ثم وقف بباب حجرة « الأم » يهتف بذهابه ويلقي عليها تحية الوداع :

— أنا ذاهب .

— هل أخذت المظف ؟

— أجل .

— خذ بالك من نفسك .. لا تسرع في الطريق .. مع السلامة .

— الله يسلمك .

وهبط « سامي » السلم مندفعاً وأخرج العربية من الجراج .

وكان الطريق خالياً .. إلا من بعض الشرطة وجنود الجيش وباعة الصباح ..

وموجات الطباب تدفعها الريح .. والمصابيح ولافتات النيون .. التي لم تطفأ بعد .. تبدو باهتة خافية .. كعين الساهر يتقلها النعاس .. وأشجار الطريق قد جردتها الريح من كساء الربيع الأخضر .. ووقفت عارية . كأنها تستجدي من الشتاء كساءه الثلجي الأبيض ، الذي أخذ يزحف على قمم الجبال المحيطة وسوحها .

ووقف « سامي » بعرفته في الشارع الجانبى لبيت « هدى » في مكان يمكن أن تراه فيه من إحدى الشرفات .. وكان قد اتفق معها على أن ينتظر بالعربة حتى يسيط إليه .

ولم تحض بضع دقائق حتى بدت « هدى » في معطف فضفاض عريض الباقة مسحوب الكتفين ، وقد لفت رأسها بمنديل عقدته حول عنقها ، وغطت عينها بمنظارها الأسود الشبيه بجناحي الفراشة .. وفي قدمها حذاء خفيف واطئ ، وأقبلت تسيير الموينى تجاه العربة .

وأحس « سامي » كأن دهرأ قد مر به وهو ينتظر بجوار البيت ، وخيل إليه أن كل سكان دمشق قد استيقظوا في تلك اللحظة وغادروا بيوتهم وأنوا ليشاهدوه وهو يقف لينتظر « هدى » حتى تقرب من العربة ، ثم يمد ذراعه ليفتح لها الباب ويدخلها إلى العربة .

واستقرت « هدى » على المقعد بجواره ، وأحس بأنفاسها تتلاحق وسمعتها تهمس به في صوت خفيض :

— صباح الخير .

— صباح الخير .. هل أتعبك النزول ؟

— لا .

— أنستريح برهة ؟

— لا .. لا .. سر بنا .

ثم غشمت كأنها تعذر عن خطأ :

— لقد ضايقك بإحضارك إلى هنا لاصطحابي .. كان يجب أن نلتقي بعيداً .
ولم يجب « ساسى » .. فقد غللكه إحساس الظفر الحبس يوشك أن ينطلق من
باب القفص .

وأدار العربة دون أن ينس بكلمة .. ولم تحاول « هدى » أن تطلب منه
رداً .. فقد أحسست بما تملكه من توتر وإرتباك .

وانطلقت العربة في الطريق العريض بجوار بردى .
ومعادت « هدى » تنظر إلى جانب وجهه ، وقد بدا متجههم الملامح مشدود
القسامات .

واسترخت في مقعدها وهي ما زالت تنظر إلى وجهه ، وتلكها إحساس
عجيب بالسعادة والراحة .. لقد تحقق حلمها الذى طالما طاف بذهنها في كل
غفوة وصحوة .

لقد أحسست بأنه ملكها بلا شريك ولا منازع .. ولم تعد عقارب الساعة
تنذرها باعتصافه في كل دقيقة وكل حركة .

ستغرب عليهما الشمس .. فلا يهددها الليل بفقده .. وستشرق ثانية وهو ما
يزال بين أحضانها .

مشرق .. وتغرب .. وتشرق .. وتغرب .. وهو ملء يديها .. وساعة
الفرار لا تكاد تحين .. فهي بعيدة .. بعيدة .

وأطلقت تنبذة راحة واتسعت الابتسامة على شفتيها .. ثم همست وعينها ما
زالتا مملقتين بجانب وجهه :

— هل تنوى أن تقطع الطريق كله دون أن تحدثنى أو أن تنظر إلى ؟

والثقت إليها ، ولم تلبث ابتسامتها أن سرت إليه .. ففكت عقدة وجهه
وأجاب :

— كان في إحساس السارق .. يدنو بغنيمته .. لا أريد أن أثقلت حول
عشية أن يشر إلى الناس .. قف أيها السارق .

وضحكت « هدى » وأجابت :

— قبلنى أيها السارق .. وكلنى ذعراً .

وأدار جانب وجهه وقد ابتهر غلو الطريق .

ومدت شفتيها فمست شفتيه وهمست قائلة :

— لا أكاد أصدق كل ما أنا فيه .. لقد كان دائماً مجرد حلم .

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى)